الشرق الأدنى
في
العصرين الهلينستي والروماني

دكتور: فوزي مكاوي

١٩٩٩

الناشر

المكتب المصري لتوزيع المطبوعات

ت: ٣٦٥٥٤٨٧

الناشر
المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات
٥ش مصطفى طموم، المنيل القاهرة
تليفاكس : ٣٦٥٥٤٨٧

الشرق الأدني في العصرين الهلينستى والروماني

د/ فوزى مكاوى

رقم الإيداع ٩٨/١٧٣٥٥
الترقيم الدولى I.S.B.N 977-5841-21-6-

إهداء الى

أماني وإيمان وإيناس وأميرة

مقدمـــة

كان الشرق الأدنى مصدر الاشعاع الحضارى خلال العصور القديمة؛ فعلى أرضه نبتت الحضارة المصرية وحضارات مابين النهرين والشام وآسيا الصغرى والساحل الفينيقى والعبرانيين وغيرهم.

ولكن أهل هذه البلاد فقدوا السيطرة على مقدرات بلادهم بعد إستيلاء الفرس عليها خلال القرنين السابع والسادس ق.م. وتلى الفرس الاسكندر وخلفاؤه من بعدهم جاء الرومان.

وهذا الكتاب محاولة للغوص فى بحور الشرق خلال الفترات التى تلت سقوط الامبراطورية الفارسية وحتى قيام العصرالبيزنطى وهدفه البحث فى دور هذه المنطقة فى تاريخ عالم ذلك الزمان حضاريا رغم التقلبات السياسية التى شهدها.

ومحصلة الدراسة التى بين أيدينا تبين أن الشرق ظل

ولما كانت الفترة الزمنية التي تغطيها الدراسة تمتد من القرن الرابع ق. م الى القرن الرابع الميلادى - ونظرا لأنها متشعبة الموضوعات فقد توخيت الايجاز فى العرض دون إخلال بالمضمون حتى أقدم هذا العمل فى حجم مناسب للغرض الذى ألف من أجله.

أرجو أن اكون قد وفقت فيما قصدت اليه وعلى الله قصد السبيل.

فوزى مكاوى

الكتاب الأول

الشرق خلال العصر الهلينستى

١- سيطرة مقدونيا وبداية العصر الهلينستي

نهوض مقدونيا:

سيطرت عدة مدن دول على تاريخ بلاد الاغريق خلال العصر الهلينستي، وهكذا كانت مدن كاثينا واسبرطة وطيبة وأرجوس وكورنثا موطن كل الأحداث الكبرى وطرفا فى كل الحروب والمنازعات ومركزا للتحولات الاجتماعية والعسكرية من بداية القرن السادس ق.م على الأقل. ولكن دخلت هذه المدن فى فترة اضمحلال وانهيار ابتداء من القرن الرابع وهكذا لاحظنا أن هذه المدن بدأت تتخلى عن مركزها القيادى لمجموعة من المدن الاخرى لم تكن ذات أهمية قبل منتصف القرن الرابع .

فنجد مثلا مدينة صغيرة هى فوكيس تشغل العالم الاغريقى بعد عام ٣٥٦ق.م لمدة عقد كامل بحربها المقدسة ضد بيوتيا ولوكريس وتساليا ومقدونيا. وفى نفس العقد أيضا نجد الملك موسولوس فى مملكة كاريا يتبوأ مكانا مهما فى عالم الاغريق يصل الى حد أن يكون ضالعا فى الأحداث التى أدت الى القضاء على الأمبراطورية الأثينية الثانية. ونجد مثالا ثالثا فى تساليا حيث استطاع جاسون ملك فيراى **Jason of pherae** أن يوحد جهود مدن تساليا تحت قيادته وأن عاد الأمر لما كان عليه من قبل بمجرد وفاته. وفى الشمال نجد مثالا رابعا فى مقدونيا حيث نجح ملوكها فى

توحيد جهود القبائل فيها كتساليا ولكن هذا النجاح يستمر حتى ت
مقدونيا فى القرن الرابع هى القوة الكبرى فى بلاد الاغريق وتكون ة
على أن تضع حدا للعصر الكلاسيكى فى بلاد الاغريق وأن تبدأ بالعالم
جديدا هو العصر الهلينستى(١).

تختلف مقدونيا عن باقى بلاد الاغريق من عدة وجوه، فهى
تتكون من اقليمين السهل الساحلى المطل على خليج ثيرماى وهذه
مقر الحكومة المركزية ومحيط سلطتها المباشرة وهناك الاقليم الثانى و
المرتفعات الداخلية وكان الملك المقدونى يفرض عليها نفوذا ضعيفا. ومقد
ذات مناخ قارى، ولم تقم فيها مدن دول على عكس باقى بلاد الاغر
وحتى نهاية العصر الكلاسيكى كان الوجود القبلى مايزال قويا فيها، و
تمارس السلطة العليا فى الدولة حكومة ملكية منتخبة بالرغم من أنها و
فى أسرة واحدة. وكان الملوك المقدونيون ـ كما هو الحال فى المجتم
الشبيهة من حيث درجة التقدم ـ ملوكا زمنيين وكهنة وقضاة و
للجيوش وأمناء للمال . وكان بقاء الملك رهن بولاء النبلاء الذين ك

---

(١) معلوماتنا عن مقدونيا قبل إعتلاء فيليب الثانى للعرش تعتمد على فقرات ذ
الكتاب الاغريق هناك وهناك.

فضلا عن نقش لاتينى على لوحة حجرية يؤرخ من عام ١٠١م عثر عليه فى
١٩١١م فى شمال تساليا. هذا النقش يذكر قرار الامبراطور الرومانى لتحديد خط الـ
بين أقاليم تلك المنطقة ويستشهد بما قام به الملك أمونتاس الثالث ملك مقدونيا فى
الرابع ق.م عندما ثار مثل هذا الخلاف من قبل.

تشدهم اليه روابط شخصية وصلات عائلية ومن هنا كانوا يعتبرون قرابة الملك ورجال قصره وكانوا يتحدثون اللغة الاغريقية. وكان الفنانون والأدباء يترددون على بيلا Pella عاصمة مقدونيا ويكفى أن من بين من أقاموا هناك لبعض الوقت المسرحي يوريبديس والرسام زيوكسس Zeuxis والمفكر العظيم أرسطو. وكان المشرفون على الالعب الأولمبية يعتبرون الملوك المقدونيين اغريقا يسمح لهم بالاشتراك في الألعاب ولكنهم لم ينظروا الى الشعب المقدوني بنفس النظرة.

كانت امكانيات مقدونيا كبيرة، فأهلها أشداء ولديها كثير من الأراضي الخصبة ومخزونا ضخما من الأخشاب والمعادن. ومع ذلك فقد احتاجت مقدونيا لوقت طويل حتى تحقق رخاءها وذلك لأنها عانت أكثر من أى دويلة اغريقية أخرى من ضغوط البرابرة، حيث كان الاليريون يضغطون عليها من الغرب والبايونيون Paeonians من الشمال والتراكيون من الشرق، وظل الاغريق يحتفظون لأجيال بمستوطنات على الساحل. وهكذا كان المقدونيون مشغولين بمشاكلهم الدفاعية وأرضهم العالية والمنخفضة لدرجة أن أمرهم هان على الاغريق فاستبعدوهم كخطر محتمل، اذ لم يشغل بال أثينا مثلاً احتمال سيطرة مقدونيا على تراكيا وبالتالى تهديد طريق القمح الأثينى عبر الهلسبونت، أو احتمال تحول مقدونيا الى قوة بحرية ذات شأن بحيث يمكنها أن تفرض رقابتها على ذلك الطريق، ولذلك لم تضعها يوما فى خططها.

عندما سقط برديكاس الثالث المقدونى صريعا فى عام ٣٥٩ق.م أثناء معركة ضد الاليريين أختير شقيقه فيليب كوصى على الملك الطفل أمونتاس، ولكن سرعان ما أزاح الطفل وتولى العرش. كان فيليب قد تدرب على التكتيكات الحربية الجديدة التى عرفتها طيبة أثناء قيادة أبامينونداس وبيلوبيداس Epaminondas & Pelopidas حيث قضى هناك ثلاث سنوات وكانت لديه الفرصة لكى يتعرف على تطوير نظام الفيلق Phalanx الذين ساعد طيبة على اكتساح مشاة الجيش الاسبرطى (hoplites) فى معركة ليوكترا وفى مانتينيا (١). وبالرغم من هذه الخبرات فان سياسة واستراتيجية فيليب كانت خاصة به، فقد تميز بقدرة فائقة على اختيار الوقت المناسب والوسيلة فى التعامل مع الدول الاغريقية الأخرى لدرجة أن اعداءه لم يكونوا يكتشفون مراميه إلامتأخرا وعادة كانت حركتهم لمواجهة تدابير فيليب تأتى بعد فوات الأوان. وهكذا نلاحظ أنه رغم قدرات فيليب العسكرية الممتازة إلا أنه كان يعرف متى تؤدى الوسائل الأخرى الى نجاح له نفس أثر الانتصار الحربى.

كانت الخيالة عصب الجيش المقدونى، وكانت نواة الخيالة المقدونية هى تلك المجموعة التى تشمل الفرسان النبلاء من مختلف القبائل الذين

---

(١) ولد فيليب فى ٣٨٣ أو ٣٨٢ ق.م وقضى ثلاث سنوات خلال الفترة من ٣٦٩ الى ٣٦٥ كرهينة سياسية فى طيبة، وكان معه فى الأسر ٣٠ من أبناء أهم نبلاء مقدونيا. يقال أنه كان متشيعاً بشدة لافكار إبامينونداس.

ارتبطوا بوشائج ولاء خاص بالملك، كذلك دعم فيليب قوى المشاه ثقيلة العدة وعدل نظام الفيلق (الفلانكس) العادى بتسليحه بحراب أطول(Pikes) كما وسع المسافة بين كل جنديين، وهكذا أعطاهم قدرة أكثر على الحركة. ولكن الشيء الذى فاق أهمية اصلاحات فيليب لنظم الجيش كانت قدرته على أن يمد الجيش بطاقة هائلة من الحماس مكنت جنوده من أن يتخطوا عقبة انتمائهم الى قبائل متعددة، وبذلك أصبحوا قوة ضاربة موحدة. وقد استطاع فيليب عن طريق استمرار ولاء جيشه له والحملات الناجحة التى خاضها استطاع أن يجعل الجيش المقدونى فى حالة من القوة بلامثيل فى بلاد الاغريق أو فى أى مكان آخر.

كانت المهمة الأولى لفيليب غداة اعتلى العرش هى تحرير مقدونيا من تهديد البرابرة. وقد استطاع التخلص منهم واحدا بعد الآخر فهزم Paeonians أولا ثم الليريين(٣٥٨) (١). وقد قدم ملك ابيروس لفيليب عرفانا بالجميل للتخلص من ضغوط الاليريين أقول قدم له ابنته أوليمبياس عروسا له، وأنجبت له هذه السيدة طفلا فى عام ٣٥٦ أسماه الاسكندر (٢).

اتجه فيليب الى توسيع أملاكه بعد أن تخلص من ضغوط البرابرة فى الوقت الذى كانت أثينا مشغولة بالصرعات السياسية والاجتماعية

---

(١) Diod. XVI , 4. 2-7

(٢) تم زواج أوليمبياس من فيليب عام ٣٥٧ق.م وقد أنجبت منه كليوباترة بعد الاسكندر. توترت علاقاتها بزوجها لكثرة علاقاته وزيجاته. أطلق كاسندر عليها شائعة بأنها كانت السبب فى قتل زوجها ماتت مقتولة فى عام ٢١٥ ق.م.

فاستولى فيليب على امفيبولس(٣٥٧)، ومن هنا تحرك لإقامة قلعة فيليب Philippi التى أمنت له الوصول الى مناجم الذهب الغنية فى جبل بانجيوس Pangaeus ولقد أدى انتاج ألف تالنت من الذهب سنويا الى جعل مقدونيا مستقلة اقتصاديا وقدم لفيليب المصادر المالية الضرورية لتمويل مشروعاته الطموحة (١) كانت خطوة فيليب التالية هى الاستيلاء على الاملاك الأثينية المتبقية فى الاقليم ولكى يقوم بذلك تحالف مع العصبة الخلقيدونية. كانت أثينا ماتزال مشغولة بصراعاتها السياسية والاجتماعية ولذلك لم تستطع أكثر من أن تسعى لاثارة الاليريين والتراكيين ضد فيليب ولكن كان من الصعب منع سقوط بوتيدايا Potidaea فى عام ٣٥٦ق.م(٢) وبعد عامين ميثونى المستعمرة الأثينية الأخيرة فى أيدى فيليب.

وبالرغم من الاهانة التى لحقت بأثينا فانها كانت راغبة فيما يبدو عن الصدام مع فيليب ولقد كان هذا يعود الى تركيز اهتمامات أثينا فى منطقة الهلسبونت والبوسبورس Bosporus وهى مناطق لم تكن قوات

---

(١) كان لدى مقدونيا عدد من مناجم الفضة التى عرفها ملوك مقدونيا قبل فيليب مثل منجم جبل Dysoron قرب بحيرة Prasias وكانت مستغلة منذ أيام الاسكندر الأول (Hdt V, 17, 2) فضلا عن مناجم أخرى فى Damastion وان كان أغناها منجم يقع خلف Strymon فى الشرق. وقد وضع فيليب يده عليها جميعاً.
Ellis , Philip II , 33-4 & 235-9.

(٢) بوتيدايا Potidaea مستوطنة كورنثية اقيمت فى شبة جزيرة خلقيدونية. إنضمت للعصبة الديلية. ثارت ضد أثينا بمساعدة كورنثا عام ٤٣٢. إستولى عليها فيليب الثانى فى عام ٣٥٦ ق.م، ودمرها أعاد بناء المدينة كاسندر و عرفت المدينة الجديدة باسم كاسندريا.

فيليب قد هددتها مباشرة حتى ذلك الوقت، وذلك لانشغال الأثينيين فى المعارك الداخلية بينهم. والمعروف أنه منذ عام ٣٥٨ شكلت هيئة مالية مستقلة للاشراف على اعتمادات الاحتفالات الدينية رأسها يوبولس Ubulus اعتبارا من عام ٢٥٤ق.م وكان هذا الرجل يرى ضرورة اضافة أى فوائض فى ميزانية المدينة على هذه الهيئة، وكان هذا يعنى اعطاء الأولوية لإقرار السلم حيث كانت ميزانية تلك المؤسسة توجه لمساعدة الفقراء فى الاحتفالات، بينما كان هناك رأى قوى آخر يدعو الى توجيه هذه الفوائض الى الجيش. وكان يتزعم أصحاب الرأى الأخير ديموسثنيس الذى بدا منذ عام ٣٥١ ق.م يوجه النظر الى خطورة مقدونيا على اعتبار أن أى دولة تسعى لفرض سيطرتها على بلاد الاغريق لابد وأن تمثل وبطريقة آلية تهديدا مباشرا لأثينا. ندد ديموسثنيس بفيليب وحاول أن يقنع الاثينيين بالأخطار المتوقعة من جانبه ولكن الأثينيين تحركوا ببطء دون تقدير لخطورة زيادة مداخيل مقدونيا الموحدة.

وبعدأن قضى فيليب على خطر البرابرة واستولى على مواطئ أقدام أثينا فى مقدونيا، تحرك فيليب ضد العصبة الخلقيدونية ورغم أن العصبة لم تكن حليفا لأثينا الا أن ديموسثنيس (١) دعا مدينته الى الوقوف معها

---

(١) عاش فيما بين ٣٨٤ و٣٢٢ ق.م. كان أعظم خطباء اليونان تسبب فى شهرته مجموعتان من الخطب كل منها تضم ثلاث خطب عرفت الأولى بالفيليبيات . وقد هاجم فيها أهداف فيليب و إعتبره الخطر الذى يتهدد حرية الأغريق أما المجموعة الثانية فقد =

ومساعدتها. وكانت ثورة قد وقعت فى ايوبيا التابعة لأثينا، كان وراءها فيليب. لم تكن أثينا قادرة على أن ترسل الى هناك أكثر من بعض المرتزقة وعدد قليل من السفن، بل انها ارسلت هذه المساعدات على دفعات ومن ثم لم تستطع أن توقف تقدم فيليب، واستطاع فيليب أن يستولى على مدن عصبة خلقيدونية واحدة تلو الأخرى كما وقعت أولينثوس عاصمة العصبة فى يده فى اغسطس عام ٣٤٨ق.م فنهبها جنوده وشتتوا أهلها(١).

أرادت أثينا أن تساعد عصبة خلقيدونية ضد فيليب المقدونى ولكن كانت ميزانيتها منهكة فى جهودها المستمرة لاسترجاع ايوبيا. ولذلك قبلت عقد صلح مع فيليب هو صلح فيلوكراتيس Philocrates فى عام ٣٤٦ق.م وأشارت بنود الصلح الى سقوط امفيبولس وهو مايعنى أن أثينا قد عزلت عن أملاكها فى منطقة الهلسبونت (٢). وأخيرا تقدم فيليب نحو تحقيق

= عرفت بالأولنثيات وحاول فيها إستنهاض همم الأغريق لانقاذ مدينة أولينثوس قبل الوقوع فى يدى فيليب. فضلاً عن مجموعة أخرى مشهورة من الخطب. إستمر ديموسثينيس ذات مكانة مرموقة فى أثينا حتى بعد سقوطها فى أيدى فيليب. وعندما عاد الى وطنه بعد وفاة الاسكندر الاكبر لاحقه سوء الحظ حتى أنتحر مفضلا الموت على الوقوع فى أيدى انتيباتروس.

(١) كان فيليب قد عقد تحالفا مع أولنثوس زعيمة العصبة الخلقيدونية فى عام ٣٥٧ \ ٣٥٦ وكان الحلف لصالح الطرفين والخاسر فيه أثينا. ولكن عام ٣٥٠\٣٤٩ أقدمت أولنثوس على احتضان إثنين من المتمردين على العرش المقدونى مما إعتبره فيليب سببا كافيا للسير ضدها غازيا فى خريف ٣٤٩ق.م.

(٢) إشترك كل من ديموسثنيس وايسخينيس خطيبى أثينا فى عقد الصلح مع فيليب. ومع ذلك فقد تنصل ديموسثنيس من مسئولية عقد هذا الصلح بل وإتهم إيسخينيس بتلقى رشوة من فيليب وهى التهمة التى برأته المحكمة منها.

الخطوة الاخيرة بالحصول على مقعد لمقدونيا فى امفكتيونى دلفى أو العصبة المقدسة وهو مايحمل اعترافا اغريقيا بأن مقدونيا اغريقية وليست بربرية. وكان هذا الامفكتيونى يضم المدن الهامة كأثينا واسبرطة وقد تم لفيليب ذلك بعد نجاحه فى أنهاء الحرب المقدسة الثالثة التى استمرت عشر سنوات وابعاده فوكيس عن مقعدها.

كانت أثينا حتى ذلك الوقت غير قادرة على اتخاذ قرار نهائى ضد فيليب فأحزابها فى الداخل كانت منقسمة على نفسها حزب يقوده ديموسثنيس ويدعمه هيبريدس Hyperides وليكورجوس Lycurgus وكان يحبذ الحرب مع مقدونيا وحزب يدعو للسلام يقوده يوبولس وفوكيون والخطيب ايسخينيس Phocion & Aeschines وقد وصل الصراع بين الحزبين ذروته فى عام ٣٤٣ عندما اتهم ديموسثنيس ايسخينيس بقبوله رشوة من فيليب فى مقابل اتمام صلح فيلوكراتيس، ورغم أن المحكمة برأت ايسخينيس، الا أن الشعور العام فى أثينا كان يتجه ضد فيليب. ورجحت كفة الحزب الذى يدعو لحرب فيليب فى أثينا، عندما هاجم فيليب تراكيا بعد أن أمن كل الواجهات الأخرى وسيطر عليها فى عام ٣٤٢-٣٤١ق.م. وكنتيجة لذلك أصبحت مقدونيا فى مركز يسمح لها بأغلاق طريق القمح الرئيسى عبر البوسبورس Bosporus والهلسبونت.

وفى الحال أقامت أثينا حلفا مع أثنتين من المدن الاستراتيجية فى

تلك المنطقة وأقصدبهما بيرنظة وبرينتوس Perinthus ، وعندما هاجمهما فيليب استطاعت جهود المساعدة الأثينية أن تعوق استيلائه عليهما. عندئذ ونظرا لأن أثينا لم تترك أمام فيليب من وسيلة لكسر معارضتها لتوسعه سوى الحرب، قرر فيليب أن يزيل العقبة الأخيرة أمام خططه للسيطرة على بلاد الاغريق، فأعد حملة برية لغزو أتيكا، وادعى فيليب تأييده للامفكتيونى ضد مدينة متمردة حتى يسمح له بأن يقود جيشا كبيرا فى وسط بلاد الاغريق القارية دون أن يثير الشكوك حول أهدافه، وتقدم فى ربيع ٣٣٨ق.م نحو وسط بلاد الاغريق. اضطرت أثينا فى يأس الى تحويل ميزانية الاحتفالات لحساب الحرب واستعانت بعدوتها القديمة طيبة، ولكن طيبة كانت مترددة فى مواجهة القوة المتنامية لمقدونيا، ورغم هذا فقد تشجعت على اعلان انسحابها من حلف فيليب. خاصة بعد أن وعدت أثينا بتحمل ثلثى نفقات الحرب وتم التحالف فى خيرونيا فى صيف ٣٣٨ق.م وتلاقت قوات فيليب مع قوات بلاد اليونان بزعامة أثينا فى واحدة من أكثر المعارك حسما فى تاريخ الاغريق.

لقد دعم فيليب جناحه الأيسر، حيث وضع الفيلق المقدونى والخيالة تحت قيادة الاسكندر، وفى نفس الوقت ترك جناحه الأيمن ضعيفا. وهكذا أبيد الطيبيون الذى واجهوا ميسرة الجيش المقدونى، أما الأثينيون الذين كانوا يتقدمون فى مواجهة الميمنة الضعيفة للجيش المقدونى سرعان ما أحيط بهم فتشتتوا أو هربوا من ميدان المعركة وبعد أن فرض فيليب شروط

صلح متساهلة مع أثينا توجه الى كورنثا حيث دعى الأغريق الى اجتماع أرغمهم فيه على تكوين عصبة انضموا اليها جميعا ماعدا اسبرطة. وأصبح الملك المقدونى هو الرئيس التنفيذى للعصبة وقائدها العسكرى، وتكون مجلس يمثل الاعضاء الذين كان كل منهم يتمتع باستقلال ذاتى. ونصت شروط الاتحاد على أنه لايجوز لأحد من الأعضاء أن يعلن الحرب ضد عضو آخر، حيث كان يجب على الأغريق أن يرتبطوا منذ الآن بسلام (١). وهكذا تحققت من الناحية النظرية على الآقل دعوة ايسوقراطيس الى الوحدة.

لم ينص قانون الاتحاد على فرض ضريبة على الأعضاء ولكن الأعضاء وافقوا على أن يقدموا مساهمات الى الجيش الأتحادى وأن ينضموا الى المقدونيين فى حرب ثأرية ضد الامبراطورية الفارسية انتقاما مما فعله اكسيركسيس Xerxes ببلاد الاغريق (٢) وكمقدمة لتلك الحرب أرسل فيليب قوة استطلاع الى آسيا الصغرى فى ربيع ٣٣٦ق.م ولكن قبل أن يلحق بها اغتيل أثناء زفاف ابنته وخلفه على العرش ابنه الاسكندر الذى أنتخب على عجل لكى يملأ الفراغ الذى تركه مقتل فيليب (٣).

---

(١) نص القسم Tod . No . 177

(٢) إنظر تفاصيل الصراع فى:

فوزى مكاوى، تاريخ العالم الأغريقى وحضارته، الدار البيضاء، ١٩٨٠ص ص٣٩ ومابعدها

(٣) قتله شخص يدعى بوزنياس، كان قد تعرض لإهانة منه ولم يستطع الوصول لحقه، وقيل أن أوليمبياس وكذلك الاسكندر لم يستمعا اليه. وإن كان ديودرز قد ذكر تفاصيل الحادثة دون أن يشير لأى دور لأوليمبياس أو الأسكندر فيها.

الاسكندر الأكبر:

ورث الاسكندر كل انتصارات أبيه وكذلك كل الثروات التى كونها أبوه بحرص وكان مايزال عند اعتلائه للعرش دون سن العشرين. كان الجيش فى أحسن حالاته كما بدى الأغريق تحت سيطرته الكاملة. ولكن الاسكندر ورث أيضا مشاكل الحكام المقدونيين. بعضها مشاكل أسرية، منها اضطراره للقضاء على ثلاثة من المطالبين بالعرش، ومنها ماقامت به أمه التى كانت قد طلقت من فيليب غير بعيد قبل مقتله عندما انتقمت لنفسها بقتل طفل كليوبترة، السيدة التى ازاحتها، ثم دفعت كليوبترة نفسها الى الانتحار. المشاكل الأخرى التى واجهها الاسكندر كانت لها نفس القسوة والسرعة اذ ثار الأعداء التقليديون للمقدونيين، كالتراكيين والاليريين ولكن الاسكندر نجح فى هزيمتهم فى معارك صغيرة (فى عام ٣٣٥). وفى ذلك الوقت انتشرت شائعة كاذبة عن موت الاسكندر شجع ذلك الاغريق على الثورة، فسار الاسكندر ضدهم جنوبا واستولى على طيبة ودمرها، فيما عدا المعابد وبيت بنداروس الشاعر، كما أمر بقتل السكان أو بيعهم عبيدا(١). كانت قسوة الاسكندر على طيبة رسالة الى الاغريق آتت أكلهافورا، اذ أسرع الاغريق الذين صعقتهم أخبار تدمير واحدة من مدنهم

---

(١) ذكر بلوتارخ Alexander 10.6-11 أنه إستثنى الكهنة والضيوف من ذوى العلاقة الطيبة مع مقدونيا، وأحفاد بنداروس وأولئك الذين عارضوا القيام بثورة ثم قام ببيع باقى سكان طيبة وكانوا فى حدود ٣٠ ألفا، أما الموتى فقد وصل عددهم ٦٠٠٠ قتيلاً.

ذات المكانة بينهم أقول اسرعوا للعودة الى حلفهم مع الاسكندر وصوتوا لصالح مطالب الاسكندر بتدعيمه فى مشروع غزوه للفرس الذى كان قد خطط له ابوه من قبل.

وفى عام ٣٣٤ عبر الاسكندر الى آسيا الصغرى ومعه جيش من ٣٠,٠٠٠ ألفا من المشاة و٥,٠٠٠ فارس (١). مر على طروادة حيث قدم القرابين لروح الملك برياموس ونثر الأكاليل على قبر سلفه وشبيهه أخيليوس(٢)، ويقال أن حارس الاسكندر الخاص كان يحمل درعا يعود الى أيام حرب طروادة أخذ من معبد أثينا وأن هذا الدرع قد حمى الاسكندر بعد ثمانية سنوات من هذا التاريخ عندما تعرض لمكيدة فى قلعة بالهند أثناء واحدة من أعماله الجريئة.

الانتصار على الفرس :

كان الهدف الرئيسى للاسكندر خلال المرحلة الأولى من حملته ٣٣٤-٣٣١ق.م هو تدمير القوات المسلحة الفارسية فى غرب امبراطوريتهم

---

(١) ذكر ديودور XVII.17.3-4 أن جيش الاسكندر ضم ١٢ ألفا من المشاة المقدونيين و٧ آلاف من الحلفاء و٥ آلاف من المرتزقة وكان هؤلاء جميعا تحت قيادة بارمينيون. كما ضم الجيش سبعة آلاف من قبائل Illyrians ,Triballians , odrysians وألفا من رماة السهام. أما الفرسان فضم الجيش منهم ١٨٠٠ من المقدونيين تحت قيادة Philotas إبن بارمينيون، و١٨٠٠ من التساليين تحت قيادة Callas إبن هربالوس و٦٠٠ من فرسان الاغريق بقيادة Erygius و٩٠٠ من التراكيين والبايونيين بقيادة كاسندر. وكان هذا هو كل جيش الاسكندر عند بداية الحملة.

(٢) Plutarch , Alexander . 15 .

وحيث أن رجال اسطوله كانوا فى أغلبهم من الاغريق وبالتالى لم يكونوا محل ثقته. فقد فضل الاسكندر أن يخوض حروبا برية تشل حركة القوات البرية الفارسية من ناحية وتلغى أهمية البحرية الفارسية وتأثيرها على سير المعارك. وقع الصدام الأول مع القوات الفارسية على نهر جرانيكوس Granicus ، غير بعيد عن الهلسبونت. وهناك وجد الاسكندر مجموعة من الخيالة الفرس والمرتزقة الاغريق ينتظرونه على الشاطئ الآخر وكما هو الحال في كل معاركه، واجه المناوشات الأولى للقواد الفرس الذين كانت تكتيكاتهم متأخرة عن تلك الخاصة بالاغريق بعد التطورات العسكرية الحديثة التى عرفتها بلاد الاغريق على يد طيبة ثم فيليب، ثم اندفع الاسكندر عبر النهر، وشتت قوات الخيالة المعادية كما أفنى المشاة الباقيين بدون حماية، وقد أدى هذا الانتصار المبكر إلى تماسك العصبة الكورنثية ووقوفها الى جانب حملته ضد الفرس.

تقدم الاسكندر من نهر جرانيكوس لكى يحرر المدن الاغريقية في آسيا الصغرى من الحكم الفارسي، وكانت هذه المدن كما نعلم قد تحررت قبل ذلك عدة مرات على أيدى محررين مختلفين، كما تعرضت أيضا للاكتساح عدة مرات. وفى تلك الأثناء فشل الاسطول الفارسى فى تحريض الاغريق على الثورة ضد الاسكندر (١).

---

(١) Arrian, I. 17 .

تقدم الاسكندر فى خريف ٣٣٣ الى اسوس Issus حيث جمع الفرس تحت قيادة داريوس الثالث قوة كبيرة من المرتزقة الاغريق والقوات الفارسية، وهناك تقابل الطرفان فى معركة من أهم ثلاثة معارك خاضها الاسكندر، وقد انتصر فيها كما حدث فى المعركتين الأخريين بسبب قدرته السريعة على الامساك بزمام المبادرة وجعل تحركات العدو رد فعل لحركته. هاجم الاسكندر كما كانت عادته بمجموعة الخيالة ثقيلة العدة فشتت أعداءه ثم حصن الفرق الأخرى من الخلف. هرب داريوس تاركا وراءه أمه وزوجته وأولاده الذين استخدمهم الاسكندر كرهائن ذوى فائدة سياسية فعاملهم برفق رغم وضعهم تحت الحراسة (١).

وبدلا من أقتفاء أثر الملك الكبير داريوس فان الاسكندر اتجه جنوبا

---

(١) ذكرت هذه الحادثة عند كثير من المؤرخين وقد ذكر أريان (Arrian 11,14.) خطابين متبادلين بعد المعركة بين داريوس والاسكندر. يطلب داريوس فى الأول من الاسكندر أن يرد عليه أمه وزوجته وأولاده وأن يعقد معه إتفاقية تحالف وصداقة. ويذكر له أن العلاقات فى السابق كانت طيبة بين المقدونيين وأرتاكسيركسيس. وأثناء حكم خلفه أرسيس كان المقدونيين هم الذين بدأوا بالعدوان.

وقد ذكر أريان رداً للاسكندر على ذلك يوضح لداريوس أن هذه المعارك كنتيجة لصراع طويل من العدوان الفارسى على مقدونيا وباقى بلاد اليونان. ويذكر فى الخطاب تفاصيل لمحاولات داريوس إفساد خطط الاسكندر فى جمع الاغريق وعقد سلام بينهم. ويتهمه برشوة الاسبرطيين وفشل نفس المحاولة مع مدن إغريقية أخرى. ثم يقول له بأنه عبر الى آسيا باعتباره قائداً لحلف كل الاغريق لعقاب الفرس. ومع ذلك فالفرس هم الذين بدأوا القتال. وهزم القادة والولاة الفرس فى جرانيكوس، كما هزم داريوس فى إسوس. ويطلب الاسكندر من داريوس أن ياتى بشخصه ليطلب منه حرية زوجته وأمه وأولاده ولكى يعترف بأنه ملك كل آسيا. وينبهه بأن عليه من الآن أن لايخاطبه باعتباره ندا له. وإن رفض ذلك فعليه أن يدافع عن الملك الذى يدعيه.

على الساحل الفينيقى تنفيذا لسياسته بالعمل على فصل القوة البحرية الفارسية عن القوات البرية، وسرعان ماسقطت صيدا وبيبلوس وأرادوس Aradus ولكن صور قاومته سبعة شهور كاملة من الحصار المر قبل أن تسقط في يديه. استمر الاسكندر جنوبا على الساحل فاستولى على مدينة غزة بعد شهرين من الحصار بعد أن سقط آخر المدافعين عنها.

اتجه الاسكندر بعد ذلك نحو مصر التى دخلها دون مقاومة فى أواخر عام ٣٣٢ق.م وفى ممفيس قدم القرابيين للعجل المقدس أبيس وتوجه الكهنة فرعونا على مصر. اتجه بعد ذلك عبر النيل الى مصب الفرع الكانوبى حيث أسس مدينة الاسكندرية كمركز عظيم للأعمال والتجارة (١). ومن موقع الاسكندرية سافر عبر الصحراء الى واحة سيوة لكى يصلى فى محراب زيوس أمون. وهناك أعلنه الكهنة ابنا للأله وتلقى اجابات على تساؤلاته من آمون رفض الكشف عن تفاصيلها لأى انسان ولكنه سعد بما سمع (٢)، ونمت دعاوى حول الاسكندر تقول بسموه فوق مستوى البشر، وقد شجع هذه الدعاوى ميل الاسكندر الشخصى لاعمال البطولة وميل كل

---

(١) أشهر الروايات عن إنشاء الاسكندرية ذكرها أريان وبلوتارخ وقد ذكر أريان أن الاسكندر أثناء ذهابه الى معبد آمون بسيوه بعد أن مر على قرية كانوب (أبو قير) وهناك وجد منطقة محصورة بين البحر وبحيرة مريوط توقع أن تكون مكاناً رائعاً لإنشاء مدينة تحمل اسمه. وتوقع للمدينة بسبب مميزات الموقع أن تعيش فى تطور وازدهار. وقد أحاطت بنشأة الاسكندرية أساطير أشهرها تلك التى ذكرها أريان حول إستخدام الإسكندر للدقيق لرسم حدود أسوارها وتخطيط أحيائها وكيف فسر له العرف Aristander ذلك بأنه مؤشر لازدهار الاسكندرية ورخائها.

(٢) ArrianII.3-1.

الناس للعبادة فى محراب النجاح.

اتجه الاسكندر بعد مغادرته لمصر فى صيف ٣٣١ق.م نحو الشمال فسار عبر سوريا الى دجلة. كان يسد طريقه نحو بابل جيش ضخم جمعه داريوس من جميع أنحاء الامبراطورية ولكن هذا الجيش كان ضعيفا فى المشاة الثقيلة العدة وذلك بعد أن انقطعت اسباب الاتصال بمصادر الحصول على المرتزقة الاغريق المشهورين فى هذا الفن. ومع ذلك فقد تحوط داريوس للامر بزيادة عدد الخيالة باستخدامه لعربات الاسكوذيين الحربية والتى قدر أنها سوف تقضى على المشاة المقدونيين، وبالرغم من أن داريوس هو الذى اختار ميدان المعركة فقد كان الاسكندر قادرا على أن يأخذ بزمام المبادرة فيها. سعى الاسكندر الى استدراج الصف الفارسى الطويل خارج مكمنه على أن يتعامل مع أية فجوات تحدث، ولكى يتحقق ذلك تقدم بميل الى اليمين واضطر الاعداء أن يتحركوا معه، وعندما ظهرت فجوة بين القلب والجناح الأيسر اندفع فيها ومعه خيالته ثقيلة العدة وشق الصف الفارسى الى نصفين وكما حدث فى اسوس، هرب داريوس قبل انتهاء المعركة وتبعته اعداد كبيرة من قواته، ثم سار الاسكندر من جاوجميلا- التى وقعت فيها المعركة الاخيرة- الى بابل، حيث قدم القرابيين فى معابد الالهة وأمر باعادة ترميم معبد مردوخ Marduk الذى سبق أن دمره الفرس، ومع حلول شهر ديسمبر كان الاسكندر قد حل فى مدينة سوسة العاصمة القديمة لعيلام Elam والمقر الشتوى للملوك الفرس.

وفى منتصف الشتاء شق الاسكندر طريقه فى الجبال فى بلاد فارس نفسها واستولى على خزائن ملوك الفرس بما تراكم فيها آموال خلال قرنين من الزمان. وقيل أنه أحرق قصر اكسيركسيس وهو مخمور، على الرغم من أن المدافعين عن الاسكندر من بعد قالوا أنه فعل ذلك أشارة الى نهاية حكم الاخمينيين الفرس وللانتقام من الهجمات الفارسية ضد بلاد الاغريق فى أوائل ذلك القرن (١).

اتجه الجيش من برسيبولس الى اكباتانا Ecbatana عاصمة مملكة ميديا القديمة اذ كان يعتقد أن داريوس قد جمع جيشا كبيرا هناك ولكن الاسكندر وجد أن داريوس قد هرب مرة أخرى وبدأت المطاردة من جديد وعندما وصل الاسكندر الى حيث يوجد داريوس وجده قد قتل بيد حارسه الخاص فى يوليو سنة ٣٣٠.

الحملة على وسط أسيا (٣٣٠-٣٢٣ ق.م)

يمكننا القول بأن حملات الاسكندر ضد الفرس قد انتهت بموت داريوس بل لقد أصبح الاسكندر هو الملك الكبير ولابد من أن قواته قد

---

(١) أحرق الاسكندر قصر برسيبولس بعد أربعة شهور من إقامته هناك. وقد ذكر أريان خبر هذا الحريق فى فقرة قصيرة ولكن ديودور أفرد لها عدة فقرات ذكر فيها ظروف حريق هذا القصر. قال فى روايته أن الاسكندر أمر باشعال النار فى القصر وهو مخمور بعد تحميس إحدى النساء الأثينيات المدعوة Thais له. والملف للنظر حقيقة أن إحراق الاسكندر للقصر كان ضد سياسته بتقريب الفرس اليه.

Diod. XVII . 70-2 .

منت النفس بأنه عائد لامحالة الى الاقاليم الغربية من آسيا ـ وهى أقاليم أكثر تمدنا ـ لكى يدعم انتصاراته ولكن كانت للاسكندر خطط أخرى. فلكى يحتفظ بميزوبوتاميا Mesopotamia كان ضروريا أن يسيطر على الهضبة الايرانية، ولكى يملك الهضبة يتطلب الامر أن يحتل الاقاليم الواقعة الى الشمال والشرق منها وذلك لكى يمنع توغل قطاع الطرق والرعاة الى آسيا الوسطى، فضلا عن أن الاسكندر كان مصمما أن يدفع بانتصارته الى نهاية العالم المعروف وان اعتقد خطأ أنه لايمتد أبعد من الهندوس شرقا وقد أدت هذه الاهداف الى صدام الاسكندر مع قواته زاد من حدة هذا الصدام حرص الاسكندر- بعد موت داريوس -على الظهور بملابس فارسية فى مناسبات معينة مشاركا فى الاحتفالات الفارسية، فضلا عن أن الاسكندر بدأ يعين الفرس فى مركز ذات أهمية، وقد ادى هذا كله الى نوع من التمرد والاثارة والغيرة فى صفوف المقدونيين، وهكذا نجد فيلوتاس بن بارمينيون قائد الخيالة يدان فى مؤامرة ويعدم فى نفس العام الذى مات فيه داريوس وعلى الرغم من اخلاص الاب فقد أعدم هو الآخر، رغم أن بارمينيون كان فى مركز قوة يسمح له بأن يحمى نفسه وبعد عامين وقع الاسكندر فى عراك أثناء الشراب مع صديقه القديم كليتوس Cleitus الذى عايره بأنه ابن آمون وليس ابنا لأبيه كما عزا انتصارات الاسكندر الى جهود قواد فيليب والمقدونيين وليس لمهارات الاسكندر الشخصية، وفى غضب جذب الاسكندر حربة أحد الحراس وغرسها فى صدر صديقه القديم الذى سقط

صريعا. وقد ندم الاسكندر فيما يبدو على مافعله بصديقه وبقى ٠متكفا في خيمته بدون طعام لمدة ثلاثة أيام الى أن أقنعه رفاقه بالعودة الى ممارسة مهامه.

وبعد عام واجه اعتراضات أخرى ضده. عندما طلب الاسكندر من المقدونيين أن ينحنوا له احتراما مثلما يفعل الفرس، وقد قاد المعترضون في هذة المرة كاليسثينيس Callisthenes ابن أخ ارسطو الذى رافق الحملة في وظيفة داعية الملك (١). وبعد ذلك بقليل اكتشفت مؤامرة دبرها بعض أعوان كاليسثينيس وأعدم المدانون، ووضع كاليسثينيس تحت التحفظ على الرغم من أنه لم يعرف اذا ماكان ضالعا فى المؤامرة أم لا وفيما بعد أعدم كاليسثنيس وحول هذا الوقت تزوج الاسكندر روكسانا ابنة ملك سوديانا Sogdiana ، كما ازدادت هذة الاثارة بعد امر الاسكندر بتدريب الفرس على الطريقة المقدونية فى القتال وضم فرسانا فرسا بين صفوف قواته.

ومع وجود هذه المشاكل كان الاسكندر مايزال قابضا على ناصية الأمور فى الجيش وقضى السنوات من ٣٣٠ الى ٣٢٧ ق.م فى حملات صعبة فى الاقاليم البرية الشمالية الشرقية من الامبراطورية الفارسية القديمة وعندما أتم ذلك بدا الاسكندر يستعد للقيام بحملته الاخيرة الكبرى، بقصد الانتصار على الهند وكان يعتقد أن مايمثل الأن باكستان والبنجاب هى

---

(١) Arrian , IV . 10 5-12 .5

كل الهند- الخطة كانت منطقية اذ يقدم له نهر الهندوس كحد طبيعى شرقى لامبراطوريته، ومهما كان الأمر فان المقاومة العنيفة التى واجهتها قواته فى تلك الاقاليم كانت مخيفة. وكانت آخر حملات الاسكندر الكبرى ضد بورس Porus وهو أحد الملوك المحليين هى معركة هيداسبيس Hydaspes فى عام ٣٢٦ ق.م تحرك الاسكندر تحت وطأة الأمطار الموسمية الى نهر هيداسبيس واكتشف وجود مزيد من الأرض نحو الشرق ونهر كبير آخر أراد الاسكندر الاستمرار فى التقدم ولكن قواته رفضت أن تذهب أبعد من ذلك خطوة واحدة فاضطر الاسكندر الى الانسحاب (١)، وبدلا من أن يستخدم نفس الطريق الذى سبق أن سلكه عند قدومه من ميزوبوتاميا، اختار الاسكندر أن يسير جنوبا فى نهر الهندوس الى المحيط الهندى ومن هناك أرسل جزءاً من قواته بالبحر عبر الخليج الى ميزوبوتاميا بقيادة نيارخوس بينما اتخذ هو على رأس باقى الجيش الطريق الغربى متتبعا ساحل جنوب الباكستان الحالية وبعد متاعب شتى يائسة وخسائر فادحة فى الجيش أو على الاصح من بقى منه، وصل أخيرا الى بر الأمان وعندما عاد الاسكندر الى فارس وجد كثيرين من ولاته

---

(١) طلب الاسكندر من جنوده فى عام ٣٢٦ أن يعبروا النهر ولكن القادة رفضوا وأعلن واحد منهم هذا الرفض حتى إضطر الاسكندر الى فض الاجتماع ولازم خيمته لمدة ثلاثة أيام على أمل أن يغيروا موقفهم. ولكنه وجدهم مايزالون على رفضهم عندما جمعهم ثانية. فأعلن لهم قراره بالعودة وقسمهم الى إثنتى عشرة فرقه وأمر باقامة إثنى عشر مذبحا لتقديم القرابين للآلهة شكراً على النصر. Arrian , V. 28-29 . 1.

سواء الاغريق أو الفرس قد اساءوا التصرف ولكن سرعان ما أعادالاسكندر سيطرته على الامور. وقد هرب وزير مالية الاسكندر المدعو هاربالوس Harpalus ومعه كمية هائلة من المال ولجأ الى أثينا ولكنه قتل واتهم ديمستنيس بحصوله على جزء من هذا المال وأدين فى محاكمة ونفى خارج أثينا.

أهداف الاسكندر :

كان الاسكندر بعد أن أتم فتوحه يهدف الى تكوين طبقة مشتركة من نبلاء الفرس والمقدونيين، ولذلك أقام الاسكندر عديدا من المستوطنات الاغريقية فى آسيا وأشرك الفرس فى مراكز الحكومة العليا. كما أقام حفلا جماعيا بمناسبة اتخاذه وثمانين من الخيالة المرافقين له زوجات فارسيات من بنات الاسر الفارسية النبيلة (١). كما تم الاعتراف بشرعية علاقات عشرة الاف جندى مقدونى بنساء اسيويات. ولم تمنع كل هذه الجهود لأدماج الشعبين انفجار اوبس فى ٣٢٤ ق.م عندما تمرد الجنود القدامى بسبب

---

(١) أقيم الاحتفال فى سوسا عام ٣٢٤ ق.م. وقد تزوج الاسكندر فيه فتاتين فارسيتين بالإضافة الى روكسانا التى كان قد سبق له الزواج بها وهما: بارسين إبنة داريوس الكبرى بالإضافة الى Parysatis الإبنة الصغرى لأوخوس. وقد زوج هيفايستون إبنة أخرى لداريوس أما كراتيروس فقد زوجه Amastrine ابنة عم بارسين زوجته. وتزوج برديكاس إبنة والى ميديا. كما زوج بطلميوس حارسه الخاص ويومينيس سكرتيره من إبنتى أرتابازوس: أرتاكاما لواحد و Artonis للآخر وقد بلغ عدد رفاقه الذين تزوجوا من فارسيات فى هذا الحفل الذى أقيم طبقاً للتقاليد الفارسية ثمانين من القادة.
Arrian VII . 4 . 4 - 5 .

تسريحهم والاداد لاعادتهم للوطن . لقد رأى هؤلاء الجنود انهم كسبوا الحرب للاسكندر ولكن اسكندر وفى لحظة الانتصار أهملهم واستبدل بم نفس الأعداء الذين هزموهم. وقد رد الاسكندر على ذلك بتسريحه لكل الجيش والاعتكاف فى خيمته الى أن رجاه قواد قواته السماح والعفو، عندئذ رحب الاسكندر بعودتهم وأقام حفلا كبيرا احتفل فيه المقدونيون والفرس سويا، بينما ضرع الاسكندر للآلهة من أجل وحدة البشرية (Homonoia) (١). وفى العام التالى مع بداية شهر يونيو وبينما كان الاسكندر يعد لحملة كشفية كبيرة بهدف الطواف حول شبه الجزيرة العربية والانتصار عليها، أصابت الاسكندر حمى مات متأثرا بها بعد عشرة أيام يوم ١٣ يونيو سنة ٣٢٣ وكان عمره مازال ٣٢ سنة.

ان عظمة الاسكندر كقائد عسكرى بهرت معاصريه وحفزت أعدادا بلا عدد على تقليده خلال عصور التاريخ. وليس هناك شك فى أن قدرته تبز غيره فى ميدان البطولة وماتزال انجازته حتى اليوم لها وقع السحر على آذان سامعيها. لقد كان الاسكندر تجسيدا حيا للبطل الهوميرى القادر على نقل أفكاره وتنفيذ أعماله وكان خليطا من الشجاعة والحب لجنوده وحب الظهور والكرم والشراسة وقسوة القلب ويبدو فى ذلك الخلف المناسب لأخيليوس .

لقد كان انجاز الاسكندر الرئيس هو تدميره للارادة المسلحة للفرس

---

(١) Arrian VII . 8 - 9 & 11.

وفتح الطريق لامتداد النفوذ الاغريقي. ولكن الاسكندر نفسه لم يكن من بناة الامبراطوريات، لقد قامت وحدة الامبراطورية بل ووجودها نفسه على شخصية الاسكندر الخلابة. وسرعان ما اختفت هذه الامبراطورية بمجرد وفاته.

٢ـ عصر خلفاء الاسكندر وحروب الخلافة

ا ـ مؤتمر بابل:

مات الاسكندر الاكبر في يونيو ٣٢٣ق.م بعد مرض مفاجئ قصير. وأدى اختفاء الاسكندر المفاجئ الى احداث اضطراب خطير في العالم القديم ككل وفي بابل عاصمته- على وجه الخصوص. لقد اصبحت امبراطورية الاسكندر فجأة بغير حاكم يسوس أمورها، ولم يدر في خلد أكثر المتفائلين امكانية مواجهة الدولة لمثل هذه الكارثة وهي بعد بعيدة عن الاستقرار فالاسكندر مازال شابا تملؤه الحيوية لم يتوقف عن القتال أو الاستعداد للقتال منذ غادر بلاده في حملته الاسطورية في عام ٣٣٤، وقد أدت هذه الوضعية بالطبع الى عدم استقرار الاسكندر في أي مكان أكثر من شهور ولم تسمح له ظروفه باكثر من فتح أغلب العالم المعروف على عصره فلم يضع دستورا للدولة ولم يكون كوادر سياسية تقود البلاد في ظروف السلام بل ولم يعين من يخلفه.

وفي المؤتمر الذي عقد غداة موت الاسكندر كان على قادة جيشه ومرافقيه أن يحاولوا ملء هذا الفراغ السياسي خاصة والاسكندر لم يترك شخصا مؤهلا لخلافته أو من هو قادر على ذلك وكان العرف المقدوني القديم ينيط بالجيش اختيار الحاكم الجديد، وقد اعتبر المقدونيون في

بابل انفسهم ممثلين للشعب المقدونى ومن ثم كانوا المسئولين عن اختيار خليفة للاسكندر. كان الاختيار أمامهم صبعا ومحدوداً فالذكر الوحيد البالغ والباقي من سلالة فيليب الثانى والد الاسكندر هو أرهيدايوس وكان أخا غير شقيق للاسكندر (١). بينما اقترح عليهم برديكاس الذى ترأس المؤتمر أن ينتظروا وضع روكسانا زوجة الاسكندر الباكتريانية المقدر له شهر أغسطس التالى (٢). انقسم الجيش الى فريقين الفريق الاول ضم أرستقراطية المقدونيين الذين كانوا يخدمون فى الفرسان وقد رأوا أنتظار ولادة طفل روكسانا فان كان ذكرا خلف اباه. ولكن مشاه الجيش رأوا أن ذلك أمر غير ممكن القبول فالطفل المنتظر حتى لو جاء ذكرا فهو يحمل دماء بربرية من أمه وهم لايقبلون به جنديا فى الجيش فكيف يمكنهم قبوله ملكا للبلاد ؟ والمعروف أنهم كانوا قد تمردوا قبل عام واحد على محاولة الاسكندرا تزويد الجيش بجنود شرقيين.

انفجر الصراع صريحا بعد أن حسم المشاة أمرهم وأعلنوا أرهيدايوس ملكا على البلاد رغم ماعلموه من أنه غير متزن العقل وكان تمرد المشاة خطيرا. وسرعان مابدأت اتصالات بين الفرسان والجيش عن طريق يومنيس انتهت بقبول الطرفين لحل وسط فيتم اقرار اعلان أرهيدايوس ملكا باسم فيليب على أن يشاركه طفل روكسانا ان كان ذكرا

---

(١) كان أرهيدايوس إبنا لفيليب من فتاة تسالية تدعى Philinc .

(٢) كان للاسكندر إبن آخر من بارسين الفارسية يدعى هيراكليس ولكن الاسكندر لم يعترف به في حياته. لذلك فقد كانت مطالبته العرش لاتلقى الاستجابة الواجبة.

ويطلق علية اسم الاسكندر وعندما تحقق ذلك أصبح فيليب الثالث والاسكندر الرابع ملكين بالاشتراك على الامبراطورية (١).

ان تعيين الملكين كان فى الواقع بداية الطريق لانهاية المصاعب فالملكان كانا مجرد رمز بغير سلطة أو ارادة. ومن ثم أطلت أطماع القادة والمرافقين للاسكندر برؤوسها وبدات مفاوضات مطولة بين أصحاب المصلحة انتهت بتعيين ثالث اكبر الرؤوس بين القادة وهو برديكاس فى أخطر المناصب: منصب الشيليارخ Chiliarch وهى تسمية فارسية يتولى صاحبها قيادة الجيش كما يصبح المستشار الاكبر للامبراطورية، أما الرأسان الاعلى مقاما وهما أنتيباتروس رفيق كل من فيليب الثانى والاسكندر الأكبر وكراتيروس الذى كان يعتبر أفضل ضباط الاسكندر فقد كانا خارج بابل وقت توزيع المناصب غداة موت الاسكندر: الاول كان نائبا للملك على مقدونيا والثانى كان فى مهمة عسكرية خاصة بامر من الاسكندر الأكبر. ومن ثم فأن المؤتمر الذى كان منعقدا برئاسة برديكاس قرر أن يستمر انتيباتروس نائبا للملك فى مقدونيا بما يعنيه ذلك من سيادته على المدن الاغريقية فى اوربا. وأن يعين كراتيروس فى منصب الوصى على فيليب

---

(١) كان يقف على رأس الخيالة برديكاس ومعة ليوناتوس وبطلميوس ويليهم فى الأهمية ليسيماخوس وأريستونس وبيثون وسليوكس ويومنيس من كارديا. أما قائد المشاة فقد كان ميلياجر. وبعد أن تم الاتفاق بين الطرفين، إنتقم برديكاس من معارضيه بقتلهم مدعيا أن ذلك كان بأمر من أرهيدايوس ثم ألحق بهم ميلياجر بعد قليل.

Arrian , FGRH 157 F.1, SS 1-4.

أرهيدايوس والامين على الخزانة الملكية. وبمقتضى هذا التقسيم أصبحت السلطات التنفيذية الكبرى في الحكومة المركزية تتركز في يدى برديكاس بينما أصبح دور كراتيروس دوراً رقابياً فقط. قرار آخر هام أتخذه مؤتمر بابل تعلق بايقاف ارسال أية حملات جديدة بهدف توسيع حدود الامبراطورية والاستعاضة عن ذلك بتدعيم أركانها. وعلى ذلك أصبح مطروحا على الجلسة الثانية للمؤتمر ايجاد مهام للقادة والرفقاء الذين كان وجودهم في الجيش مرتبطا بمشروعات الحرب والتوسع ومن هنا تم توزيع هؤلاء القادة حكاما على الاقاليم المختلفة بهدف ابعاد البعض عن العاصمة والتخلص من مشاكلهم أو بهدف استرضاء البعض ومكافاتهم على أدوارهم في اقرار الاوضاع الجديدة. وقد تردد أن ذلك كان بمبادرة من برديكاس كما قيل أن بطلميوس بن لاجوس لعب دورا رئيسيا في هذا التقسيم (١).

---

(١) أقر مؤتمر تعيين بطلميوس بن لاجوس لحكم مصر وليبيا وأجزاء من بلاد العرب المتاخمة لمصر. وأصبح كليومنيس الذى كان الاسكندر قد عينه على تلك الولاية مساعدا لبطلميوس وعين Laomedon واليا على سوريا المتاخمة لمصر، أما فيلوتاس فقد عين واليا على كيليكيا وبيثون على ميديا، وعين يومنيس من كارديا واليا على كبادوكيا وبلافلاجونيا والمناطق الواقعة على البحر الأسود حتى حدود مدينة Trapezus . وعين أنتجونس على بامفيليا وليكيا وفريجيا الكبرى أما آسندر فعين واليا على كاريا. وميناندر على ليديا. أما ليوناتوس فعين واليا على فريجيا الهليسبونت التى كان كالاس وال عليها من قبل الاسكندر والتى كان يحكمها Demarchus في ذلك الوقت.

أما ولايات أوربا فقد عين ليسيماخوس لكي يحكم تراكيا وخيرسونيا وكل القبائل التى تجاور التراكيين حتى البحر الأسود. أما الاجزاء البعيدة من تراكيا حتى أراضى الإليريين و Triballians , Agrianians و مقدونيا نفسها وابيروس حتى جبال Ceraunia وكل الاغريق فقد كلف بها كراتيروس وأنتيباتروس ومع ذلك فقد بقيت مناطق كثيرة تحت حكم ولاة محليين منذ الاسكندر.

وبعد ستة ايام من موت الاسكندر كانت الجثة قد حنطت وتقرر نقلها الى مقدونيا لكى تدفن فى مقابر الملوك هناك.

٢- تمرد الاغريق فى بكتريا:

واجه برديكاس التحديات منذ الايام الاولى لتوليه السلطة والملفت للنظر حقا أن هذه التحديات المبكرة لم تأت من الشرقيين الذين فقدوا استقلالهم منذ سنوات قليلة ووقعوا تحت سيطرة المقدونيين وانما جاءت المقاومة الوحيدة للحكم المقدونى من الاغريق، وثورة الاغريق ضد الحكم المقدونى ذات أسباب تاريخية تكمن فى نظرة الاغريقى للمقدونى أنه أقل منه فى كل شئ ويكفى أن نتذكر أن الاغريق حتى وقت قريب كانوا يعتبرون المقدونيين من البرابرة ولذلك يصبح منطقيا أحساس الاغريقى بان المقدونى الذى يتولى القيادة فى كل مكان ليس لائقا بها ويكفى ظهور أى فرصة لكى يستغلها الاغريق للتعبير عن الغضب المكتوم فى النفوس.

وهكذا كانت هناك محاولة فاشلة للتمرد بين الاغريق فى بكتريا عام ٣٢٥ عندما أصيب الاسكندر وسرت اشاعة عن موته.

انتعشت آمال الاغريق هناك فى طرح السيطرة المقدونية جانبا بعد ما تأكد موت الاسكندر فى عام ٣٢٣. فجمع هؤلاء قواتهم وكان الاسكندر قد أعدهم لكى يوطنهم بصفة دائمة على تخوم أملاكه. وقرروا العودة الى الوطن كما فعل من قبل اكسنوفون وجنوده الذين كانوا يخدمون فى

الجيش الفارسى (١). ولكن علم برديكاس بتدبيرهم وأوقف تقهقرهم بأن عبء كل مايمكن من القوات فى الأقاليم العليا تحت قيادة بيثون وبمساعدة الولاة المقدونيين فى المنطقة. استطاع بيثون أن يهزم الثائرين فى معركة. ثم لجأ الى التفاهم مع المهزومين دون اللجوء للعنف الذى أمر به برديكاس. ولكن أفسد خططه عدد من المقدونيين فى جيشه رأوا الاتفاق ضاراً بمصالحهم فهو يحرمهم من الاستيلاء على الغنائم. فدبروا الاعتداء على اسراهم وقتلوهم. وقد أدى هذا بالطبع الى وأد محاولة التمرد بين الاغريق فى الشرق وكان ذلك فى خريف ٣٢٣ق.م.

٢ـ الحرب اللاميــــــة:

عرفت هذه الحرب باسم اللامية نسبة لمدينة لاميا التى شهدت أحداثا هامة فى هذة الحرب وقد وقعت نتيجة ثورة أعلنتها عدة مدن اغريقية بقيادة أثينا ضد الوجود المقدونى فى بلادهم. ورغم أن حركة الاسكندر المقدونى وفتحه للعالم القديم كان فتحا للثقافة الاغريقية ورغم أن الاغريق قد استفادوا بصورة مباشرة نتيجة لحملة الاسكندر سياسيا وحضاريا الا أن الاغريق كانوا أول الثائرين على الوجود المقدونى فى بلادهم

---

(١) قدر عدد الجنود الثائرين فى باكتريا ب ٢٢ ألف جندى ومن المحتمل أن هذا العدد كان يضم عدداً من الشرقيين الذين آزروا التمرد على أمل التحرر.

M. Carly , A History of The Greek World 323 to 146 BC . , London , 1978 P. 4 .

بمجرد اختفاء الاسكندر .

لعل الاحساس الاغريقى القديم باعتبار المقدونيين برابرة لم يزايلهم، خاصة وهم لم يتحالفوا مع الاسكندر طوعا ولم يشتركوا فى حملته عن رغبة صحيح أن الطبقات الثرية فى بلاد الاغريق القارية قد نعمت بالسلام الذى حققه لها الاسكندر وكانت حريصة على استمراره، الا أن عوامل الثورة كانت تتفاعل فى داخل المجتمعات الاغريقية المختلفة تثير كوامنها تحفزها الحاميات المقدونية التى يعلن وجودها دائما عن حقيقة فقدان الاغريق لحرياتهم، عامل ثان أدت اليه عودة الاسكندر الى بابل من شرق آسيا وماتلا ذلك من تسريح لاعداد كبيرة من الجنود وقد عاد هؤلاء الى بلادهم يصنعون القلاقل بعد سنوات طويلة فى ميادين القتال البعيدة. عامل ثالث حدث فى عام ٣٢٤ عندما أصدر الاسكندر أمرا الى المدن الاغريقية بتاليهه، ورغم أن هدف هذا القرار كان سياسيا لتدعيم مكانة الاسكندر بين رعاياه الا أن تأليه الاحياء كان أمرا جديدا على الاغريق خاصة وأوامر المؤلة تصبح قدرا لامفر منه وقد أمر الاسكندر المؤلة بتعديل فى الحدود الجغرافية للمدن ففقدت كثير من المدن بعض املاكها لصالح مدن أخرى. كما أصدر قرارا بعودة المنفيين الاغريق وقدر عددهم بعشرين ألفا وقد أدى هذا القرار الى اضطراب هائل فى المدن الاغريقية فاراضى المنفيين واملاكهم كانت قد ذهبت لغيرهم واعادتها لهم كانت تعنى قلاقل لانهائية كما حملت عودة المنفيين عودة العنف السياسى الذى كان الوجود المقدونى قد منعه

الى حد كبيـــر.

هكذا كانت كوامن الثورة قائمة فى نفوس الاغريق ولكنها كانت بغير أمل حتى أن أشد المعارضين للوجود المقدونى كديموسثنيس وليكورجوس فى اثينا كانوا لايرون يوما قريبا للخلاص. ولكن حدث المستحيل وفجاة مات الاسكندر وبدا الحلم حقيقة قريبة المنال وسرعان ما سرت الدعوة الى الثورة الاغريقية ضد المقدونيين . وجدت هذة الثورة قيادتها فى أثينا، بعد أن فشلت الاقلية الثرية هناك فى ايقاف تيارها وأقرت الاكليزيا قرارا بالتعبئة العامة وأصدرت اعلانا عن حقوق الاغريق وحريتهم وضرورة طرد الحاميات المقدونية فى بلادهم.

كانت أوضاع أثينا المالية افضل منها غداة قيام حرب البيلوبونيز(١)، كما كانت أثينا تتوفر على أسطول قوى وكان الشباب الاثينى مدرب على القتال بسبب مساهمتها فى امداد جيوش الاسكندر بالجنود منذ خروجه الى آسيا عام ٣٣٤ وهكذا قرر المجلس تجهيز ٢٤٠ سفينة حربية بالرجال فضلا عن ٥٠٠ فارس و٢٠٠٠ من المرتزقة (٢).

بدأت احداث القتال بتحرك ليوسثنيس (٣) بجنوده بعد أن

---

(١) كانت مداخيل أثينا فى ذلك الوقت تقدر بـ ١٢٠٠ تالنت والفوائض ١٨ الفا.

(٢) ذكر ديودورس أن الأسطول الأثينى كان يضم ٢٠٠ سفينه رباعية وأربعين ثلاثية
Diod. XVIII , 10 , 2 .

(٢) مرتزق أثينى خدم فى آسيا وعاد مع تسريح الجنود ونجح فى إبقاء قوة من الجنود معه ينفق عليها من مصدر غير معروف الى أن يوظفهم فى حرب ضد مقدونيا وسنحت له الفرصة عند موت الاسكندر وبعد مفاوضات سرية قاد الأثينيين فى الحرب.

انضمت اليه قوة إيتوليه من ٧٠٠ جندى كما آزرته فوكيس ولوكريس حيث استولى على ثيرموبولاى. ومن ناحية أخرى تحرك الاثينيون للانضمام الى القوات المتمردة ولكنهم توقفوا أمام قوة بيوتية يعضدها بعض المقدونيين واليوبيين، ولكن ليوسثنيس أرسل اليهم قوة تساعدهم على ضرب القوات المعادية وتساعدهم على التقدم. وفى نفس الوقت أرسلت أثينا مبعوثين عنها الى البلاد الاغريقية تطلب اليهم أن يتحدوا فى مواجهة المقدونيين .

أما المقدونيون بقيادة أنتيباتروس نائب الملك على مقدونيا وحاكم بلاد الاغريق فكانوا فى موقف سئ عند بدء القتال فالجيش البرى صغير العدد وسفن الاسطول لاتزيد عن مائة سفينة وعشر سفن. ومع ذلك فقد سعى انتياتروس الى نزال ليوسثنيس قرب ثيموبولاى ولكنه واجه أثناء المعركة انسحاب القوات التسالية من جيشه ولم يجد وسيلة لانقاذ باقى جيشه الا بدفعه الى داخل مدينة لاميا. اضطر انتيجونس المحاصر أن يقدم عرضا بالاتفاق مع الثائرين ولكن ليوسثنيس رفض الا التسليم غير المشروط لأنتيباتروس. وبقى انتيباتروس تحت الحصار طوال الشتاء رغم مقتل ليوسثنيس أثناء احدى المناوشات اللاحقة بين الفريقين.

أدت الانتصارات المبكرة للعصبة الهلينية الى انضمام اعضاء جدد اليهافبينما فضل البيوتيون البقاء الى جانب المقدونيين لاسباب تاريخية(١)

---

(١) أدى تدمير الاسكندر لمدينة طيبة الى تخليص البيوتيين من سيطرتها وبقوا مقدرين للمقدونيين هذا الجميل.

وبقت اسبرطة مشغولة بعداءاتها الشخصية كانت العصبة الهلينية تضم الجزء الاكبر من شبة جزيرة البيلوبونيز وكل وسط شمال شبة جزيرة الاغريق تقريبا وان كان هذا التوسع لم يضف قوة لجيش الثائرين فقد تركت المدن الصغرى الأعضاء فى العصبة تركت مهمة القتال للمدن القائدة كأثينا.

ومع مقدم ربيع ٣٢٢ بدأت بشائر قوات المساعدة المقدونية تقبل من آسيا الصغرى فنجح ليوناتوس Leonnatus حاكم فرجيا فى التسلل عبر تراكيا ثم تساليا قبل أن يقود قواته لمراقبة المضايق كما نجح فى رفع الحصار عن أنتيباتروس فى لاميا، وان قتل بعد قليل فى لقاء مع خيالة التساليين الحلفاء الجدد لأثينا. أما أنتيباتروس فرغم خروجه من الحصار الا أنه لم يستطع غير الانسحاب بقواته الى مقدونيا.

ومع مدخل صيف نفس العام تغيرت أوضاع المقدونيين بوصول قوات دعم جديدة بقيادة كراتيروس كما وصل عدد السفن المقدونية فى بحر إيجه الى ٢٤٠ سفينة فى مقابل ١٧٠ سفينة بقيت للأثينين. وعندلقاء الاسطولين نجح الاسطول المقدونى بقيادة كليتوس Cleitu فى ضرب الاسطول الأثينى مرتين: واحدة قرب ابيدوس والثانية عند جزيرة أمورجوس Amorgos وقد أدى النجاح فى القضاء على الخطر البحرى الأثينى الى تخفيف الضغط عن القوات المقدونية البرية فانضم كراتيروس الى أنتيباتروس هناك ثم قامت القوات المشتركة باحتلال تساليا كما نجحا فى الضغط على قوات الحلفاء الثائرين عند Crannon وان لم يهزماهم

هزيمة كاملة ومع ذلك فان نتائج المعارك البحرية بالاضافة الى الهزيمة الجزئية فى البر دفعا الاثنيين وحلفاءهم الى قبول التفاوض مع انتيباتروس ولكن هذا رفض أن يتعامل مع المتمردين كعصبة بل اشترط ضرورة التعامل مع كل دولة من دول العصبة على انفراد وعقد اتفاقية بينه وبين كل قوة على حدة فيما عدا الايتوليين الذين رفضوا ذلك وعادوا الى ميدان القتال من جديد (١).

تشدد أنتيباتروس فى شروط صلحه مع الاغريق بعد الحرب اللامية فنشر حامياته المقدونية هنا وهناك كما اشترط نظما من الحكم صديقه لمقدونيا فنجد فى أثينا مثلا عاقب القادة المسئولين عن الحرب كما وضع حامية مقدونية على تل مونيخيا Munychia الذى يطل على بيرايوس واشترط شكلا من الحكومة عاد بالاوضاع الى دستور سولون أو من سبقه كما اشترط حدا أقصى لعدد المواطنين فى المدينة هو ٩٠٠٠ يملك كل منهم ٢٠٠٠دراخمة على الاقل، واعاد نظر الجرائم الكبرى الى الاريوس باجوس بدلا من المحاكم كما الغى دفع مرتبات أو اجور لقاء الخدمات الحكومية. وبقى الايتوليون انتظارا لحسم معركته عسكريا معهم بعد شتاء٣٢٢/٣٢١ ولكن تحركات برديكاس فى آسيا دفعت أنتيبايروس الى التساهل معهم وعقد صلح مع العصبة بشروط ميسرة.

---

(١) Pausanias I . 25 - 3 - 6 .

ويمكننا أن نقول أن الحرب اللامية كانت آخر الانتفاضات الاغريقية ضد المقدونيين بدافع قومى اذ أن القرون التالية شهدت تعاونا بينهما فى حكم الشرق ومع هذا يمكن القول بأن الاغريق استفادوا جدا من هزيمتهم العسكرية فى الحرب اللامية (١).

٤- سقوط برديكاس :

اختار برديكاس طريقا وعرا عندما تولى مسئولية الامبراطورية بعد الاسكندر، فلم يكن برديكاس أعظم رجال الاسكندر مكانة ولا أعلاهم مقاما ولكن وصلته السلطة العليا فى الدولة أو نجح سعيه اليها بسبب ظروف وجود أنتيبايروس وكراتيروس خارج بابل وقت موت الاسكندر.

أدى وصول برديكاس الى قمة السلطة فى الامبراطورية فى ظل وجود من هم أعلى منه مقاما كانتيباتروس وكراتيروس ومن ينكرون أفضليته عليهم كبطلميوس وأنتجونس أقول ادى هذا الى محاولة كل طرف أن يدفع الامور لصالحه. فبرديكاس كان مصمما منذ اللحظة الاولى على أن يملأ المركز السامى الذى يشغله ولذلك كان حاسما فى مقاومة أى انكار لمكانته والاخرون كانوا لايعيرون قراراته وأوامره التفاتا وقد أدى تعارض المواقف الى سلسلة من التداعيات التى انتهت بقتل برديكاس نفسه.

---

(١) M. Cary, op. Cit P. 9.

أول صور المقاومة لأوامر برديكاس حدثت من ليوناتوس حاكم فريجيا وانتيجونس حاكم الهلسبونت عندما طلب اليهما برديكاس التوجة بقواتهما ضد أرياراتيس Ariarathes حاكم كابادوكيا منذ أيام الاسكندر. وكان هذا الحاكم المحلى قد أخذ يوطد سلطانه ويوسع أملاكه (١) وكان لابد من ايقاف اطماعه فوجه برديكاس أمره الى الحاكمين السابق الاشارة اليهما ولكنهما لم ينفذاه. فقد فضل ليوناتوس الاستجابة الى طلب نجده أرسل به اليه انتيباتروس الذى كان مايزال يحارب الاغريق فى الحرب اللامية. اما انتيجونس فلم يكلف نفسه مجرد البحث عن عذر لعدم تحركه واهماله أوامر برديكاس رئيس الوزراء.

لم يجد برديكاس بدأ من أن يتحرك بشخصه ضد Ariarathes حتى لايترك لحاكم كابادوكيا الفرصة للتطاول على امبراطورية الاسكندر. وبعد أن نجحت حملته على كابادوكيا وأسر أرياراتيس ومعه أربعة آلاف من جنوده، بدا يفكر فى عقاب المتنعين عن تنفيذ أوامره فطلب الى أنتجونس ضرورة المثول أمامه فى بلاط الملك فى بابل لتبرير فعلته ولكن انتيجونس الذى كان يعلم معنى أن يذهب لبرديكاس فضل الهرب من ولايته واللجوء عند انتيباتروس فى مقدونيا.

---

(١) يبدو محتملا أن أرياراثيس قد فرض سيطرته على المستوطنة اليونانية سينوب، حيث ظهر إسمه على عملة هذه المدينة. أما إستيلائه على ترابيزوس فأمر غير مؤكد.

M . Cary , Ibid P .11 . F . N . I .

ثانى صور المقاومة لمكانة برديكاس جاءت هذه المرة من بطلميوس الذى كان أحصف رجال الاسكندر واكثرهم معرفة بالنفس البشرية كان بطلميوس قد فضل أن يذهب الى مصر بعيدا عن مركز الاهتمام والصراع فى بابل ومقدونيا ورأى أن الفرصة مواتية هناك لبناء حكم قوى بعيد عن صراع القمة. وكان من البداية عازفا عن الدخول فى المنافسات. رأى بطلميوس أن مما يدعم مركزه ويقويه أن يستولى على جثة الاسكندر تلك الاسطورة الباهرة التى استقطبت اهتمام العالم كله وخلبت لب كل المقدونيين ومعاصريهم فى مختلف البلاد. تلك الشخصية المؤلهة التى كانت ماتزال مؤثرة فى الاحداث حتى بعد موتها. مهد بطلميوس لهدفه بأن نشر وصية على لسان الاسكندر تطلب أن يدفن فى معبد أبيه آمون فى سيوة. ولكن مؤتمر بابل كان قد إتخذ قرارا بأن تدفن الجثة فى الجبانة الملكية فى Agae بمقدونيا وكلف ارهيدايوس- وهو غير الملك - باتمام بناء العربة واعداد موكب الملك المتوفى. وفى نهاية عام ٣٢٢ خرج الموكب من بابل عبر دمشق فى طريقه الى مقدونيا ولكن بطلميوس نجح فى اقناع أرهيدايوس بصحة وصية الاسكندر وحمله وزر عدم الاستجابة لرغبة الملك الميت ولعله اغراه أو رشاه : المهم أن الموكب غير اتجاه مسيرته وبدلا من الاستمرار غربا نحو مقدونيا تحول جنوبا نحو مصر، حيث وصلت الجثة الى ممفيس ودفنت هناك الى أن نقلت" الى الضريح الضخم الذى اقامه بطلميوس فى

الاسكندريه : صحيح أن بطلميوس نجح بذلك فى الاستحواذ على اثرذى أهمية هائلة لدى المقدونيين ولكنه فى نفس الوقت أثار غضب برديكاس الذى رأى فيما صنعه بطلميوس نوعا من التمرد على سلطته يوجب العقاب.

ثالث صور المقاومة لبرديكاس جاءت من الغرب من أنتيباتروس وكراتيروس أعظم المقدونيين مكانة فى عصرهما . صحيح أن انتيباتروس وكراتيروس أنشغلا أولا بحرب الاغريق عن الاشتراك فى اقتسام الغنيمة فى بابل. وصحيح أيضا أنهما لم يفكرا فى يوم من الايام أن يطيعا أوامر برديكاس الذى ظلا يعتبرانه أقل منهما مقاما، ولكنهما مع ذلك لم يسعيا فى البداية لمقاومته . حتى أن انتيباتروس استجاب لرغبة برديكاس بالزواج من ابنته نيكايا Nicaea وهنا بدا الخلاف يجد طريقه الى علاقه الرجلين فقد تلقى برديكاس فى نفس الوقت عروسا أخرى أعظم نسبا وهى كليوباترة شقيقة الاسكندر الاكبر والتى أرسلتها امها اليه نكاية فى انتيباتروس وفضل برديكاس شقيقة الملك العظيم على ابنة انتيباتروس مما أوغر صدر الاخير ضده خاصة بعد جهود أنتيجونس اللاجئ فى بلاط أنتيباتروس لتشويه صورة برديكاس عنده وبيان أن القصد من هذا الزواج هو محاولة ايجاد طريق شرعى لاغتصاب الملك ونقل قاعدته الى مقدونيا. ورغم أنه لاتقوم أى أدلة قوية على صحة هذا الاتهام فالواضح أن أنتيباتروس وكراتيروس فضلا التحوط للامر والاستعداد لمواجهة التحرك المنتظر

لبرديكاس ضدهما فسحبا قواتهما من المدن اليونانية فى نهاية عام ٣٢٢ ودخل عدد من القادة المعنيين بأمر مقاومة سلطة برديكاس فى مصاهرات مع أنتيباتروس، حيث تزوج كراتيروس ابنته فيلاPhila وزوجت يورديكى Eurydice لبطلميوس ونيكايا لليسماخوس حاكم تراكيا.

وهكذا وجد برديكاس نفسه محاطا بجبهتين معاديتين أنتيباتروس وكراتيروس ومعهما أنتيجونس فى مقدونيا وبطلميوس فى مصر بينما وقف ليسماخوس على الحياد.

اتجه برديكاس لضرب الجبهتين فى وقت واحد وكانت خطته تقوم على أن يقود بقايا جيش الاسكندر بنفسه ضد بطلميوس وأن يرسل ضد أنتيباتروس وكراتيروس جيشا آخر يقوده يومنيس حاكم كبادوكيا الجديد. وكان يومنيس هو الاغريقى الوحيد بين القادة المتصارعين بينما كان الباقون مقدونيين . ورغم أن يومنيس لم يشغل وظيفة عسكرية أثناء حياة الاسكندر الا أنه أثبت فى ميدان القتال صلابته وقدرته على أن يكون ندا لاعظم قواد جيش الاسكندر. بدأت المعركة بعبور أنتباتروس وكراتيروس لمضيق الدردنيل دون أن يواجها باية تحركات معادية مما أقنعهما بأن يوجها نصف الجيش وعلى رأسه أنتيباتروس لمعاونة بطلميوس فى حين يبقى كراتيروس لملاقاة يومنيس . وعندما التقى الجيشان عند الدردنيل فان كل الاحتمالات كانت لصالح كراتيروس وان تساوى الجيشان فى عددهما. وذلك لان جيش يومنيس لايضم الا عددا قليلا من

المقدونيين،كما كان بعض المقدونيين فى جيشه يرفضون ان يكونوا مرؤسين لاغريقى وفضل آخرون أن يتؤاطئوا مع الاعداء. ومع ذلك فقد نجح يومنيس اعتماد على الخيالة الكبادوكية فى الضغط على جيش كراتيروس حتي قرر الانسحاب من المعركة والانضمام الى انتيباترس من جديد خاصة وقد سقط كراتيروس نفسه قتيلا فى الميدان، والجدير بالذكر أن موت كراتيروس كان له وقع الكارثة على جنوده.

أماعلى الجبهة المصرية فقد أراد برديكاس أن يبدأ معركته باقناع جنوده بعدالة قصده واستحقاق بطلميوس للعقاب فدخل فى جدل مع بطلميوس ولكنه خسر هذا الجدل، فبدأ الحملة العسكرية وتقدم فى اتجاه الدلتا ولكنه فشل فى عبور الفرع البيلوزى للنيل فقرر أن يسير بمحاذاته حتى ممفيس وهناك تعرض لكارثة عند عبور جيشه فى النيل فرغم حسن اختياره لوقت العبور فى يونيو سنة٣٢١ أى قبل حلول موعد الفيضان الا أنه أساء اختيار موقع العبور فقد أدى ثقل الأحمال الى انهيارات فى قاع النهر ومن ثم عظمت خسائر الجيش وقد أدى هذا بثلاثه من ضباط برديكاس الى اغتياله فى خيمته احتجاجا على سوء قيادة للجيش : هؤلاء الضباط هم بيثون (قائد معركة بكتريا ضد الاغريق ٣٢٣) وانتجنيس وسليوكس. وضع موت برديكاس الامبراطورية أمام واقع جديد فرغم وجود ملكين لها الا أنها كانت بغير حكومة.

انتيباتروس يسد الفراغ:

ادى موت برديكاس الى اختفاء ممثلى السلطة العليا فى الدولة برديكاس وكراتيروس وتبع ذلك محاولة يوريدكى زوجة فيليب أرهيدايوس للاستحواذ على الوصاية. عندئذ عقد الجيش مؤتمرا فى شمالى سوريا فى Triparadeisos عام ٣٢١ ق.م بدعوة من أنتيباتروس الذى كان قد وصل الى سوريا على رأس قواته لمحاربة برديكاس . وقرر المؤتمر تعيين انتيباتروس اكبر القواد سنا ومكانة اداريا متمتعا بكل السلطات على الدولة، قبل انتيباتروس التعيين وأعاد تنظيم الدولة، وأعيد توزيع الولايات وعين أنتيجونس قائدا على جزء من جيش برديكاس ووصيا على الملوك، وكلفه أن يتخلص من بقايا أنصار برديكاس الذين بقوا تحت سيطرة يومنيس وشقيق برديكاس المدعو Alcetas كما عين كاسندر شليارخا تحت رياسة انتيجونس (١) لقد كان هذا التنظيم قصير العمر أولا : لان انتيجونس انفرد بالسلطة دون كاسندر وأبدى ولاء قليلا للملكين، مما حدا بانتيباتروس الى نقله الملوك معه الى مقدونيا وكذلك نقل مركز

---

(١) سعى أنتيباتروس الى تهدئة الأوضاع، فإتجه لارضاء كل المشاركين من أنصاره. كما سعى الى تمكين الأقوياء من الولاة حتى يأمن شرهم. ثم وزع الولايات فأقر بعض التنظيمات السابقة وعدل البعض الآخر لمكافأة من قام بدور متميز للتخلص من برديكاس مثل أنتيجنيس Antigenes . ومن دراسة هذه التنظيمات يلاحظ عزوف أنتيباتروس عن إدعاء أى إمتدادت فى الشرق اكثر مما حققه الاسكندر حيث أقر أنتيباتروس حق بوروس على ما فى يده و Taxiles - وهو حاكم هندى آخر- على أملاكه. إنظر قائمة ولاة كافة الأقاليم حسب هذا المؤتمر.

Arrian , FGrH 156 F 9 ss 34 - 38 .

الامبراطورية الى هناك.

على كل حال أدى ذهاب أنتيباتروس الى مقدونيا الى انفراد انتيجونس بالسلطة على الشرق، والمفروض أنه كان يمارس سلطته هناك باسم الامبراطورية: ومن المؤكد أن انتيباتروس عين انتيجونس فى هذه الوظيفة الهامة اعترافا بخطورته لاحبا فيه، اذ كان المتوقع أن يبدا انتيجونس حربا جديدة للحصول على مكاسب اقليمية بمجرد عودة انتيباتروس الى مقدونيا اذا لم يكن قد عين حاكما اسمى على اسيا. ولعل نفس الاعتبار هو الذى حدى بانتيباتروس الى الاعتراف بمطالب بطلميوس فى أن تطلق يده فى مصر دون رقيب، فقد كان انتيباتروس بذلك يمنع حربا يشنها بطلميوس للوصول الى مطالبه.

وهكذا وضح أن وحدة الامبراطورية لم تعد اكثر من شعار اكثر منها حقيقة ، وحتى لوعاش انتيباتروس لمدة أطول لما كان فى مقدوره الابقاء على هذه الوحدة الشكلية.

بعد تنظيمات Triparadeisos نعمت بلاد الاغريق بفترة من الهدوء بعد الكوارث التى عانتها البلاد أثناء الحرب اللامية. واستمرت الحروب فى أسيا الصغرى حيث نجح انتيجونس فى التخلص من بقايا أنصار برديكاس اذ تقدم فى ربيع ٣٢٠ ق.م حيث هاجم يومنيس واضطره بعد الهزيمة والهرب الى أن يحبس نفسه فى قلعه جبلية على حافة جبال طوروس فى كبادوكيا وبات أمر استسلامه لقوات انتيجونس مسألة وقت .

ثم نجح مطاردة جيش Alcetas لمسافة تقرب من ثلاثمائة ميلا خلال أسبوع واحد نجح فى تدمير جيش Alcetas بقواده.

نهاية اسرة الاسكندر الملكية :

مات انتيباتروس بعد مؤتمر Triparadeisos بعامين (٣١٩ ق.م) وعين الجيش طبقا لرغبته Polyperchon الذى كان واحدا من قدامى ضباط الاسكندر كخليفة له. ومن المعروف أن - بوليبرخون لم يكن رجلا ذو قدرات بارزة، بل كان أدنى مقدرة من أى من الولاة الرئيسيين فى امبراطورية الاسكندر فهو أدنى من انتيجونس وبطلميوس وليسيماخوس وسليوكس. وعندما اقترحه انتيباتروس فانه فضله على ابنه هو (كاسندر)(١). ومما لاشك فيه أن هذا الاختيار كان انتقاءا لرجل ليس عبقرى ولكنه امين وواقعى ومخلص لقضية الملكية ويمكن الوثوق فيه واذا قدر لبوليبرخون أن ينجح فى مهمته فان هذا النجاح لن يكون بسبب

---

(١) عين أنتيباتروس إبنه كاسندر شليارخا وبذلك يكون الرجل الثانى فى الامبراطورية من حيث السلطة، ويبدو أنه أراد بذلك أن يستبعد شبهة الربط بين القرابة والوراثة تأكيدا للولاء لأسرة الاسكندر. ولكن كاسندر لم يقتنع أن تذهب سلطه أبيه لغيره خاصة وأنه كان كفء لها. ولذلك قام باتصالات مع أصدقائه فى أنحاء البلاد دعاهم فيها الى الوقوف بجانبه ومناهم بالخير الوفير على يديه. كان من بين من تراسل معهم بطليموس فى مصر حيث طلب منه أن يكون حليفه وأن يزيده بأسطوله. كما راسل عدداً من قادة المدن اليونانية لنفس الغرض. وفى نفس الوقت رتب لرحلة صيد لكى يبعد عن ذهن بوليبرخون فكرة تمرده على السلطة.

Diod. XVIII . 48 - 49.

كفاءته وقدراته الشخصية، وانما يعتمد على المعاونة المخلصة التى توقع انتيباتروس أن يقدمها له الجيش من خلال ولاءه للبيت المالك ولكنه كان مخطئا فى توقعه اذ أن الجيش المقدونى أصبح اكثر ولاء لنفسه مستعدا لخدمة من يمكنه الوثوق به اكثر رغم أنه كان مايزال العامل الاكثر حسما فى التاريخ السياسى للعصر.

عنى موت انتيباتروس نشوب الحرب من جديد فى شرق الامبراطورية وغربها فقد واجة تعيين بوليبرخون انكارا من القادة الرئيسيين فى الاجزاء المختلفة من إمبراطورية الاسكندر، والواضح أنهم لم يكونوا ليعترفوا بأى سلطة مركزية اذا لم تكن سلطتهم هم : فنجد انتيجونس فى الشرق يبدأ سلسلة من الحملات على الولايات التى لم يخضع ولاتها له خضوعا كاملا (١). واندفع بطلميوس لاحتلال سوريا . وفى الغرب فان كاسندر الذى كان رئيسا للوزراء تحت اشراف بوليبيرخون رفض أن يعمل كمرؤوس لهذا الرجل وهرب الى انتيجونس حيث قدم له فرقة جنود

---

(١) عندما وصلت أخبار موت أنتيباتروس الى أنتيجونس فى الشرق كان قد هزم يومنيس فى كبادوكيا وألكتياس وأتالوس فى Pisidia، فضلا عن أن أنتيباتروس عينه قائداً عاما على آسيا بسلطات مطلقه. وكان قائدا لجيش كبير ضم ٦٠ ألف من المشاه وعشرة آلاف من الفرسان وثلاثون من أفيال. كل ذلك جعل إنتجونس يقرر حسم الأمر لصالحه خاصة ولديه إمدادتلاحد لها من الولايات الشرقية. فجمع مجلسا من أصدقائه وأقنعهم بالولاء له. ثم بدأ بعزل الولاة الموجودين وعين بدلا منهم أصدقاءه.

Diod. XVIII . 48-50 .

مساعدة له في حربه ضد بوليبرخون وقد تلقى كاسندر كذلك دعما من بطلميوس وليسيماخوس فيما بعد.

أراد بوليبرخون أن يواجه موجة انكار سلطته بكسب الحلفاء والأصدقاء فاعلن باسم الملك حق الاغريق فى ممارسة حريتهم واستقلالهم الذاتي. وقد أدى هذا القرار الى اضطرابات شديدة فى بلاد الاغريق اذ أدى الى ثورات الشعب ضد الاوليجاركية المتحكمة فى السلطة منذ تنظيمات أنتيباتروس وكذلك أدى الى اندلاع حروب صغيرة بين المدن والحاميات المقدونية.

وعندما أراد بوليبرخون أن يكسب اوليمبياس أم الاسكندر الاكبر الى صفه ضد كاسندر ويوريديكى فتح بابا للحرب الأهلية فى مقدونيا اذ دعا أوليمبياس أن تعود الى مقدونيا (١) وصية على حفيدها الاسكندر. وكان هذا يعني حدوث صدع عميق بين الملكين او بالتدقيق بين المرأتين اللتين كانتا تديران المسائل باسميهما خاصة والمعلوم أن أوليمبياس كانت تكره يوريديكى كراهية مميتة. فقد كانت زوجة ومرشدا لفيليب أرهيدايوس.

وفى الشرق عين بوليبرخون وأوليمبياس يومنيس الذي كان قد نجح بدبلوماسية محنكة في الخروج من قلعة نورا- كقائد عام على جيش

---

(١) كانت أوليمبياس تقيم فى إيبروس هربا من أنتيباتروس عندما دعاها بوليبرخون للعودة الى مقدونيا وصية على حفيدها.

Diod. XVIII . 48 - 49 .

الملك فى اسيا مع تعليمات بالتخلص من أنتيجوس. وتجدر الاشارة هنا الى أن يومنيس سبق أتخاذ قراره ضده فى Triparadeisos بأنه خارج على القانون يجب عقابه ولم يعدل الجيش عن هذا القرار حتى تاريخه.

كانت الحروب التى نشبت قاسية ودامية ومريرة. ففى الشرق نجح انتيجونس فى هزيمة يومنيس وأولئك الولاة الشرقيين الذى حاولوا عدم الخضوع الكامل له وقد أعدم يومنيس فى عام (٣١٦) فى معسكر أنتيجونس(١). ومع ذلك قلل من قيمة انتصارات أنتيجونس نجاح سليوكس والى بابل فى الهروب الى مصر حيث لجأ عند بطلميوس وبين له أن نجاح أنتيجوس فى بلوغ مراميه يعنى تدمير بطلميوس .

وفى بلاد اليونان وفى مقدونيا نجد أثينا بعد محاولة قصيرة العمر لاحياء دستورها الديموقراطى اجبرت على يد كاسندر على الخضوع وقام بها نظام الطغاة من جديد كان على رأسه ديمتريوس الفاليرى وقد حل فى عام ٣١٧ ق.م محل فوكيون الذى كان قد أعدم فى عام (٣١٨ ق.م) وفى مقدونيا نجح بوليبرخون الذى كان قد طرده كاسندر نجح فى اعادة

---

(١) يومنيس كان الاغريق الوحيد بين الحلفاء المقدونيين للاسكندر وقد حارب جيش كراتيروس وهزمه لصالح برديكاس (٣٢١ق.م) وهزمه أنتيجونس بعد تنظيمات تريبارادیسوس فلجأ الى قلعة نورا. وبعد وفاة أنتيباتروس عرض عليه أنتجونس أن ينسى ما كان بينهما من صراع وأن ينضم اليه ومناه بالكثير من المكاسب ولكنه رفض. ثم استجاب لطلب أعداء أنتجونس (بوليبيرخون وأوليمبياس) فتولى قيادة جيش باسمهما. وهزم أنتجونس سنة٣١٦. ولكنه تعرض لخيانة من فرقة الدروع الفضية. قبض عليه أنتجونس واعدمه.

أوليمبياس الى مقدونيا وجعلها مسئولة عن الاسكندر وروكسانا(٣١٧) حدث هذا بينما كان كاسندر موجودا فى حملة فى شبه جزيرة البيلوبونيز. وجدت أوليمبياس التأييد فى البداية رغم معارضتها لكل من فيليب أرهيدايوس ويوريديكى. ولكن اقدامها على اعدام أرهيدايوس ودفع يوريديكى للانتحار وقتل كل من ساعدهما ادى الى تحول ولاء الجيش والشعب لصالح كاسندر . وعاد كاسندر من اليونان بقوة كبيرة وحاصر أوليمبياس فى بيدنا، وفرض عليها الجوع الى أن تستسلم والاستسلام كان يعنى الموت. وأخيرا قتلت بأمر من كاسندر على أيدى أقارب ضحاياها الكثيرين عام ٣١٥ ق.م .

أصبح كاسندر سيد مقدونيا بعد مقتل أرهيدايوس ويورديكى وأوليمبياس. وسقط الاسكندر وروكسانا أسيرين لديه وهرب بوليبرخون من تساليا الى ايتوليا . وقد أبقى كاسندر على حياة الملك وأمه لاستخدامهما ورقة رابحة فى مستقبل الايام.

اختفت الحكومة المركزية واختفت اسرة فيليب المقدونى ولم يعد هناك من ينادى بحق هذه الاسرة فى حكم امبراطورية الاسكندر . وبعد كل هذه الاحداث أصبح السؤال المطروح عما اذا كان هناك من بين الحكام فى الولايات من يرغب ويقوى على التقدم كمرشح لخلافة الاسكندر وأن يعيد توحيد امبراطورته العالمية. كان واضحا للجميع أن هناك رجلا واحدا تنطبق عايه هذه المواصفات. هذا الرجل هو انتيجونس الاعور بمعاونة ابنه

ديمتريوس، فلقد أدعى مركز الحاكم الاعلى لأسيا بعد انتصاراته الكبيرة على يومنيس وهدف الى ابقاء هذه الوظيفة بعد عودته الى آسيا الصغرى. رأى باقى الولاة فى اطماع انتيجونس خطرا عليهم فتحالفوا وأرسلوا رسلهم الى انتيجونس لكى يشعروه بأنهم لاينظرون لانفسهم أبدا كولاة من قبل حكومة مركزية وانما هم يعتبرون انفسهم شركاء نصره على يومنيس ويطالبون بأنصبتهم فى غنائم الحرب. وهكذا دخل خلفاء الاسكندر فى حرب جديدة من أجل القضاء على محاولة احدهم خلافة الاسكندر(١).

بدأت الحرب فى عام ٣١٥ حارب انتيجونس على أكثرمن جبهة(٢): فى اليونان نجح انتيجونس فى استقطاب بوليبرخون وابنه الاسكندر للعمل لصالحه وفى آسيا نجح فى طرد بطلميوس من سوريا. وبعد هذه النجاحات الاولى بنى اسطولا قويا فى فينيقيا قواه فيما بعد بتحالفه مع رودس، وبذلك أصبح سيد شرق البحر المتوسط، وفى اليونان فتح دعاية ضد كاسندر حيث اعلنه عدوا عاما بسبب سوء معاملته للاسكندر وروكسانا وأعلن نفسه وصيا ونائبا للملك فى مكان بوليبرخون الذى أصبح فى ذلك الوقت أحد اتباعه. ولكى يحصل على تأييد الاغريق أعلن منشورا حول حرية الاغريق،

---

(١) Appian , Syrian Wars . 53.

(٢) عند بداية الصراع كان أنتيجونيس يملك ٥٢ ألف تالنت فضلا عن دخل سنوى يقارب ١١ ألف تالنت، وهذه الاموال كانت تمكنه من تجنيد جيش أضخم عدداً واكثر إستعداداً من جيش أى قائد من منافسيه. M. Cary , OP . Cit . P . 27 .

وقد ضم بعض المدن فى آسيا الصغرى ومدن الكوكلاديس فى عصبات حرة واتخذها حلفاء له(١). حاول بطلميوس ان يقاوم ذلك بالاستعانة بنفس الخدعة السياسية، ولكن حركته السياسية لم تكن مدعومة بقوة عسكرية مما جعلها ذات تأثير قليل فى بلاد اليونان . كان صراع انتيجونس فى بلاد الاغريق صراعا صعبا ومعقدا ، ولم يحرز انتيجونس هناك أى انتصار حاسم، وبقى كاسندر فى كامل قوته. وفى عام ٢١٤/٢١٣ خطط انتيجونس للوصول بالحرب فى اليونان الى نهايتها فقرر الهجوم على مقدونيا وفى نفس الوقت تهاجم قواته بقيادة بوليمايوس اليونان وعندها أراد الهجوم على مقدونيا عن طريق عبور الدردنيل منعه ليسماخوس من عبور المضيق وقد أدى ذلك الى أن أصبحت انجازات بوليمايوس فى بلاد اليونان عديمة القيمة تقريبا.

تعاقبت الاحداث فى الشرق بصورة أثرت تأثيرا حاسما على نتيجة الصراع ضد انتيجونس. فقد تقدم بطلميوس لاستعادة سوريا التى كان

---

(١) إستخدم أنتيجونس نفس حيلة بوليبيرخون فأعلن عن حق الأغريق فى الحرية والاستقلال والتحرر من وجود حاميات أجنبية فى بلادهم. وأرسل رسائل متعددة لمختلف المدن بهذا المضمون. كما أرسل الاسكندر بن بوليبيرخون والذى كان فى خدمته فى ذلك الوقت ومعه ٥٠٠ تالنت وقوات لدعم دعوته. وكان أنتيجونس يرى بأنه يستطيع بذلك أن يضمن وقوف الأغريق الى جانبه برغبتهم فى الصراع الجديد. ولم يقف بطلميوس بعيداً بل حاول القيام بنفس الدعاية السياسية وأعلن نفس الكلمات مثل المقدونيين وأنتيجونس عن حريه الاغريق . Diod . XIX . 61-62 . 2.

قد طرد منها، وكان انتيجونس قد ترك ابنه ديمتريوس فى غزة وكان بذلك يسعى الى فتح جبهة جديدة ضد انتيجونس لتخفيف الضغط عن حلفائه فى اوربا فضلا عن ابعاد خطر الغزو عن مصر على يد ديمتريوس، استطاع بطلميوس ان يوقع بديمتريوس هزيمة ساحقة فى غزة (٣١٢) ولكن انتصاره كان قصير العمر اذ سرعان ماتعرض لهجوم مضاد من ديمتريوس أدى الى نجاح جزئى ثم عاد أنتيجوس نفسه الى سوريا ولم يجد بطلميوس أمامه من خيار سوى الانسحاب الى داخل مصر.

أدت حملة بطلميوس القصيرة على سوريا الى بعض النتائج منها نجاح سليوكس الذى كان لاجئا عند بطلميوس -فى استعادة ولايته السابقة فى بابل. ثم بذل سليوكس جهودا جبارة لتوسيع حدوده شرقا(١). أزعج هذا التطور الجديد أنتيجونس الذى اعتبر عودة سليوكس الى بابل عنصر هدم يمكن أن يعصف بخططه. ولذلك وجه ابنه ديمتريوس على وجه السرعة الى بابل لضرب سليوكس الذى كان مشغولا عند وصول قوات

---

(١) كان سليوكس قد عين ولياً على بابل فى عام ٣٢٠ق. م ولكنه وقع فى خلاف مع أنتيجونس فهرب الى مصر محتميا ببطلميوس . وقد إستطاع سليوكس أن يغذى شكوك بطلميوس وباقى الحلفاء ضد أطماع أنتيجونس وتكون حلف من بطلميوس وليسيماخوس وكاسندر وأسندوا أمور هذا الحلف لسليوكس. إستطاع سليوكس استغلال فرصة هزيمة بطلميوس لديمتريوس فى غزة عام ٣١٢ وذهب مباشرة الى بابل لاستعادة حكمه وكانت معه قوه من ألف جندى من المشاة و٢٠٠ من الفرسان . واستطاع هذا الرجل أن يوسع امبراطوريته فى فترة قصيرة.

Appian , Syrian Wars . 53-54 .

ديمتريوس بتوسيع حدوده الشرقية. ومع ذلك لم يحقق ديمتريوس النجاح المطلوب، وفي نفس الوقت تعرض انتيجونس لخيانة أحد قواده في الغرب، أدت هذه الأحداث الى اقناع انتيجونس بارجاء العمليات العسكرية فى الغرب والجنوب الى أن يعيد سلطته على الشرق بطرد سليوكس من هناك وبعدها يستأنف الصراع ضد كاسندر وليسيماخوس وبطلميوس، حيث كان وجود سليوكس كعدو على حدوده الشرقيه أمر يعيق أنطلاقه غربا أو جنوبا تاركا قلب دولته تحت رحمة سليوكس، فضلا عن أن أستيلاء سليوكس على بابل والولايات الشرقية كان يحرم انتيجونس من امدادت الرجال والخيول والافيال والنقود التى كانت تأتيه من الشرق البعيد ويبدو أن رغبة انتيجونس فى عقد هدنه مع اعدائه الاخرين صادفت هوى فى نفوسهم ولعلهم كانوا هم الاخرين يحتاجون لفترة يلتقطون فيها الانفاس، ومن ثم حدثت اتصالات انتهت بعقد اتفاق بين انتيجونس وكاسندر وليسيماخوس وبطلميوس وقد عرفنا مضمون هذا الاتفاق من خطاب ارسله أنتيجونس بعد اتمامه الى مدينة Scepsis (١). ويرجح هذا التفسير أن المتعاقدين استبعدوا سليوكس من الاتفاق وتخلوا عن زميلهم عند الاتفاق، بل وأنكروا وجوده فى بابل وانتصارته على الولايات الشرقية فجاء الاتفاق

---

(١) مضمون نفس الاتفاق ورد عند ديودور الذى ذكر أن كاسندر وبطلميوس وليسيماخوس وضعوا جدا للحرب ضد أنتيجونس خلال عام أرخونية Simonides فى أثينا (٣١١/٣١٠) وعقدوا معاهدة ذكر تفاصيلها وهى لاتختلف عما جاء فى خطاب أنتيجونس لمدينة Scepsis. Diod. XIX. 105. 1-4.

معترفا بكاسندر حاكما على مقدونيا الى أن يصل الاسكندر الرابع سن الرشد، اما ليسيماخوس فقد اعترفوا له بما تحت يده من اراضى وفقد بطلميوس بموجب هذا الاتفاق سوريا وان استعاد قبرص أما انتيجونس فقد اعترفوا به حاكما على كل الشرق بما فيه سوريا وولايات سليوكس (١). وتم اعلان حق المدن الاغريقية فى الحرية. ويعتبر عقد هذا الاتفاق انتصارا دبلوماسيا هائلا لانتيجونس. وكما كان متوقعا استغل انتيجونس فترة الهدوء التى هيئتها الاتفاقية لكى يحاول اعادة اخضاع الولايات الشرقية لسلطته بينما استغل اعداؤه هذة الهدنة لتجديد قواهم العسكرية.

اتجة انتيجونس الى الشرق املا أن يهزم سليوكس وقضى الفترة من ٣١٠ الى ٣٠٨ فى معارك متصله ضده دون أن ينجح فى هزيمته. وقد أدى غياب انتيجونس الطويل عن الساحة فى الغرب الى استغلال اعدائه لهذا الغياب، فقد نجح كاسندر أن يتخلص من الاسكندر الرابع فى عام (٣١٠) بقتله، كما نجح فى اجتذاب بوليبرخون (الذى كان وصيا على المملكة بعد موت انتيباتروس ثم دخل فى خدمة انتيجونس) للعمل فى خدمته وترك انتيجونس.

اما بطلميوس فقد استغل غياب انتيجونس فى الشرق للسيطرة

---

(١) إن عدم مشاركة سليوكس فى الاتفاق يبدو أنه تم بتدبير من أنتيجونس حيث كان يرغب فى التخلص منه بعد الاتفاق مع حلفائه السابقين . ولكن بغير شك أن قبول الحلفاء التخلى عن حليفهم كان سببا فى إضطراب علاقتهم بسليوكس فيما بعد .

على مدن كثيرة من بلاد الاغريق بحجة تحريرها ثم وضع فيها حاميات لحماية هذة الحرية وبذلك احتل مكانة انتيجونس فى بلاد الاغريق.

أدى هذا بانتيجونس الى أن يسرع الى الغرب ولكنه وجد بلاد الاغريق فى ايدى بطلميوس وكاسندر والجزر تحت حماية بطلميوس، ومع ذلك اضطر انتيجونس الى بدء عمليات حربية فى الغرب رغم أن حكمه فى آسيا كان مايزال عرضة للخطر نظرا لوجود سليوكس شوكة فى ظهره. حقق انتيجونس نجاحين باهرين ولكنهما لم يستمرا طويلا، فقد استعاد ديمتريوس ابنه حرية أثينا فى عام ٣٠٧ ق.م (١) وكذلك جزء كبير من بلاد الاغريق كما استطاع ديمتريوس أن يهزم اسطول بطلميوس امام قبرص فى معركة كبيرة فى عام (٣٠٦) (٢) .

---

(١) وصل ديمتريوس أمام بيرايوس فى ٢٦ ثارجيليون (٣٠٧ق. م) واعتقد المدافعون أن الأسطول يخص بطليموس ولذلك لم يرفع أحد السلاح فى وجه القادمين . ووجد ديمتريوس بوابات الميناء مفتوحة فأبحر داخله. وعندما إكتشف المدافعون الحقيقة كان الوقت قد فات . طلب ديمتريوس الهدوء والسكوت . وأعلن من خلال منادى أن أباه قد أرسله لكى يحرر الاثينيين . ولكى يطرد الحامية المقدونية ولكي يعيد لهم قوانيين أسلافهم.

وقد فرح الاثينيون بهذا الاعلان كثيراً، ودعوا ديمتريوس للنزول وأطلقوا عليه ألقاب المحرر والمنقذ . بل أنشاؤا فيما بعد فى موقع نزوله مذبحا يقدمون عليه القرابين على شرفه وأنشاؤا قبيلتين إضافيتين الى العشرة قبائل القائمة باسم كل من أنتيجونس و ديمتريوس ، وجعلوا مجلس الخمسمائة ستمائة لكى يضموا خمسين ممثلاً لكل قبيله.

Plutarch , Demetrius 8-10.

(٢) هناك إختلافات في تقدير عدد سفن أسطول كل من بطلميوس وديمتريوس فى معركة سلاميس (٣٠٦) وإن كان المرجح أن أسطول الأول ضم حوالى ١٥٠ سفينة وأسطول الثانى اكثر من مئة بقليل. ويبدو أن هزيمة بطلميوس كانت ضخمه فقد تراوحت حول أعداد سفنه الناجية من الكارثة بين ٨ و ٢٠ سفينة.

M. Cary , op. Cit Appendix NO. 4.

وقد رأى أنتيجونس ان نتيجة المعارك ضد كاسندر وبطلميوس تعطيه الحق فى أن يعلن نفسه ملكا على الامبراطورية وأن يتصرف طبقا لذلك. ولكن هذا الادعاء من جانب أنتيجونس ووجه باعتراض من جانب بطلميوس الذى اعلن هو الأخر نفسه ملكا على مصر (٣٠٥) لكن يعلم انتيجونس انه غير مستعد لقبول ادعائه بالملك، وقد وجه انتيجونس حملة ضد مصر لتأديب بطلميوس ولكنها فشلت، شجعت خطوة بطلميوس كل حكام الهلينستيين الرئيسيين على اتخاذ القاب الملك فعل ذلك ليسيماخوس وكاسندر ومن بعدهما سليوكس.

وبينما كان انتيجونس يحاول دون فائدة أن يهزم بطلميوس كان عدوه الاخر كاسندر يزداد قوة. وكان يكسب أرضا فى بلاد الاغريق بانتظام وهدد حرية أثينا التى تحققت فى حماية ديمتريوس بن أنتيجونس عاد ديمتريوس باسطوله الكبير الى بلاد الاغريق وأنقذ أثينا وسيكيون وكورنثا وأغلب مدن البيلوبونيز من أيدى كاسندر، كما أعاد تكوين العصبة الهلينية تحت قيادة أبيه فى عام (٣٠٢ ق.م) عندئذ اضطر كاسندر الى عقد صلح منفرد مع أنتيجونس(١).

---

(١) خطط أنتيجونس لانشاء هذه العصبة فى عام ٣٠٧ ولكن لم تصبح الظروف مواتية لإقامتها الا بعد إنتصار ديميتريوس على كاسندر والاشارة الوحيدة خلال عامى ٣٠٤و٣٠٣ عن الموضوع فى الاعمال الأدبية وردت عند بلوتارخ حيث ذكر "وعندما إجتمع الاغريق فى مؤتمر عام عند خليج كورنثا وتجمع عدد كبير منهم. تم إعلان ديمتريوس قائدا للاغريق -

أما أقوى أعداء أنتيجونس وهما ليسيماخوس وسليوكس فلم يقولا كلمتهما فى الصراع حتى ذلك الوقت، ورغم أن كاسندر خرج من الصراع الا انه نجح فى اقناع ليسيماخوس ومن بعده بطلميوس وسليوكس أن يبدا عمليات عسكرية عنيفة ضد انتيجونس وكان من الواضح أن قوات الحلفاء، حتى بدون اشتراك بطلميوس كانت ندا لقوات انتيجونس وقد تم التغلب على مشكلة توحيد جهد الحلفاء فى المعركة بفضل الكفاءة غير العادية لليسيماخوس، وكانت النتيجة هى معركة ابسوس الحاسمة التى أدت الى نهاية امبراطورية انتيجونس (٣٠١).

مات انتيجونس فى ابسوس وانتهت اطماعه ولكن ابسوس فتحت شهية باقى الملوك - فيما عدا بطلميوس ـ لتبنى خطط انتيجونس فى انشاء امبراطورية لكل منهم. فليسيماخوس الذى كان قد ضم الى مملكته بعد ابسوس جزءا كبيرا من اسيا الصغرى بما فيها كبادوكيا (ولكن بدون بونتس وبثينيا) كان يخطط لضم مقدونيا وبلاد اليونان ان عاجلا أو اجلا، وسليوكس كان يرجو توسيع مملكته الشرقية القوية والغنية. اما بطلميوس

---

* مثلما كان الحال مع فيليب والاسكندر" وقد بقيت شذرات من ميثاق هذه العصبة؛ يبدو منها أن الهدف من وجود هذه العصبة كان ضمان بقاء تأييد الاغريق لأنتيجونس وابنه طالما بقى الصراع قائما مع خلفاء الاسكندر الآخرين. وقد أدت الوفاة غير المتوقعة (٣٠١) لأنتيجونس الى تفكك العصبة وإنتهائها.

فى Plutarch , Drmetrius 25 .

Staatsv . III . 446

فلم تكن له مثل هذه الخطط وانما حصر سياسته فى تقوية مملكته على أن يلحق بها بعض اقاليم اخرى لسبب موقعها الاستراتيجى اوغناها فى المواد الاولية وهيمنتها على طرق التجارة الدولية : هذه الاقاليم مثل الساحل السورى الذى غزاه فور انتهاء الحلفاء من انتيجونس وقبرص وبعض سواحل آسيا الصغرى الجنوبية. اما كاسندر فنظرا لظروف اجهاد مملكته فى مقدونيا كان راضيا بسيطرة قلقة فى مقدونيا واليونان.

يبقى بعد ذلك ديمتريوس بن انتيجونس ورغم أن أباه سقط فى معركة ابسوس ورغم فقدانه لاغلب املاك أبيه فقد كان هناك بعض نقاط البداية فلدية اسطول ضخم يسيطر على مياه بحر ايجه ويتخذ من قبرص قاعدة له(١). وكان مايزال رئيسا للعصبة الهلينية ومسيطراً على عصبة الجزر وكان مالكا لكثير من المدن الاغريقية فى اليونان خصوصا أثينا وفى أسيا الصغرى كاريا وأيونيا وعلى الساحل الفينيقى، وبذلك كان مايزال منافسا خطيرا للمنتصرين فى ابسوس انحصرت سياسة ديمتريوس فى محاولة استعادة امبراطورية ابيه أو بعض اجزائها، ولكنه ووجه بنكران فى أثينا وانحلت العصبية الهلينية، ووجد أن فرض سيطرته بالقوة على بلاد الاغريق يعنى، أن يدخل حربا طويلة ضد كاسندر مع احتمال ضئيل للنجاح. ولذلك فضل ان يبدأ محاولته لاستعادة الامبراطورية المفقودة من

---

(١) ديمتريوس برليوركيتس (فاتح المدن) ولد حوالى ٣٣٧ ومات ٢٧٢ ق . م .

آسيا خصوصا في ظل وجود اسطوله القوى في قبرص، كما استغل ديمتريوس تفكك المنتصرين وتباعد مواقفهم للبحث عن حلفاء. فقد كان سليوكس وبطلميوس قد دخلا مرحلة خصام بسبب استيلاء بطلميوس على سوريا التي يراها سليوكس جزءا من مملكته وليسيماخوس كان قد أصبح جارا لسليوكس في آسيا الصغرى وكان يشعر بقلق وخوف من خطط سليوكس التوسعية. وهكذا وجد ديمتريوس الفرصة في عام ٢٩٩ ق.م للتحالف مع سليوكس المعزول عن حلفائه تقريبا كما دخل في علاقات دبلوماسية مع بطلميوس، وحتى في بلاد الاغريق ومقدونيا فان موت كاسندر في عام ٢٩٧ قد انعش آمال ديمتريوس ونظرا الى ان موقفه في آسيا الصغرى لم يكن مبشرا ونظرا لانه رأى أن فرص النجاح في اليونان كبيرة حيث مصادر الرجال والسفن والمال واسعة وقدر أنه لن يصادف منافسين خطرين في اليونان. عندئذ تخلى عن املاكه في آسيا الصغرى لاعدائه وأبحر الى اليونان وقدر أنه اذا سيطر على بلاد اليونان، فانه قادر على هزيمة مقدونيا ثم الثأر من اعدائه. وقد فهم أعداؤه هذا وعملوا في الحال على ضرب خططه . لم يستطع المتحالفون ضد ديمتريوس أن يوقفوا تنفيذ خططه في اليونان فنجح في استعادة السلطة في أثينا بعد بعض المقاومة وذلك في عام ٢٩٤ ومن أثينا تقدم لاستعادة باقي بلاد اليونان وأثناء حربه مع اسبرطه تصارع ابنا كاسندر على السلطة في مقدونيا فاستعان أحدهما بديمتريوس وبيرهوس على أخيه وسبق بيرهوس الى

معاونته وعندما وصل ديمتريوس الى مقدونيا وجد ان الامر قد استقر لصالحه (الاسكندر بن كاسندر) فتأمر عليه واغتاله وانتخبه الجيش المقدونى ملكا عليها. وهكذا أصبح ديمتريوس منذ عام ٢٩٣ أقوى حكام العالم الهلينستى حتى أن أعداءه لم يقدروا على التصريح بعدائهم له، خصوصا وهم جميعا كانوا يعانون من مشاكل فى ممالكهم . وهكذا كانت لدى ديمتريوس الفرصة للسيطرة على باقى المدن اليونانية التى بقيت خارج سيطرته حتى ذلك الوقت وكان أعداؤه فى بلاد اليونان يضمون ابيروس وأيتوليا واسبرطه وثارت بيوتيا ضده عدة مرات. كما أن الحالة فى أثينا لم تكن مستقرة تماما، اما أضعف النقاط فى الولاء لديمتريوس كانت مقدونيا حيث كان الجيش يرفض كثيرا من تصرفات قائده اذ كان يتصرف فى مقدونيا كما كان يتصرف فى الشرق وأعتبر الجيش المقدونى هذا نوعا من الإهانة والاعتداء عليه، وبذلك كان الجيش مستعدا لان يتخلى عن قائده اذا ما لاحت له أية فرصة وقد واتته هذة الفرصة عند خرج ديمتريوس لكى يستعيد املاكه المفقودة فى اسيا (٢٨٩).

اعتبر ليسيماخوس (١) فى ظروف ديمتريوس فرصته الأخيرة لمنعه من تنفيذ خططه فقد كان على اتصال باعداء ديمتريوس فى اليونان

---

(١) ليسيماخوس ولد حوالى ٢٥٥ من أصل مقدونى صار واليا على تساليا بعد موت الاسكندر الاكبر كما أصبح سيد غرب أسيا بعد موت أنتيجونس ٣٠١ق.م قتل فى معركة ضد سليوكس فى ليديا عام ٢٨١. وقد إنتهت مملكته بموته.

(بيرهوس والايتوليين) وكان يعلم بصعوبة موقفة اذ أن المدن اليونانية كانت ترضخ له تحت وطأة القوة، كما كان يعلم أن المقدونيين غير راغبين فى استمرار قيادة ديمتريوس لهم. رأى ليسيماخوس ايضا أن نجاح ديمتريوس في العبور الى آسيا وتحقيقه انتصارات هناك ربما يؤدى الى تقوية مركزه ويقلب حسابات اعدائه رأسا على عقـــــب.

لذلك اشترك ليسيماخوس وبيرهوس (١) فى شن حملات مشتركة على مقدونيا فى ربيع عام ٢٨٨ ق.م وعند مواجهة ديمتريوس لاعدائه قرب Beroea هجره أغلب جنوده المقدونيين وذهبوا الى بيرهوس، وانهارت سلطة ديمتريوس فى مقدونيا مما اضطره الى الهروب الى كاسندريا (بوتيدايا القديمة) . ومن هناك هرع الى بلاد اليونان لكى ينقذ على الاقل املاكه هناك. وقد نجح فى هذا اذ ان بطلميوس لم يكن مستعدا لحربه كما أن ليسيماخوس لم يتدخل ضده هناك. الا أن وضعه فى بلاد اليونان كان وضعا قلقا، ولذلك وضع كل الرجاء على غزو آسيا واستعادة املاكه هناك اذا مانجح فى أخذ ليسيماخوس على حين غرة (٢٨٧) ولكن خاب هذا

---

(١) بيرهوس ملك إبيروس كان أحد المتشبهين بالاسكندر الاكبر. دخل فى مغامرات وتحالفات من أجل السيطرة على مقدونيا وبلاد اليونان. وعندما لم تحقق طموحه سعى نحو الغرب حيث إستجاب لدعوة تارنتوم فى عام ٢٨٠ق.م وعبر ومعة عشرين ألفا من جنوده الى إيطاليا حيث حارب روما؛ ثم إنتقل دون حسم للمعركة معها الى صقلية حيث حارب قرطاج. ضاق به السيراكوزيين حتى ترك بلادهم ثم هزمه الرومان فى Beneventum وأضطر للعودة الى بلاده دون أن يحقق شيئا من آماله. وقد مات ٢٧٢ق.م.

الرجاء عندما فشل جيشه ٢٨٦ فى مواجهة جيش ليسيماخوس واضطر للتقهقر أمامه، عندئذ أراد ان يعبر طوروس وان يحاول تجربة حظه المناطق فى الشرقيه البعيدة الا أن من تبقى من قواته رفض ان يتبعه فى خططه. عندئذ اتصل بسليوكس لكى يحالفه على ضرب ليسيماخوس ولكن سليوكس خيب رجاءه. فصمم ديمتريوس على محاربة سليوكس نفسه ولكنه وقع مريضا واضطربت امور جيشه اثناء مرضه فاستسلم لسليوكس فى عام (٢٨٥) وقع ديمتريوس اسيرا عنده، وقضى باقى عمره ضيفا غير مرغوب فيه فى مدينة أباميا، ومات سكيرا.

أدى سقوط ديمتريوس من على المسرح السياسى الى تغيير كبير فى الخريطة السياسية للعالم الهلينستى. وكان أكثر المستفيدين من هذا هو ليسيماخوس. اذ أن ليسيماخوس استولى على نصف مقدونيا بعد طرد ديمتريوس منها بمقتضى اتفاقه مع بيرهوس. ثم استولى على النصف الاخر فى عام (٢٨٦ ق.م) بعد أن أدى تحالفهما المؤقت غرضه فى التضييق على انتيجونس(جوناتاس) بن ديمتريوس الذى كان يسيطر على أثينا(١).

---

(١) عاش بين ٢٢٠و٢٢٩ق.م هو إبن ديمتريوس فاتح المدن وحفيد أنتيجونس(الأعور). هزم الجلاتيين فى تراكيا واستولى على مقدونيا ٢٧٦. وقع صراع بينه وبين بيرهوس الذى غزا مقدونيا وبينه وبين بطلميوس الذى حرض المدن الاغريقية. وقامت حرب خرمونيدس ولكن جوناتاس خرج من هذه الحرب سيداً لبلاد الاغريق. كما صار سيداً لجزر إيجة بعد هزيمته للبطالمة فى معركة بحرية قرب كوس(٢٥٨-٢٥٦). ولكن البطالمة سرعان ما إستعادوا مافقدوه بل وألبوا عليه العصبة الآخية. كان جافا فى طباعة ولكنه كان محبا للثقافة وقد إستضاف فى بلاد عدداً من الشعراء والفلاسفة والمؤرخين ويعزى اليه إعادة بناء مقدونيا.
الموسوعة العربية المسيرة ط ١٩٧٥ .

وهكذا تراجع بيرهوس وسيطر ليسيماخوس على مقدونيا وأغلب بلاد اليونان بينما لم يبق لانتيجونس سوى السيطرة على عاصمته ديمترياس. ولكن اتساع املاك ليسيماخوس اشعلت جذوة الشك والغيرة فى نفوس اصدقائه القدامى بطلميوس وسليوكس.

وبطلميوس ورث جزءا ضخما من اسطول ديمتريوس وولاء أغلب جزر بحر ايجه بالرشوة وهكذا أصبح بطلميوس سيدا على كل من البحر الايجى والساحل الفينيقى، ممتلكا لاقوى القوى البحرية فى العالم الهلينستى، ومنافسا خطيرا لكل من ليسيماخوس وسليوكس.

وسليوكس ايضا لم يكن مستعدا لان يذعن للموقف الذى خلقه موت ديمتريوس فقد اعتبر سيطرة ليسيماخوس على آسيا الصغرى وسيطرة بطلميوس على معظم المناطق الاستراتيجية أشواك مغروسة فى جسده. ولكن سليوكس مع ذلك بقى ساكنا طالما بطلميوس العجوز صاحب الافضال عليه على قيد الحياة، وطالما بقى ليسيماخوس قابضا بقوة على ناصية الامور فى مملكته.

مات بطلميوس الاول فى عام ٢٨٢ وكذلك مات ديمتريوس فى نفس العام وانتقل الحكم من بعده لابنه بطلميوس الثانى الذى عرف بالمحب لأخته فيلادلفوس وقد أدى هذا الى حرمان أخيه الاكبر غير الشقيق بطلميوس

العاصفة Ceraunus من العرش(١) ، فترك مصر لاجئا عند سليوكس ثم عند ليسيماخوس ، واستطاع بطلميوس العاصفة واخته غير الشقيقة أرسينوى وكانت زوجة ثالثة لليسيماخوس أن يثيرا الشكوك فى قلب الرجل ضد ابنه اجاثوكليس مما أدى الى قتل الابن ومؤيديه، وهربت زوجته وأطفاله لاجئين عند سليوكس أدى قتل اجاثوكليس الى هياج الرأى العام ضد ليسيماخوس واستغل سليوكس الموقف وسار ضده ومعه الأرملة (٢) وأولادها واسقبلتهم مدن آسيا الصغرى استقب"الا ودودا الى أن التقى

---

(١) بطلميوس كيراونوس ابن بطلميوس الأول من يوريديكى ابنة أنتيباتروس. وقد إستطاعت زوجة أبيه(برينيكى) أن تؤمن العرش لابنها بطلميوس (فيلادلفوس) حيث أشركه ابوه فى الحكم منذ عام ٢٨٥ق.م. غادر كيراونوس مصر بحثاً عن فرصته. ونجح فى إستمالة سليوكس الى صفه ولكن الرجل كان عازف عن دخول صراعات مع مصر فى حياة بطلميوس الأول، فذهب كيراونوس الى ليسيماخوس ولم يكن حماس الثانى له أفضل من حماس الأول؛ فقد كان حريصا على تدعيم علاقاته مع مصر، الا أن ليسيماخوس سمح لكيراونوس بالاقامة فى بلاطه. اشترك مع سليوكس فى هجومه على مقدونيا وأثناء عبور سليوكس للدردنيل قتله بيده وإستولى على مقدونيا. كان المؤهلون للنزاع معه ثلاثة ولكن ظروفهم جميعاً لم تسمح بمواجته فأنطيوخس كان مشغولا فى سوريا وبيرهوس كان مشغولا بحملته على إيطاليا وجوناتاس كان أضعف من أن يواجهه. وبقيت أرملة ليسيماخوس وهى أخته غير شقيقة لكيراونوس (أرسينوى الثانية) إستطاع كيراونوس أن يزيل مخاوفها بالزواج منها مع وعد بأن يكون إبنها الأكبر وريثه على مقدونيا. ولكن الرجل نقض هذا العهد بعد قليل وقتل ولدين وهربت هى ومعها الثالث الى مصر حيث تزوجت فيلادلفوس أما كيراونوس فبعد أن قضى على أعدائه الخطرين فى العالم الهلينستى أو أمن شرهم جاءه الخطر من قبائل الجلاتيين التى هاجمته وقتلته فى معركه Allia فى عام ٢٧٩ ق.م.

(٢) لوساندرا إبنة بطلميوس الأول يوريديكى ولذلك فقد كانت شقيقة كيرانوس وكانت إختا غير شقيقة لأرسينوى زوجة ليسيماخوس(٣٠٠ق.م) بطلميوس كيراونوس ثم بطلميوس الثانى.

جيش سليوكس بجيش ليسيماخوس فى Corupedion ليديا (٢٨١). والجدير بالذكر أن الرجلين كانا القائدين الوحيدين من قواد الاسكندر الباقيين على قيد الحياة، وفى المعركة التى قامت هناك هزم ليسيماخوس وقتل وسقطت مملكته فى يد سليوكس الذى وحد مرة أخرى تحت حكمه الجزء الاكبر من امبراطورية الاسكندر. انضم بطلميوس العاصفة Ceraunus الى سليوكس، وفى اثناء عبور الاخير لمضيق الدردنيل قتل بطلميوس العاصفة سليوكس وانتخبه الجيش المقدونى ملكا على مقدونيا فى عام ٢٨٠ ق.م.

ويمثل هذا العام ٢٨٠ ق.م نهاية فترة خلفاء الاسكندر وحروب الخلافة التى لم تهدأ ابدا وكانت السنوات الثلاث والاربعون التالية لموت الاسكندر سنوات حرب مستمرة تقريبا، شملت كل نقطة من امبراطورية الاسكندر، ولم يشعر خلالها أى حاكم من الحكام أيا كانت قوته بالامان خلالها على نفسه وعرشه . فكل منهم كان له منافسون واعداء يعملون على توسيع رقعة ممالكهم على حساب ممالك جيرانهم. هناك ظاهرة أخرى ميزت تلك الفترة (٣٢٣ الى ٢٨٠) وهى استمرار وجود احد القادة الذى يعتبر نفسه خليفة للاسكندر وكان هذا التطلع لخلافة الاسكندر يجر على صاحبه عداء القادة الاخرين.

وهكذا نلاحظ أن برديكاس وأنتيباتروس حاولا أن يعيدا توحيد الامبراطورية لصالح البيت المالك ولكن انتيجونس وديمتريوس وحتى

ليسيماخوس وسليوكس حاولوا اعادة توحيد الامبراطورية كل لحسابه الخاص . وكل من تصدى لهذا المهمة واجهته تحالفات بين من اعتبرهم هؤلاء ولاة عصاة لأوامرهم. ونجحت دائما هذه التحالفات فى قتل محاولة التوحيد. وكان لابد من انتظار الجيل الثانى من الاسر الحاكمة الكبرى فى العصر الهلينستى حتى تستقر فكرة وجود ممالك هلينستية متعددة ومنفصلة ومستقلة . وأن يصل العالم الى نوع من توازن القوة بين هذه الممالك لقد كان بطلميوس الاول هو الذى غرس هذه الفكرة ورعاها وسار على دربها ابنه بطلميوس الثانى، ثم قبلها ملك سوريا انطيوخس بن سليوكس وملك اليونان انتيجونس بن ديمتريوس.

٢ـ فترة توازن القوى فى العالم الهلينستى

بقى بطلميوس Ceraunus ملكا على مقدونيا وتلقى اعتراف انطيوخس الاول به بعد موت سليوكس كما نجح فى هزيمة منافسه الرئيسى فى بلاد اليونان أنتيجونس جوناتاس فى معركة بحرية مشهورة وبذلك أصبحت الطريق مفتوحه امامه لترسيخ أقدامه فى مقدونيا وتوسيع مملكته خاصة وأن منافسه الاخير بيرهوس ملك ابيروس كان غائبا فى حملته على ايطاليا وصقليه. ولكن كل هذه الاحتمالات انتهت بمقتل بطلميوس كيراونوس فى معركة ضد الجلاتيين فى مقدونيا وبذلك انتهى حكم البطالمة فى مقدونيا عام (٢٧٩).

وقد ساعد اختفاء بطلمبوس كيراونس على فتح الطريق من جديد امام أنتيجونس جوناتاس، الذى نجح بمعونة الايتوليين فى هزيمة الجلاتيين وكانوا قد تقدموا نحو دلفى (٢٧٩) . كما ساعد على ذلك أيضا الانسحاب غير المنتظم لهذه القبائل عبر مقدونيا وتدمير انتيجونس جوناتاس لجانب من جنودهم (٢٧٧) قرب ليزماخيا (١). كل هذا فتح الباب نحو عرش

---

(١) أدى هجوم الجلاتيين الى إشاعة الفوضى في مقدونيا وبقيت تلك البلاد بلا حكومة لمدة عامين. وإن كان هناك ملكان أحدهما يدعى Maleager وهو شقيق كيراونوس الثانى يدعى أنتيباتروس إبن شقيق كاسندر. وقد أدت هذه الهجمات الجلاتية الى فصل مقدونيا على تراكيا وقطعها عن البحر الأسود . كما أدت هذه الهجمات الى قيام أسرة ملكية جديدة فى مقدونيا رأسها أنتيجونس جوناتاس.

مقدونيا امام انتيجونس وسرعان ما أعلنه الجيش المقدونى ملكا البلاد . سعى انتيجونس الى تدعيم مركزه فى بلاد اليونان ايضا الى ان عاد بيرهوس ونجح فى طرد انتيجونس مؤقتا من مقدونيا فى عام (٢٧٤) ولكن بيرهوس مات اثناء محاوله فاشله لضم مدن اليونان الى أملاكه الاخرى (٢٧٢) أصبح انتيجونس بلا منافس فى مقدونيا واليونان بعد موت بيرهوس، وسعى بالعمل الجاد والسياسة الماهرة الى تدعيم مركزه بقوة فى مقدونيا ومدن اليونان .

اما آسيا فقد خلف انطيوخس الاول (١) أباه واستطاع أن يحكم كل الولايات الشرقية وكل آسيا الصغرى بما فيها الجزء الشمالى ومع ذلك كان انطيوخس يواجه باطماع بطلميوس الثانى فى مصر والملوك الصغار المحليين فى بونتس وبثينيا، فضلا عن انتيجونس جوناتاس قبل اتفاقه معه.

تخلص انطيوخس من عداء انتيجونس بأن اعترف له بأحقيته فى مقدونيا مقابل تنازله عن اطماعه الاسيوية. وبينما كان مشغولا بالقضاء على المتمردين المحليين فى سوريا وبحروب ضد فيلادلفوس(٢٨٠-٢٧٩) دعى الملك نيكوميديس من بثينيا ومثريداتيس من بونتس قبائل الجلاتيين ودفعا بهم الى الاملاك السلوقية فى اسيا الصغرى حيث تعرضت لنهبهم ولم يكن

---

(١) كان إبنا لسليوكس من اباما الفارسية . وقد أعلنه أبوه فى عام ٢٩٢ شريكاً له فى الحكم ، ولذلك عندما مات سليوكس لم تحدث إضطرابات داخل البلاط السليوكى.

أنطيوخس قادرا على مواجهة هذا الخطر أو طرد الجلاتيين فى الحال من آسيا الصغرى. واستوطن الجلاتيون فى فريجيا ومثل وجودهم حماية لتلك الممالك الصغيرة، ولكنهم سببوا دمارا عظيما في شبه جزيرة آسيا الصغرى الى ان هزمهم انطيوخس في معركة الافيال الشهيرة في عام ٢٧٥ ق.م (١).

كانت الخريطه السياسية للعالم الهلينستى فى اعقاب القضاء على الاضطراب الجلاتيي كما يلي:

كانت اقوى الممالك الهلينستية هي مملكة البطالمة في مصر، التى استطاعت اسرة البطالمة ان تثبت اقدامها فيها بقوة (٢). تليها المملكة السلوقية، التى ضمت ولايات الاسكندر فى ميزوبوتاميا وسوريا (باستثناء

---

(١) موجات الجلاتيين التى أغارت على آسيا الصغرى هى إمتداد تلك الاغارات التى تمت على مقدونيا وبلاد اليونان قبل ذلك بسنوات قليلة. وقد عادت الجلاتيون تخريبا فى كل أسيا الصغرى ونهبوا ما إستطاعوا وإن كانت المدن اليونانية لم تسقط فى أيديهم بسبب جهلهم بأدوات حصار المدن. وقد حاول أنطيوخس الأول ضربهم فى عام ٢٧٦ ولكنه إضطر للعودة السريعة الى سوريا لمواجهة حروب قامت هناك. ولكنه عاد فى العام التالى ٢٧٥ حيث واجههم فى موقعة غير معروفة المكان ، إستطاعت أفياله فيها أن تثير الرعب في الخيول وراكبيها وحقق النصر عليهم بفضل هذه الا فيال . وبعد هذه المعركة إستقر الجلاتيون على هضبة فريجيا وقل أثرهم المدمر.

(٢) حكم الملوك البطالمة مصر منذ وفاة الاسكندر حتى عام ٢٠ ق.م وملوك البطالمة هم:
بطلميوس الأول (سوتر) ٣٢٣-٣٠٥ كحاكم و ٣٠٥-٢٨٢ ملك

بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) ٢٨٣-٢٤٦ بطلميوس الخامس(إبيفانس) ٢٠٠-١٨٠

بطلميوس الثالث(يورجتيس) ٢٤٦-٢٢٢ بطلميوس السادس(فيلوماتر) ١٨٠-١٤٥

بطلميوس الرابع(فيلوباتر) ٢٢٢-٢٠٤ بطلميوس السابع(نيوس فيلوباتر)١٤٥-١٤٤=

فلسطين وفينيقيا وجزء من سوريا التى كانت تابعة لمصر) وكانت معظم هذه الولايات تقع فى الشرق البعيد (١) وأجزاء كبيرة من آسيا الصغرى وكانت المملكة الثالثة هى مملكة مقدونيا، التى اعتبرت نفسها حامية لمدن الاغريق فى شبه الجزيرة وسيطرت على بعض المدن مثل خالكيس وكورنثا (٣)، وكانت هناك ممالك صغيرة فى آسيا الصغرى اهمها بونتس

---

* بطلميوس الثامن (يورجتيس الثانى فيسكون) ١٤٤-١١٦
بطلميوس التاسع(سوتر الثانى) ١١٦-١٠٨ بطلميوس العاشر(الاسكندر الأول) ١٠٨-٨٨
بطلميوس الحادى عشر (الاسكندر الثانى) ٨٠
بطلميوس الثانى عشر (نيوس ديونيسوس) ٨٠-٥١
كليوباترة السابعة + بطلميوس الثالث عشر ٥١-٤٧
كليوباترة السابعة + بطلميوس الرابع عشر ٤٧-٤٤
كليوباترة السابعة + بطلميوس الرابع عشر ٤٤-٣٠

(١) حكم الدولة السليوقية كملوك خلال العصر الهلينستى هم:

سليوكس الأول(نيكاتور)	٣٠٥-٢٨١	أنطيوخس الخامس(يوباتور	١٦٣-١٦٢
أنطيوخس الأول(سوتر)	٢٨١-٢٦١	ديمتريوس الأول(سوتر)	١٦٢-١٥٠
أنطيوخس الثانى(ثيوس)	٢٦١-٢٤٦	الاسكندر بالأس	١٥٠-١٤٥
سليوكس الثانى(كاللينيكوس)	٢٤٦-٢٢٥	أنطوخس السادس(ايبفانس)	١٤٥-١٤٢
سليوكس الثالث(سوتر)	٢٢٥-٢٢٣	أنطيوخس السابع(سيديتس)	١٣٨-١٢٩
أنطيوخس الثالث(الكبير)	٢٢٣-١٨٧	ديمتريوس الثانى(نيكاتور)	١٢٩-١٢٥
سليوكس الرابع(فيلوباتر)	١٨٧-١٧٥	كليوباترة ثيا	١٢٦
أنطيوخس الرابع(ايبفانس)	١٧٥-١٦٤		

كليوباترة ثيا و أنطيوخس الثامن (جريبوس) ١٢٥-١٢١

سليوكس الخامس	١٢٥	أنطيوخس التاسع(كيزيكنوس)	١١٥-٩٥

(٣) حكم مقدونيا ملوك من سلالة أنتيجونس الاعور وقد دانت لإبنه ديمتريوس خلال الفترة من ٢٩٤-٢٨٨ وفيما يلى قائمة بالملوك التاليين:-

أنتيجونس الثانى (جوناتاس) حكم مقدونيا من ٢٩٤-٢٢٩

ديمتريوس الثانى	٢٢٩-٢٢٩	فيليب الخامس	٢٢١-١٧٩
أنتيجونس الثالث(دسون)	٢٢٩-٢٢١	برسيوس	١٧٩-١٦٨

وبثينيا، وكانت هناك المدن الحرة فى شمال آسيا الصغرى مثل هيراقليا وبيزنطه وتيوس وكيزكوس، فضلاعن قبائل الجلاتيين ومدن أخرى اغريقية فى آسيا الصغرى وفى الجزر خصوصا فى رودس. كما كانت هناك بعض المدن ودويلات الطغاة فى آسيا الصغرى والتى كانت مستقله بدرجات متفاوته.

كان لكل من هذه الممالك احتياجاتها الخاصة واحلامها الخاصة وخططها الخاصة التى كانت تحاول تنفيذها.

المملكة البطلمية فى مصر مثلا خرجت من اتون حروب الخلافة كأقوى وأغنى دول العصر وكذلك أكثرها تنظيما. وكانت احلام بطلميوس الأول سوتر وبطلميوس الثانى فيلادلفوس بعيدة عن محاولة اعادة توحيد أمبراطورية الاسكندر وانما كان الهدف الرئيسى للملكين هو تأمين الاستقلال التام لملكتهما فى مصر وأن يؤمنا لها دورا رائدا فى الحياة السياسية والاقتصادية فى العالم الهلينستى. وكانت أفضل الطرق لاتمام ذلك هو الاستيلاء على تركة ديمتريوس، ومن ثم فرض السيطرة على بحر ايجة ومن ثم السيطرة على طرق التجارة الرئيسية فى العالم الهلينستى. وقد عنى ذلك خلق امبراطورية بحرية تقارن بأمبراطورية أثينا البحرية فى العصر الكلاسيكى، والسيطرة سياسيا واقتصاديا على جزء مما يحدث فى عالم ايجة. ولكى تكون السيطرة على بحر أيجة اكثر تأثيرا سعى ...دلفوس الى فرض حمايته على السواحل الجنوبية والغربية لآسيا

الصغرى وفرض نفوذه على المدن التجارية الكبرى الواقعه على مضايق بحر مرمرة.

وبالتداعى فان انشاء مثل هذه الامبراطورية البحرية لايبقى آمنا اذا بقيت الموانى الفينيقية والفلسطينية بمصادرها البحرية فى أيد اجنبية اخرى، وهكذا اقام البطالمة حكمهم على فلسطين وفينيقيا وجزء من سوريا بمجرد ان استطاعوا وتمسكوا به ما وسعتهم قوتهم. وقد فرض عليهم وجودهم فى بحر إيجة أن يؤمنوا هذا الوجود بمحالة تدعيم وجودهم فى اكثر الموانى الاغريقية اهمية وذلك لكى يمنعوا الحكام المقدونيين من منافستهم فى هذا البحر.

ان منافسة البطالمة على تبوأ مكانة عالية فى عالم بحر ايجة كانت تنطلق من حقيقة انتمائهم الى هذا العالم، ولذلك فان جهود البطالمة لم تكن تخضع للاعتبارات الاقتصادية فقط، فانهم حتى لو كانت لديهم كل عناصر قوتهم فانهم كانوا سيبقون معزولين فى مصر ولن يكونوا منافسين لسوريا أو لمقدونيا والاولى كانت تملك السيطرة على مدن اليونان فى آسيا الصغرى والثانية كانت تسيطر على مدن اليونان فى بلاد اليونان. بينما كان تحقيق سيطرة البطالمة على الطرق التجارية الايجية والسورية توفر لهم مصادر للرجال وللمال وحرية للحركة، وهكذا كانت سيطرة البطالمة التجارية وسيلة لتحقيق هدف سياسى.

ومن الواضح ان سياسة البطالمة كانت تتعارض بل تتناقض مع مصالح مقدونيا وسوريا كما كانت تعنى السيطرة على المدن والجزر فى بلاد الإغريق وفى آسيا الصغرى وبالتالى كان البطالمة فى حاجة دائمة الى قوات قوية وقادرة لفرض اهدافهم وحمايتها.

وبالنسبة للسليوقيين فلا يعقل عقلا انهم نزلوا طائعين عن سيطرتهم على فينيقيا وفلسطين وجزء من سوريا لان حدوث ذلك كان يجرمهم من وجود واجهة بحرية لهم فى المنطقة ويجعل وصولهم الى البحر المتوسط رهنا بارادة البطالمة.

ولذلك كان الصراع من اجل السيطرة على هذه المناطق ضرورة ملحة بالنسبة للسليوقيين. وما ينطبق على الساحل الفينيقى انطبق ايضا على ساحل جنوب آسيا الصغرى وكان السليوقيون لايتوقفون عن المطالبة والنضال من أجل أملاكهم المفقودة الا فى فترات ضعف دولتهم .

كانت دولة السليوقيين دولة مترامية الاطراف وكانت تضم سوريا وآسيا الصغرى كما كانت تضم ايضا الولايات الشرقية من امبراطورية الاسكندر وكذلك القبائل العربية في الصحراء . وبينما لم تتسبب الأخيرة الا فى قليل من الاضطراب فان الولايات الشرقية كانت مصدرا لقوة الدولة او ضعفها حيث جيران الدولة دائمو القتال معها وبذلك اصبحت المراكز الهلينستية المتقدمة شرقا فى حاجة دائمة للحماية ولذلك كان السليوقيون دائمو الحرب فى الشرق وكانوا مضطرين دائما الى تقسيم قواتهم العسكرية

بين الجبهة الغربية والشرقية(١).

وكذلك كان حكام مقدونيا ، انتيجونس جوناتاس وحلفاؤه ديمتريوس الثاني وانتيجونس دوسون غير مستعدين ـ مثلهم في ذلك مثل السليوقيين للاعتراف بسيادة البطالمة على بحر ايجه، وكذلك كان البطالمة يرون ان وجود مقدونيا قوية يعني احياء لامبراطورية يمتريوس ويعني بالتالي تعرض سيادتهم على بحر ايجه للخطر. ووجود مقدونيا قوية يعني ان تمر الامدادات للمدن الاغريقية من خلال ايد مقدونية أي ايدي قوة معادية محتملة ، وهكذا حاول البطالمة ان يدعموا بالمال او بوسائل أخرى المنافسين لمقدونيا والمعادين لها من المدن الاغريقية خصوصا أثينا والعصبة الآخية واسبرطة. وبالنسبة لمقدونيا فلم تكن لتدخر جهدا دون ان تحاول طرد البطالمة من بحر ايجه حيث كان وجودهم يهدد ارتباطاتها مع

---

(١) المعروف أن الحدود الشرقية لامبراطورية الاسكندر كانت تقع عند نهر الإندوس وروافده هيفاسس (Beas). وقد حكم هذا الاقليم بعد وفاة الأسكندر ضابط يدعى سبيرتيوس Sibyrtius. أما وادي كابول والممرات الهند وكوشية فكانت تحت سيطرة أوكسيارتيس Oxyartes والد روكسانا أرملة الاسكندر. وفي البنجاب فإن الشريط المحصور بين الاندوس وهيداسبيس Hydaspes (Jhelum) كان تحت الحكم المشترك لمقدوني يدعى إيوداموس Eudamus وراجا وطني يدعى تاكسيلاس. وأخيراً بقى الأقليم الواقع بين هيداسبيس وهيفاسس في يدى حاكمه السابق الملك بورس. ويلاحظ أن هذا التقسيم للحكم فى الاقاليم الشرقية بين ضابط الاسكندر والحكام الوطنيين إنما يدل على عدم توفر قوات إغريقية كافية لفرض سيطرتهم وكذلك يدل على قوة الحكام المحليين وشراسة دفاعهم عن إستقلال بلادهم. وقد دخل السليوقيين فى علاقات مع الحكام المحليين واستفاد كل طرف من إمكانات الأخر ولكن لم نصل عام ٢٥٠ق.م الا وكانت المناطق الشرقية استقلت بعيداً عن دولة السليوقيين أو وقعت تحت حكم قوى أخرى غيرهم.

بلاد اليونان. وبالطبع كانت مقدونيا تتلقى الدعم السلوقى فى محاولتها ضد البطالمة وكان على ملوك مقدونيا ان يختاروا وقتا مناسبا لتفجير الصراع يكون البطالمة فية يعانون الانكسار امام السليوقيين فى سوريا. واذا كان البطالمة قد نجحوا فى فرض هيمنتهم على الجبهتين فأن ذلك كان راجعا لضعف منافسيهم.

لقد رأينا فيما سبق نقاط الضعف فى الموقف السليوقى. أما بالنسبة لمقدونيا : ان اهم نقاط الضعف فيها كانت تكمن فى شكل علاقتها بجيرانها، فالمدن اليونانية لم تتقبل برضى مطلقا فرض مقدونيا لحمايتها عليها مهما كان الشكل الذى اتخذته هذة الحماية، وبالطبع كانت المدن اليونانية دائمة الترقب لأية فرصة لتأكيد حريتها الكاملة وقد قاد هذه الجهود فى البداية مدينة اسبرطه تحت حكم Areus ثم قادتها من بعد أثينا خلال الحرب الخريمونيدية Chremonidean War (١) وأخيرا قادت هذا النضال العصبة الاخية. وبالنسبة للعصبة الايتولية فقد اختلفت مواقفها تجاه مقدونيا فاتخذت مواقف صداقة منها أو مواقف عداء حسب الحالة السياسية ولكنها بصفة دائمة كانت حريصة على التوسع والسيطرة على

---

(١) جذور وأسباب الحرب الخريمونيدية غير واضحة. وقد كان أطرفها المدن الأغريقية وبطلميوس الثانى ملك مصر من ناحية وأنتيجونس جوناتاس ملك مقدونيا من ناحية أخرى. وقد سميت بالخريمونية نسبة الى خريمونيدس إبن Eteocles وهو أثينى كان تلميذاً لزينون وإستمرت من ٢٦٨ الى ٢٦١ ق.م.

اكبر جزء من بلاد اليونان حسب امكاناتها (١). ولذلك كانت السيطرة المقدونية على بلاد اليونان تبدو قوية وفي أوقات أخرى كانت تختفى مؤشرات هذه السيطرة كما كان الحال بعد موت انتيجونس جوناس وقبل تولى دوسون للعرش. ولكن على وجه العموم كانت سنوات الهدوء في علاقات المدن اليونانية بمقدونية قليلة فدائما هناك حروب بينها او اضطرابات في داخل المدن اليونانية او في علاقات هذه المدن بعضها بالبعض الاخر ولم تكن الاصابع المقدونية بعيدة عن تحريك هذه الاضطرابات.

نقطة الضعف الهامة الآخرى في الموقف المقدوني كان في علاقاتها بالقبائل التي تقيم في شمال وغرب مقدونيا مثل الالليريين والتراكيين والكلت والاسكوذيين وكانت هذه القبائل تسيطر على طرق التجارة مع عالم الاغريق، ومن ثم كانوا ذوي خطر شديد على العالم المتمدين الذي كانت حدوده الشمالية تقف عند شمال مقدونيا. وكثيرا ما كانت هذة القبائل تغير على مقدونيا مما جعل الملوك المقدونيين يتابعون كل تطورات أحوال هذة القبائل بعيون يقظة وكثيرا ما تدخلوا لايقاف غاراتهم او كانوا يلجأون

---

(١) قامت العصبة الايتولية في شمال غرب بلاد اليونان من العصر الكلاسيكي ولكنها صارت قوة لايستهان بها خلال العصر الهلينستي شارك الايتوليون في الحرب ضد مقدونيا في لاميا ولكنهم نجوا من عقاب أنتيباتروس. وخلال سنوات الاضطراب في بداية القرن الثالث نشروا سلطتهم على منطقة وسط بلاد الاغريق وسيطروا على دلفى. وقد ساعد دورهم في رد الغارات الكلتية عن دلفي في الحصول على مقعد دائم في مجلس الامفكتيوني ، بل لقد مارسوا نفوذاً على البحر الايجي بتبادلهم العلاقات وحقوق المواطنة مع بعض الجزر مثل خيوس التي سجلت ذلك في مرسوم يؤرخ من عام ٤٧ ق.م تقريباً.

Moretti II . 79

لهجمات عليهم لاجهاض غاراتهم المحتملة.

فيما سبق تابعنا وضعية الدول الهلينستية الكبرى ولكن قامت الى جانب هذه الدول الكبرى عدد من الممالك الصغيرة في بونتس وبثينيا كما قامت مملكة صغيرة اخرى في كبادوكيا اعتبار من عام ٢٦٠ او ٢٥٠ ق.م. وهذه الدويلات كانت تخشي بصورة دائمة خطر السليوقيين ومن ثم سعوا الى توطين مجموعة من القبائل الكلتية (الجالاتيون) كدولة حاجزة بين دولهم والدولة السلوقية، وسمحوا لهذه القبائل أن تغير على مدن غرب وجنوب آسيا الصغرى بشرط ألايعاملوا حدودهم بنفس الطريقة. وبذلك يحققون هدفهم الرئيسي فى الاحتفاظ باستقلالهم ضد أى محاولات للسليوقيين للانتقاص من هذا الاستقلال (١) . وقد واجهت كل من بونتس وبيثينيا- بالاضافة الى مشكلة الحفاظ على الاستقلال- مشكلة شكل العلاقات مع المدن الاغريقية المستقلة الواقعة فى داخل اقاليمهم أو فى جيرتهم.

---

(١) عندما وصل الجلاتيون الى بيزنطة نهبوا الجزء الأكبر منها، وأضعوا المدينة بالحرب . فأرسل أهلها مبعوثين الى حلفائهم طالبين المعونة . فقدم كل منهم مايستطيع . وقد حاول الجلاتيون العبور الى آسيا الصغرى بعد ذلك ولكنهم فشلوا فى كل مرة بسبب مقاومة البيزنطيين الى أن عقد معهم نكوميديس المطالب بعرش بثينيا معاهدة تنص على أن يكونوا خاضعين له ولحلفائه من بعده والا يعقدوا تحالفاً مع أحد بدون موافقته وأن يكونوا دائماً أصدقاء لاصدقائه وأعداء لأعدائه . وقد إستخدمهم نكوميدس فى الوصول لعرش بيثينيا. وأستقر الجلاتيون فى المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم جلاتيا حيث إنقسموا الى ثلاث مجموعات هى تروجمي Trogmi وأقاموا مدينة أنقرة و Tolostobogii وأقاموا تابيا Tabia و Tectosages و أقاموا Pisinus.

هناك مملكة اخرى قامت من خلال الاوضاع التى ترتبت على وجود الجلاتيين فى الغرب أسيا الصغرى والاضطراب الذى احدثوه بالنسبة للوجود السليوقى فى الغرب اذ استطاع حاكم قلعة برجاموم ان يقوى من شأن زعامته للمدينة خصوصا بعد نجاح Philetaeus حاكم المدينة وابنة الذى خلفه فى حكمها يومنيس Eumenes فى الدفاع بنجاح عن اقليم برجاموم والمدن الاخرى فى وادى Caicus ضد الغارات الجلاتية. ولقد ادت التطورات التى تلت ذلك الى زيادة مصادر المدينة العسكرية والاقتصادية ومارس الحكام استقلالا اكبر وفي عام ٢٦٢ ق.م رأى يومنيس نفسه قويا بما يكفى لان يتحدى الملك السليوقى انطونيوخس وان يدعم تحديه هذا بعمليات عسكرية ناجحة من ذلك الوقت أصبحت برجاموم دولة مستقلة مثل بثينيا وبونتس وكبادوكيا مهمتها الرئيسية أن تعزل الجلاتيين فى مراعيهم فى فريجيا وبذلك تحمى اقليمها من غاراتهم وبالتبعية باقى اسيا الصغرى. ولقد ادى نجاح ملوك برجاموم فى ايقاف خطر الجلاتيين الى تمتعهم بأهمية خاصة بين الاغريق فى آسيا الصغرى، وقد ادى هذا الى تزايد طموح هؤلاء الملوك فى أن يصبحوا حكاما على كل آسيا الصغرى محل السليوقيين، وقد سعوا بصبر واناة لتحقيق هذا الهدف متبعين سياسة حاذقة ساعيين للاستفادة من توازنات القوة فى عالم ذلك الزمان مزيدين الجانب الاقوى باستمرار وان كانت عدائتهم متجهة باستمرار

للجلاتيين والسليوقيين بالطبع لتناقض مصالحهم(١).

واخيرا نلقى نظرة على احوال المدن اليونانية فى اسيا الصغرى والجزر هناك والمعروف ان بعض هذه المدن كانت تتمتع باستقلال دائم بينما كان استقلال المدن الاخرى متقطعا رغم ان المدن التى كانت تفقد استقلالها لم تتوقف لحظة عن محاولة بذل الجهد لنيل الاستقلال. كانت علاقات هذه المدن مع الدول الهلينستية علاقات صداقة او ولاء ولكنها صداقة غير حقيقية وخضوع ينتظر الفرصة للاطاحة بهذا الولاء ومن المثير حقا ان نتبع تطور انتماءات بعض المدن الاغريقية فى آسيا الصغرى ذات الاهمية للممالك الهلينستية مثل مدن ملطية وافسوس وسميرنا فقد تقلبت هذه المدن من ايدى البطالمة الى السليوقيين والعكس عدة مرات، وصادفت هذه المدن كثيرا من المواقف الصعبة أثناء حصار واستيلاء كل من الطرفين عليها، ومع ذلك فقد سعى اهل هذه المدن الى الاستفادة من حقيقة رغبة كل طرف فى بقائهم تحت سيطرته لكى يحصلوا على اكبر قدر من الاستقلال الذاتى والمنح والهدايا التى يقدمها الحكام لهم كل فى عهده، وبالنسبة للمدن الاغريقية فى شمال غرب ساحل اسيا الصغرى فقد حكمتها مع ملوك برجاموم علاقات مشابهة كتلك التى حكمت مدن الجنوب مع

---

(١) حكم برجاموم :

فيليتاريوس الأول	٢٨٢-٢٦٣	أتاللوس الثانى	١٦٠-١٣٩
يومنيس الاول	٢٦٣-٢٤١	أتاللوس الثالث	١٣٩-١٣٣
أتاللوس الاول (سوتر)	٢٤١-١٩٧	يومنيس الثالث	١٣٣-١٢٩
يومنيس الثانى (سوتر)	١٩٧-١٦٠		

والمعروف أن الأول والثانى لم يتخذا لقب ملك كما أن أتاللوس الثالث أورث المملكة للرومان.

البطالمة وغيرهم من الملوك الهلينستيين(١)، ولكن المدن الكبيرة الواقعة على بحر مرمرة والبسفور والدردنيل والساحل الجنوبي للبحر الاسود فقد تمتعت بوضعية افضل فى مواجهه ملوك الدويلات الصغيرة المجاورة لهم واهم هذه المدن هى cyzicus و Chalcedon و Byzantius وهيراقليا وسينوب وقد تمتعت بالاستقلال خلال الفترة التى نتحدث عنها.

وبالنسبة لجزر بحر ايجه فانها تقلبت فى ايدى البطالمة وملوك مقدونيا الانتيجونيين وكانت اقرب فى وضعها لمدن كمليتوس وافسوس. وان استطاعت بعض الجزر ان تحافظ على اتحاد فيدرالى يجمعها عرف بعصبة الجزر وقد جاهدت هذة الجزر لحماية اوطانها من النهب والسرقة على ايدى جيوش المتحاربيين وحلفائهم(٢).

اما الوضع فى بلاد اليونان نفسها فقد كان اكثر تعقيدا حيث لم يتوقف ابدا الصراع المسلح، جزء من هذا الصرع كان موجها نحو مقدونيا لاسباب تاريخية موروثة والجزء الاخر كان تصادما بين مؤيدى

---

(١) بالنسبة للتقديس الذى أظهرته المدن الأغريقية تجاه السليوقيين إنظر:
OGIS 219.

(٢) عصبة الجزر ضمت الجزر الصغيرة فى وسط البحر الايجى أنشاها أنتيجونس الأعور فى عام ٣١٥ وسيطر عليها فيما بعد ديمتريوس إبنه قبل أن تذهب الى أيد البطالمة حوالى عام ٢٨٦ حيث بقيت تحت سيطرتهم لمدة ثلاثين عاما. وككل العصبات التى أنشئت تحت رعاية ملكية إستخدمت كاداة لفرض النفوذ الملكى.

(الايدولوچيات) السياسية التى سادت مدن الاغريق فى ذلك الوقت، تصادما بين من أمنوا بحرية كل المدن الاغريقية فى الاستقلال الكامل وبين من آمنوا بوحدة الاغريق وحتى بالنسبة لفكرة الوحدة كان هناك صراع بين نوعيات مختلفة مطروحة فى الساحة السياسية. فهناك فكرة اتحادات المدن التى كانت تقف وراءها العصبة الايتولية والعصبة الآخية وقد رغبتا فى ان تدخل كل مدن اليونان فى دولة اتحادية كبيرة وهناك اسبرطة التى سعت من اجل فرض سيطرتها القديمة على كل اليونان، واخيرا مقدونيا وقد دعت الى تشكيل اتحاد قائم على التحالف بين مختلف الاتحادات والمدن اليونانية ومقدونيا تحت رئاسة ملك مقدونيا.

وهكذا نشاهد ان الوضع السياسى فى العالم الهلينستى كان معقدا وهذا الوضع المعقد حكم توازن القوى بين دول ذلك العالم وأى اختلال فى هذا التوازن كان يؤدى الى اندلاع الصراعات العسكرية، وهكذا نلاحظ ان حروبا متصله تقريبا قامت فى اجزاء العالم الهلينستى المختلفة وتتركز اكثر فى المناطق ذات الاهمية بالنسبة لاطراف التوازن فى بلاد اليونان الاصلية والجزر اليونانية فى بحر ايجة والاجزاء المتهيلنة فى آسيا الصغرى، ويمكننا ان نقدم هنا حصرا باهم الاحداث السياسية والعسكرية التى سادت العالم الهلينستى من موت بطليموس الاول فى مصر (٢٨٢ ق.م) واعتلاء فيليب الخامس عرش مقدونيا فى ٢٢١.

فقد تم صراع حاد بين انطيوخس الاول وبطلميوس الثانى

فيلادلفوس للسيطرة على المدن الساحلية فى اسيا الصغرى وسوريا عرف هذا الصراع (بالحرب السورية الاولى) وقد بدأ فى عام ٢٨٠ ق.م ثم تجدد فى عام ٢٧٦ ق.م أو ٢٧٤ ق.م واستمر الى عام ٢٧١ ق.م(١). وفى نفس الوقت قام انطيوخس الاول بمحاولة ضرب الجلاتيين فى آسيا الصغرى (فى عام ٢٧٥) . وخلال نفس المدة سعى انتيجونس جوناتاس الى تدعيم مركزه فى مقدونيا واليونان الى يواجه تحالف أثينا وإسبرطة مع بطلميوس فيلادلفوس ضده وقد تم هذا التخالف بين ٢٧٠و٢٦٧ ق.م وتمخض عن اندلاع الحرب الخريمونيديه.

وكانت حرب طويلة مدمرة استمرت الى عام ٢٦١ تقريبا وانتهت بنصر كامل لانتيجونس وهزيمة كاملة لآثينا فقدت على أثرها دورها القيادى فى السياسه اليونانية وأصبح انتيجونس نتيجة لهذا الانتصار سيدا لاينازع فى بلاد اليونان ويسيطر على كثير من النقاط الحصينة خصوصا كورنثا وأثينا وارتريا وخالكيس. وخلال هذه الحرب ايض' (الحرب الخريمونيدية) نجح انتيجونس فى الانتصار البحرى على بطلميوس عند جزيرة كوس Cos وقد أدى هذا الى تدخل انتيجونس فى بحر ايجه بعد ان كان مقصورا على النفوذ البطلمى.

---

(١) حول تقسيم الحرب السورية الأولى الى مرحلتين إنظر Apendix 5 عند Cary M . OP . Cit .

فى حوالى ذلك الوقت قامت ثورة فى برجاموم قادها يومنيس فى عام ٢٦٢ ق.م بتأييد من بطلميوس الثانى، وقد ادى هذا العمل الى تفجير الصراع من جديد بين السليوقيين والبطالمة فهاجم انطيوخس الثانى الذى خلف اباه فى ٢٦١ بطلميوس فيلادلفوس، وربما كان انطيوخس مدعما بمساندة انتيجونس وشملت هذه الحرب معارك فى سوريا واحداثا فى أسيا الصغرى وعرفت باسم الحرب السورية الثانية واستمرت من ٢٦٠ الى ٢٥٣ تقريبا وتجب الاشارة حقا الى ان نتائج هذه الحرب السورية الثانية لم تكن لصالح بطلميوس بصورة عامة وسرعان ما أنقلبت الامور الى نقيضها بالنسبة لانتيجونس جوناتاس وكذلك بالنسبة للسليوقيين. فقد واجهت انتيجونس موجة من حروب التحرير فى بلاد اليونان. فهذا الاتحاد الايتولى يسعى لتوسيع حدوده وانتيجونس غير قادر على منعه من تحقيق ذلك. وكذلك مدينة كورنثا تمردت على سلطة مقدونيا بقيادة الاسكندر بن كراتيروس وكان حاكما عليها من قبل انتيجونس ملك مقدونيا نفسه. سعى الاسكندر الى تقوية مركزه وتوسيع حدوده واعلان نفسه ملكا، ولم يستطع انتيجونس الوقوف فى وجه اطماعه، وبقيت كورنثا وما خضع لها من مدن ايوبية مستقلة عن مقدونيا الى موت الاسكندر هذا، وفى شبه جزيرة البيلوبونيز كان الوضع اكثر حرجا بالنسبة لانتيجونس فقد نجحت مدينة سيكيون بقيادة اراتوس Aratus ان تتخلص من طاغيتها الموالى لانتيجونس فى عام (٢٥١) ثم انضمت هذه المدينة الى العصبة الاخية الصغيرة وبدأ الاتحاد

الذى كان غير ذات خطر منذ عام ٢٨٠ ق.م (تاريخ انشائه) ينمو تحت قيادة مدينة سيكيون فتزايد عدد الاعضاء وتزايدت أهمية الاتحاد السياسية.

وهكذا نلاحظ ان انتيجونس قد فقد تقريبا كل سيطرة على بلاد اليونان بل انه على مايبدو فقد ايضا تلك السيطرة البحرية على جزيرة كوس Cos ومادى اليه ذلك من خروج انتيجونس من ميدان التنافس فى بحر ايجة.

ويبدو ان بطلميوس فيلادلفوس قد سعى فى اواخر حياته الى استعادة سيادته على بحر ايجه ويبدو ان هذا السعى قد حقق نجاحا اذ نلاحظ ان بطلميوس كان مالكا لاسطول قوى وله كلمة مسموعة فى ديلوس، ولكنه هزم مرة اخرى فى معركة بحرية عند اندروس Andrus فى عام ٢٤٧.

مات انطيوخس الثانى ملك سوريا فى عام ٢٤٧ ومات فيلادلفوس (بطلميوس الثانى) فى عام ٢٤٦. وتولى العرش فى مصر ابنه بطلميوس الثالث يورجيتيس. وقد حفلت سنوات حكمه الاولى بالعديد من الاحداث المثيرة. اذ تدخل بطلميوس الثالث فى سوريا بعيد توليه السلطة فى مصر تدعيما لمطالب اخته برنيكى ارملة ملك سوريا المتوفى وابنها ضد لاوديكى الزوجة الاولى لانطيوخس وابنها سليوكس (الثانى). وبسبب هذه الحادثة قامت الحرب السورية الثالثة التى استمرت من ٢٤٦ الى ٢٤١ ق.م وقد

حقق بطلميوس خلال السنة الاولى للحرب انتصارات باهرة حقق خلالها الاستيلاء على كل سوريا وميزوبوتاميا ولكن بعد ذلك توقف تقدمه بسبب الاعمال المضادة التي قام بها سليوكس الثاني، واخيرا اضطر بطلميوس الثالث ان يخلى كل هذه الاملاك وان بقيت مدينة سليوقيا فى يديه(١).

يرتبط نجاح بطلميوس الثالث فى آسيا بنجاح اخر حققه فى بحر ايجة، ويبدو ان مقدونيا استغلت الاحداث السورية لكى تتقدم بقواتها فى جزر بحر ايجة.

ولكن يبدو أيضا ان بطلميوس الثالث نجح هنا ايضا فى ايقافهم، وصحيح ان المقدونيين سيطروا على جزيرة ديلوس مما يوحى بتقدم نفوذهم بعض الشئ فى بحر ايجة ولكن الصحيح أيضا أن بطلميوس الثالث

---

(١) بمقتضى المعاهدة التى أنهت الحرب السورية الثانية طلق أنطيوخس الثانى زوجته لاوديكى التى سبق أن أنجبت له ولدن وتزوج برنيكى إبنة بطلميوس الثانى فيلادلفوس وأخت بطلميوس الثالث يورجتيس حيث أنجب منها ولدا. وعند موت أنطيوخس الثانى قامت الحرب بين أولاد الزوجتين. وقد إستنجدت برنيكى بأخيها بطلميوس الثالث، وكانت هذه نقطة إنطلاق الحرب السورية الثالثة. وقد عثر على عدد من الوثائق تتحدث عن تلك الحرب منها نص ورد على البردى (FGrh 160) ونص نسخة رحالة فى القرن السادس الميلادى فى عدول Adulis فى أرتيريا على البحر الأحمر. وقد جاء فى النص الأخير بعد الديباجة "حيث أنه (بطلميوس الثالث) ورث عن أبيه ملك مصر وليبيا وسوريا وفينيقيا وقبرص وكيليكيا وكاريا وجزر الكوكلاديس. فقد سار فى أسيا بقوة من المشاة والخيالة وأسطول والأفيال . . . . وبعد أن أمن المنطقة (من) الفرات (الى) كيليكيا وبامفيليا وأيونيا والهلسبونت وتراكيا، (واستولى) على كل القوات فى تلك الأماكن (وكذلك) الافيال الهندية وبعد أن أخضع كل حكام الأقاليم عبر نهر الفرات (حيث) أخضع ميزوبوتاميا وبابل وسوسيانا و Persis وميديا وكل الأقاليم حتى بكتيريا وبعد أن بحث عن كل الأشياء المقدسة التى نقلها الفرس من مصر أعادها مرة أخرى الى مصر بالأضافة الى باقى كنوز تلك الأقاليم. . . . "

كان أقوى الملوك الهلينستيين نفوذا فى ذلك البحر وسيطر على كثير من الجزر والساحل التراكى. ونحن نعلم علو مكانته فى ذلك الوقت فى جميع انحاء اليونان خصوصا فى شبه جزيرة البيلوبونيز وفى ايتوليا ومناطق نفوذ العصبة الايتولية، ويمكننا ان نلمس كلمة مسموعة لمبعوثيه وتأثيرا قويا لامواله فى كل الاحداث الهامة خلال فترة حياته.

وفى مقدونيا مات انتيجونس جوناتاس فى عام ٢٣٩ ق.م وخلفه على العرش ديمتريوس الثانى، وكانت الامور فى بلاد اليونان قد مالت لصالح العصبتين الايتولية والآخيه وتضاءل دور مقدونيا القيادى فى بلاد اليونان، بل واتحدت العصبتان لبعض الوقت ضد مقدونيا. فاضطر ديمتريوس الثانى خليفة جوناتاس على مقدونيا الى خوض حرب ضد العصبتين كادت تميل لصالحه ولكن تعرض بلاده (مقدونيا الى هجوم من قبائل الدردانيين Dardanians ادى الى توقف تقدمه فى بلاد الاغريق. بل واضطره للانسحاب منها مابقى له فى الحياة وكانت النتيجة هى اختفاء الدور المقدونى كلية من كل بلاد اليونان الوسطى وشبه جزيرة البيلوبونيز.

ادى تضاءل الدور القيادى لمقدونيا فى بلاد اليونان ثم اختفائه الى تزايد قوة العصبة الايتولية التى كانت تتدعم باستمرار منذ عام ٢٠٠ ق.م (زادت هيبة هذه العصبه بعد دورها فى طرد الجلاتيين، وتدعم نفوذها فى دلفى التى اعتبرتها عاصمة ثقافية للعصبة) ولم تكتف هذه العصبة بالبر بل لجأت الى مد نفوذها فى بحر ايجة والبحر الايونى عن طريق القرصنة،

ومدت نفوذها فيما وراء البحر بتقديم الحماية لعملائها من قراصنتها واخيرا ساعد تزايد مكانة العصبة الايتولية الدبلوماسية الماهرة التى استخدمتها، ومن ثم اصبحت هذه العصبة تعامل كقوة قوية من طرف الدول القائدة فى ذلك الزمان (برجاموم ومصر وروما).

اما العصبة الاخية فقد بدأت فى تنظيم اتحادها فى شبه جزيرة البيلوبونيز ولكن نجاح هذه العصبة لم يصل الى غايته بسبب التطورات التى حدثت فى اسبرطه وحرمت العصبة الاخية من قطف ثمار النجاح. اذ بدأت اسبرطة تحت قيادة اجيس Agis (٢٤٥-٢٤١ ق.م فى اصلاح تقاليدها الاجتماعية والاقتصادية ثم اكملت مسيرتها الاصلاحية لدستور ليكورجوس فى عام ٢٢٥ق.م تحت قيادة كليومنيس وقد ادت هذه الاصلاحات الى تزايد القوه العسكرية الاسبرطية، واستطاع كليومنيس باستخدامه لهذه القوة العسكرية ان يمارس دورا اكثر نشاطا واكثر تأثيرا على الحياة السياسية فى شبه جزيرة البيلوبونيز كان جهد كليومنيس موجها ضد مقدونيا بصورة رئيسية. وقد استغل بطلميوس الثالث نشاط اسبرطة اكثر من نشاط العصبة الآخية فنقل مساعداته من الآخيرة الى الاولى وقد أدت هذه المساعدات فضلا عن الموقف الواضح لبطلميوس الثالث الى جانب اسبرطة الى انعاش الامل لديها فى ضرب العصبة الآخيه. اصبحت العصبه الآخيه فى موقف دقيق خاصة والعصبة الايتولية لم تمد لها يد العون بل كانوا يغبطون نجاحها، كما كان عدد من اعضاء العصبة الاخية نفسها راغبون فى

الاعتراف بملك اسبرطه رئيسا دائما لهم واستطاع اراتوس زعيم العصبة الاخية بتحركات سياسية ماهرة ان يمنع اسبرطه من تنفيذ خططها، ولكنه دفع ثمنا باهظا لاتمام ذلك اذ استبدل احتمال التحالف مع اسبرطه وتحت رياستها تحالفا مع مقدونيا وتحت رياسة الملك المقدونى. وكان هذا يعنى من الناحية العملية اعادة للحماية المقدونية على اليونان. بل لقد اضطر اراتوس أن يوافق على عودة كورنثا لمقدونيا. وهكذا عادت بلاد اليونان كما كانت على ايام فيليب الثانى والاسكندر الأكبر وديمتريوس (الاول) موحدة من الناحية النظرية ولكنها كانت من الناحية العملية تحت حماية الملك المقدونى انتيجونس دوسون Antigonus خاصة بعد هزيمة اسبرطة فى معركة سيللسيا Sellasia عام ٢٢٢ق.م.

وبيما كانت بلاد اليونان تحارب معاركها من اجل الاتحاد، كانت المملكة السليوقية فى الشرق تتمزق بسرعة ففى حوالى عام ٢٤٩-٢٤٨ ق.م بدأ يظهر الكيان السياسى لبارثيا Parthia وفقد السلوقيون فى فترة قصيرة جدا اجزاء هامة من ولاياتهم الشرقية لصالح البارثيين(١).

وفى نفس الوقت نجحت ولاية باكتريا فى الاستقلال تدريجيا تحت قيادة ديودتوس Diodotus ، ورفضت كبادوكيا وارمينيا الخضوع للامبراطورية السلوقية ولم يستطع السليوقيون ايقاف هذا التمرد بسبب ضغط الحرب السورية الثالثة ٢٤٦-٢٤١ ق.م، ثم بعد ذلك بسبب النزاع الذى

---

(١) عن نشأة مملكة البارثيين إنظر : Strabo XI 9.23

نشب بين امراء البيت السليوقى الذى اندلع بعد الحرب السوري الثالثة مباشرة فى عام ٢٢٥ واستمر لسنوات تاليه كثيرة. فقد قام صراع بين سليوكس الثانى واخيه انطيوخس هيراكس Hirax فى آسيا الصغرى(١)، والنتيجة الحقيقية لهذا الصراع كان نجاح اتاللوس الاول ملك برجاموم فى توسيع مملكته بطرد الجلاتيين بعد هزيمتهم فى معركة كايكوس Caicus فى عام ٢٣٠ ق.م وبعد انتصاراته المتتالية التى حققها على الملك السليوقى سليوكس الثالث خليفة سليوكس الثاني- فى عام ٢٢٦ ق.م نجح الحاكم السليوقى فى عام ٢٢٣ لاسيا الصغرى فى استعادة جزء كبير من الاراضى التى فقدها سلفه امام ملوك برجاموم. ولكن اتاللوس وخلفاءه احتفظوا باستقلال مملكتهم ولقبهم الملكى، ولم يبذل السليوقيون اية محاوله لاستعادة الاملاك التى فقدوها فى هذا الجزء من آسيا الصغرى.

وتنتهى الفترة التى حددناها لهذا الفصل بموت سليوكس الثالث فى عام ٢٢٣ وانتيجونس دوسون وبطلميوس الثالث فى عام ٢٢١ ق.م اذ دخل العالم الهلينستى منذ ذلك الوقت فى مرحلة جديدة كان المحركون للاحداث خلالها هم فيليب الخامس ملك مقدونيا وانطيوخس الثالث ملك سوريا والرومان الذين كانوا قد تزايد دورهم فى الشرق وتدخلهم فى

---

(١) "حرب الأخوة" التى قامت بين سليوكس الثاني وأنطيوخس هيراكس استمرت من ٢٤١-٢٢٩ ق . م أضعفت الامبراطورية السليوقية وتركتها مقسمة بينهما هيراكس فى أسيا الصغرى وسليوكس فى باقى الامبراطورية حتى عام ٢٢٦.

شئونه ابتداء من عام ٢٢٠.

ونلاحظ ان هذه الفترة التى درسناها فى هذا الفصل من ٢٨٣-٢٢١ كانت كفترة خلفاء الاسكندر الأكبر فترة مملوءة بالحروب المتصلة وان اختلفت عنها فى استقرار فكرة وجود دول وممالك هلينستية مستقلة.

٤ـ تدهور الممالك الهلينستية

أن توازن القوة الذى استقر خلال القرن الثالث لبعض الوقت بين الممالك الهلينستية شهد اختلالا كبيرا ابتداء من الربع الأخير من نفس القرن. ادى الى هذا الاختلال عدد من العوامل أولها تولى كل من فيليب الخامس لعرش مقدونيا وانطيوخس الثالث لعرش سوريا وكلا الرجلين كان طموحا يسعى الى التوسع والسيطره ومد نفوذ مملكته. ثانى هذه العوامل كان بداية التدخل الرومانى فى شئون الشرق الهلينستى، اذ تحركت روما ضد الدولة الالليرية التى قامت فى جوار مقدونيا على الساحل الشرقى للبحر الادرياتى وكانت هذه الدولة تمارس القرصنة المنظمة وتهدد علاقات ايطاليا التجارية مع العالم الاغريقى.

وقد ادى تدخل روما العسكرى ضد الليريا فى عام ٢٢٩ ق.م الى قيام سيطرة رومانية على بعض المدن الاغريقية الواقعة على الساحل الليرى من اهم هذه المدن هى: Apollonia و Dyrrhachium و Aelon و Oricus وكذلك سيطرت روما على الاقليم الساحلى الواقع فى ظهير هذه المدن (١).

---

(١) صارت روما مسئولة عن حماية مصالح تارنتوم بعد سقوط هذه المدينة فى يديها. ومن ثم كان عليها أن تقضى على عوامل الاضطراب فى مياه البحر الادرياتى. فارسل السناتو جيشا وأسطولا من أجل هذا الهدف فى عام ٢٢٩، كما ارسل جيشا آخر فى عام ٢١٩ لنفس الغرض. وقد أدى وجود النفوذ الرومانى فى المنطقة الى تدهور العلاقات بين الرومان ومقدونيا بمجرد إعتلاء فيليب الخامس للعرش.

وهكذا بدأ التدخل الرومانى يجد طريقه الى قلب العالم الهلينستى. العامل الثالث: التدهور الذى شهده الحكم البطلمى فى مصر نتيجة لاستهتار بطلميوس الرابع وضعف خلفائه، فضلا عن بعض العوامل الأخرى.

ففى مقدونيا رأى فيليب الخامس أن ماحدث من روما فى الليريا تعد على حقوق مقدونيا وخطر شديد على بلاده اذ كانت المدن الاغريقية الواقعة على الساحل الليرى تابعة فيما سبق لمقدونيا، كما أن روما اصبحت جارا لبلاده واصبح من السهل عليها التقدم نحو حدودها عبر مجموعة من أودية الانهار. فضلا عن هذا فان روما كانت قد سبقت بالدخول فى علاقات سياسية مع بعض المدن والاتحادات الاغريقية مثل ايتوليا وآخايا وآثينا (٢٢٨) دون ان تراعى الوضعية الخاصة لمقدونيا تجاه هذه المدن والاتحادات(١)، وكانت كل هذه مؤشرات لتناقض مصالح روما ومقدونيا.

بدأ فيليب الخامس حكمه (٢٢٠ ق.م) بالدفاع عن مكانة مقدونيا فى بلاد الاغريق وكانت العصبة الأيتولية قد سعت الى توسيع اتحادهم على حساب العصبة الهلينية مستغلة فى ذلك شباب وعدم خبرة الملك الجديد فى مقدونيا. ولكن هذا الشاب نجح فى هزيمة الايتوليين فى معركة كبيرة اضطرهم على أثرها أن يدخلوا معه فى معاهدة سلام شروطها لصالحه

---

(١) كانت روما قد أرسلت مبعوثيها الى هذه المدن وغيرها وقد أسفرت الاتصالات الرومانية مع كورنثا الى دعوة الرومان للاشتراك فى ألعاب الخليج وقد كانت هذه الدعوة أول إعتراف من الاغريق بتحضر الرومان.

وتعرف باسم سلام ناوباكتوس Naupactus عام (٢١٧)ق.م(١) .

اتجه فيليب بعد استقرار أموره في بلاد الاغريق لتصفية حساباته مع روما وقد بدأ هذا الجهد بعقد معاهدة صداقة وتحالف مع هانيبال القائد القرطاجي العظيم في عام ٢١٥ ق.م، وكان هانيبال في ايطاليا يذيق الرومان سوء العذاب(٢). وقد أدى هذا الموقف المقدوني الى تفاهم بين روما واعداء فيليب في العالم الهلينستي مثل الأيتوليين في بلاد اليونان(٣) والملك أتاللوس ملك برجاموم في عام ٢١٢ ق.م. وقد نتج عن ذلك اندلاع حرب طويلة بين الأيتوليين متحالفين مع روما ضد مقدونيا . وقد أبدت روما في البداية نشاطها في مساعدة حلفائها ولكنها وبسبب انغماسها في الحرب

---

(١) أهم مايلفت النظر في شروط صلح ناوباكتوس أن الاغريق كان يعقدون هذا الصلح وأنظارهم متجة الى المعارك الدائرة في إيطاليا بين الرومان والقرطاجيين. وكانوا يرون أن إنتصار أي طرف من الطرفين لايعني بالضرورة السلامة للاغريق. ولذا كان الصلح للتفرغ لمتابعة الصراع الدائر على الأرض الايطالية Polyb . IV . 25-26 . 2

(٢) عقد مبعوث فيليب الخامس معاهدة باسمه مع هانيبال القائد القرطاجي العظيم (٢١٥ق.م) كانت هذه المعاهدة تقدم عمقاً إستراتيجياً لها نيبال في حربه للرومان، حيث أعقبها مباشرة قيام الحرب المقدونية الأولى(٢١٥-٢٠٥ق.م) بما تعنيه من أعباء حربية إضافية على الرومان، وكانت المعاهدة تقدم زاداً عسكرياً هائلا لفيليب الثاني في مطالبة ضد الرومان الذين إستولوا على أجزاء من الليريا. وقد نصت المعاهدة على تبادل المساعدات بين الطرفين وقت الحاجة والايدخل القرطاجيون سلاماً مع الرومان دون أن يجعلوا ضمن أطرافه مقدونيا وحلفائها. " وإذا شن الرومان عليكم أو علينا حرباً فإننا سوف تقدم المساعدة كل للآخر طبقاً لحاجة اى طرف " وقد أقسم هانيبال ومجموعة من قواده على إحترام شروط المعاهدة كما أقسم إكسينوفانيس مبعوث الملك فيليب على ذلك نيابة عن الملك وكل المقدونيين وحلفائهم. انظر نص الصلح Polyb . VII. 9, &Livy XXIII . 33 .

(٣) عقدت روما إتفاقية مع العصبة الأيتولية في عام ٢١٢ أو ٢١١ لكي تشغل فيليب الخامس عن مساعدة حليفه هانيبال في إيطاليا. وتعتبر هذه المعاهدة أول معاهدة بين إحدى دول بلاد الأغريق وروما. وقد عرفنا خبرها من تقرير مختصر لليفيوس.
Livy . XXVI . 24 . 7-15 .

البونيقية الثانية أصبحت ذات دور هامشى قبل ان يختفى هذا الدور كلية. وقد اضطر الأيتوليون الذين أرهقتهم الحرب وأصابهم موقف روما بالإحباط اضطروا الى عقد سلام منفصل مع فيليب ٢٠٦ ق.م سرعان ماأعقبه سلام منفصل بين فيليب وروما فى عام ٢٠٥ ق.م (١) (يجب أن نربط بين احداث هذه الحرب وتطورات الحرب البونيقية الثانية التى استمرت الى ٢٠١ ق.م.

وفى نفس الوقت تقريبا كان الملك الطموح انطيوخس الثالث ملك سوريا يسعى لاعادة مجد الامبراطورية السليوقية. ورغم أنه واجه سنوات صعبة فى بداية حكمه عام ٢٢٣ ق.م وكان مايزال شابا فى الثامنة عشر. كان ابن عمه اخايوس Achaeus يستأثر بآسيا الصغرى دونه، وكان واليه على الشرق مولون Molon قد بدأ ثورة ناجحة ضده فى عام ٢٢١ ق.م(٢)،

---

(١) يذكر ليفيوس(Livy XXIX.12.15-16) أن الصلح يطلق علية صلحPhoenice نسبة الى مدينة فى إبيروس،. . . وأضاف." أوضح سمبرونيوس شروط السلام بأن تكون Parthini، Dimallm، Bargullum، وEugenium تابعة للرومان، بينما تتبع Atintania لمقدونيا". . . وعندما تمت الموافقة على هذه الشروط ضم الملك الى المعاهدة بروسياس ملك بثينيا والآخيين والبيوتيين والتساليين والاكارنانيين وأهل إبيروس، وضم الرومان إليومIlium والملك أتاللوس وPleuratus و نابيس طاغية إسبرطة والإليين والمسينيين والأثينيين. . . وأعلنت هذنة لمدة شهرين حتى يصل رد روما بالموافقة على المعاهدة من عدمه. وقد وافق الرومان عليها لكي يحرروا أنفسهم من كافة الارتباطات والعداوات إستعداداً للمرحلة الأخيرة من الحرب البونيقية الثانية التى كانت على وشك الاندلاع على الأرض الاغريقية.

(٢) كان مولون واليا على ميديا وأخوه الاسكندر واليا على فارس. وقد نجح تمرده وإتخذ لقب ملك كما يظهر على قطع العملة. ولكنه هزم فى عام ٢٢٠ فيما يبدو وأعدم.

كما كانت علاقات بلاده بمصر بعيدة كل البعد عن الاستقرار. لقد واجه انطيوخس هذه الظروف بمقدرة فائقة فأعاد سلطته على الولايات الشرقية، كما وصل الى تفاهم مقبول مع ابن عمه اخايوس فى آسيا الصغرى (١)، وأخيرا فرغ لمصر وحاول أن يبعد الخطر المصرى بغزو مصر. وبدأ حملته ضد مصر عام ٢١٩ حيث استولى على بعض القلاع السورية التى كانت تحت الحكم المصرى منذ عصر بطلميوس الثالث كسليوقيا . ولكن حملته هذا رغم النجاحات المبكرة الا انها عند اللقاء الحاسم فى رفح ٢١٧ فشلت فشلا ذريعا أمام جنود قلب الجيش البطلمى المكون حديثا من الفلاحين المصريين. على كل حال لم تهن عزيمة انطيوخس أمام هذه الهزيمة بل لعله تابع عن قرب التطورات الداخلية فى مصر بعد النصر، وكيف ثار الجنود المصريون بعد عودتهم من رفح، عاد بطلميوس الرابع الى لهوه مما جعل هذا النصر مجرد مصادفة فى طريق دولة البطالمة التى لم تتوقف منذ ذلك الوقت عن التدهور(٢). ولعل انطيوخس فهم هذه الحقيقة ومن ثم استمر فى

---

(١) تولى أخايوس قيادة الجيش السليوقى فى آسيا الصغرى بعد مقتل الملك سليوكس الثالث. وحارب أعداء السليوقيين هناك فحجم برجاموم واستماد كل الأراضى التى كان السليوقيون قد فقدوها هناك. ولكن الانتصار أنعش آماله وفضل أن يحتفظ بهذه البلاد لنفسه واتخذ لقب الملك حوالى عام ٢٢٠. ورغم إعتلاء أنطيوخس الثالث للعرش السليوقى الا أنه لم يكن قادراً على التحرك ضد آخايوس المتمرد الا بعد إنتهاء الحرب السورية الرابعة عام ٢١٧ق.م. وقد إستغرقت عملية طرد أخايوس من آسيا الصغرى الفترة من ٢١٦ الى ٢١٣. إنظر Polyb . IV . 48 .

(٢) Polyb . V . 63, 65 , 67 , 79 . & 107 . XIV . 12 3-4 .

جهوده لاعادة أمجاد الدولة السليوقية. اتجه انطيوخس الى آسيا الصغرى حيث استطاع في حرب ضد أخايوس استمرت ثلاث سنين تحالف انطيوخس خلالها مع برجاموم أتول استطاع القضاء على نفوذ اخايوس تماما واعاد سيطرته المباشرة على الاناضول.

اتجه انطيوخس بعد ذلك نحو الشرق لكي يعيد سلطة بلاده هناك وكانت قد تدهورت نتيجة تمرد ملوك بارثيا وملوك بكتريا الاغريق وسعيهم الى توسيع حدودهم. وقد ادى نجاح هذين التمردين الى تشجيع باقي ولاة السليوقيين في الشرق على التمرد.

وعلى الرغم من أن حملة انطيوخس لم تؤد الى القضاء على مملكتي بارثيا وباكتيريا ولكنها ادت الى الحد من طموحهما وطمعهما في الأملاك السليوقية كما أدت تلك الحملة الى تقوية قبضة الملك أنطيوخس على باقي الولايات. حتى اكتسب انطيوخس شهرة في العالم الاغريق جعلت الأغريق يحاولون المقارنة بين غنائم الملك في تلك الحملة وغنائم الاسكندر من حملته الشرقية ، بل ويعتبرونه الاسكندر (الثاني) (١).

---

(١) لم يستطع سليوكس الثاني إعادة بارثيا وغيرها الى حظيرة الدولة السليوقية، بل ولم تستطع سليوكس الثالث ذلك أيضا . ورغم أن أنطيوخس الثالث تولى الحكم في عام ٢٢٣ الا أنه لم يكن قادرا على توجيه جهده لإستعادة أملاك وهيبة المملكة في الشرق قبل عام ٢١٢ نعتمد في معرفتنا بأحداث حملة أنطيوخس الثالث على بوليبوس الذى أشار في كتابه الثامن23 . VIII أن ارمينيا أجبرت في عام ٢١٢ على الاعتراف بسيادة السليوقيين ودفعت الضرائب للدولة وذكر في كتابه العاشر(X.27) أنه في عام ٢١١-٢١٠ إستطاع أنطيوخس غزو ميديا وكذلك اكتابانا حيث دمر معبد Anaitis ونهبت ثروته. وأدت حملته في عام ٢٠٦ الى تحجيم قوة الدولة (X.28-31) أما بكتريا فقد نجح ملكها الاغريقي=

وهكذا نلاحظ أن نتائج تلك الصراعات المبكرة بين فيليب الخامس و روما وانجازات انطيوخس الكبرى فى الشرق أديا الى خلق واقع جديد فى العالم الهلينستى، فى وقت خرجت فيه مصر البطلمية من المنافسة على الزعامة فى ذلك العالم بل وكانت تعانى فى الداخل من استمرار التدهور بعد أن اعتلى عرش مصر بطلميوس الخامس تحت الوصاية وكان طفلا، وبسبب استمرار الثورة العنيدة للوطنيين المصريين التى كان قد مضى على اندلاعها حوالى خمسة عشر عاما. سعى كل من فيليب وانطيوخس الى اقتسام النفوذ فى العالم الهلينستى، ووصلا الى اتفاقية سرية فى عام ٢٠٢ أقتسما بموجبها كل الاملاك الخارجية للبطالمة دون معرفة مصر أو إعلان الحرب عليها، وهى التى كانت صديقة لفيليب أحد طرفى الاتفاقية. كان انطيوخس يهدف من الاتفاقية الى استعادة ما تبقى خارج نفوذه من أملاك خضعت لابائه من الملوك السليوقيين فيما سبق، وكان فيليب يرغب فى تقوية موارده استعدادا لصراع مرتقب ضد روما التى كانت قد ظهرت

= Euthydermus فى الصمود للحصار ومن ثم صار الملك أنطيوخس على استعداد للتوصل لتسوية معه على أساس الاعتراف بالأمر الواقع وذلك لتوجيه جهد الملكين المشترك لمواجهة القبائل المضطربة على الحدود. وقد نال الملك أنطيوخس من حروبه وأتفاقاته غنائم هائلة أهمها أعداد من الأفيال المدربة وصلت الى ١٥٠ فيلاً كما أقام مقراً شتوياً له فى Carmania (٢٠٦/٢٠٥) وقد حققت هذه الحملة مجداً عظيماً لأنطيوخس الثالث بين سكان آسيا وسكان أوربا أيضا.

Polyb . XI . 34 .

بوادر انتصارها فى الحرب البونيقية الثانية(١).

وقد ادت المعارك العسكريه التى تلت اتمام الاتفاق السرى بين انطيوخس وفيليب اقول ادت الى انتصارات هائلة لانطيوخس استولى على اثرها على فلسطين وفينيقيا وجزء من سوريا الجنوبية وضمها بصورة دائمة الى أملاك السليوقيين بعد أن كان يتبادلها البطالمة والسليوقيين طوال اكثر من قرن(٢). ولكن المعارك أدت الى كارثة بالنسبه لفيليب حيث كان أعداء فيليب اكثر قوة من خصوم انطيوخس ولذلك فبعد أن حقق النجاحات الأولية أوقفت رودس وبرجاموم تقدمه ثم نجحا فى حصاره فى كاريا فى عام ٢٠١-٢٠٠ ق.م وطلبا مساعدة روما لهما فى صراعهما ضد فيليب. ورغم أن روما كانت منهكة من الحرب البونيقية الثانية التى انتهت بانتصار ساحق لها وكانت فى حاجة الى فترة هدوء تعيد فيها تنظيم أمورها ولكنها نظرا للعداء السابق بينها وبين فيليب وتحت ضغط الروديسيين أعلنت روما الحرب على فيليب، مما اضطره الى اخلاء_ كل املاكه خارج مقدونيا تقريبا. ومنذ ذلك الوقت بدأت سلسلة من الحروب استطاع الرومان خلالها

---

(١) هناك شك فى مصداقية وجود هذه المعاهدة السرية وبوليبوس الذى أورد خبرها لاعلم له بمحتوياتها. ويرى كثيرون من الباحثين أنها مجرد إدعاء رومانى لتبرير تدخلها فى شئون العالم الهلينستى فى شرق البحر المتوسط يقول بوليبوس" ليس غريبا أنه أثناء حياة بطلميوس(الرابع) وعدم حاجته لمساعدتهما(أنطيوخس الثالث وفيليب الخامس) كانا مستعدين لمساعدته، ولكن عندما مات تاركا إبنا صغيراً، وصار الحفاظ على مملكته مسئوليتهما بحكم الروابط الطبيعية، عولا على تقسيم مملكة الطفل وتدمير اليتيم. . .

Polyb . XV . 20 ,

(٢) إستولى أنطيوخس الثالث على جوف سوريا خلال الحرب السورية الخامسة(٢٠٢-٢٠٠).

القضاء على قوة المملكتين القائدتين فى العالم الهلينستى (مقدونيا وسوريا)والقضاء على دوريهما القائد فى العالم الهلينستى.

لقد ساعد الرومان أن جزءا كبيرا من العالم الاغريق خصوصا فى رودس وأثينا وبرجاموم كانوا الى جانبهم خوفا من أطماع فيليب أو انطيوخس.

وهكذا قامت الحرب المقدونيه الثانية بين فيليب الخامس المقدونى والرومان وقد كسبها الرومان بسهولة فى معركة كينوس كيفلاى Cynoscephalae فى عام ١٩٧ ق.م وقد ادت هذه الحرب الى علو مكانة روما فى العالم الهلينستى. أما فيليب فقد أصبح منذ تلك المعركة غير مسموح له ان يتصرف بعيدا عن موافقة روما . وقد راقب الرومان حركته ولم يسمحوا له بالتدخل فى بلاد الاغريق من جديد والميدان الوحيد الذى سمحوا له أن يتدخل فيه هو ميدان الصراع ضد القبائل الكلتية والالليرية والتراكية فى شمال بلاده. أما بلاد الاغريق فقد اعلنتها روما حرة فى عام ١٩٦ ق.م وان كانت هذه الحرية معنوية فى الواقع اذ لم يكن لها من سند مادى سوى الوجود الرومانى نفسه(١).

---

(١) نصت شروط الطلح على أن يصبح كل إغريق آسياوأوربا أحراراً وأن يطبقوا قوانينهم الخاصة. وعلى فيليب (الخامس) أن ينزل للرومان قبل الالعاب الخليجية القادمة من كل المدن التى إستولى عليها خلال حملته من ٢٠٢و٢٠٠. وأن يكتب فلامنيوس القائد الرومانى حول حريةCius الى بروسياس طبقاً لقرار مجلس الشيوخ. وعلى فيليب أن يدفع غرامة حربية قدرها ألف تالنت نصفها فوراً والنصف الآخر على عشر سنوات.

Polyb . XVIII . 44 .

وبعد أن تخلص الرومان من خطر فيليب تفرغوا لانطيوخس ورغم أن انطيوخس تحاشى الصدام مغ روما فى عام (١٩٢) الإ أن الرومان كانوا يدفعون الأمور باصرار الى نقطة الصدام. وقدخسر انطيوخس الحرب بعد فشله فى جمع الاغريق حوله وانسحابه الى آسيا الصغرى بعد معركة ثيرموبولاى(١٩١ ق.م) وهناك خسر معركة مجنينريا فى عام ١٨٩ ق.م الذى كان واحدا من اسهل الانتصارات التى حققها الرومان. أدت نتيجة معركة مجنيزيا الى عقد معاهدة أباميا Apamea فى عام ١٨٨ ق.م التى استطاعت روما بموجبها ابعاد الدولة السليوقية عن العالم الاغريقى، كما اكتسبت تعاطف بعض المدن الاغريقية فى آسيا الصغرى وان لم تصدر اعلانا بحريتهم مماثلاً لذلك الاعلان الذى صدر عن حرية اغريق أوربا بعد معركة كينوس كيفلاى وأقامت سيادتها الرومانية الدائمة على أغلب آسيا الصغرى بالتدريج بما فى ذلك جلاتيا ثم فرضت نفوذها على بيثينيا وبونتس وكابادوكيا ثم أرمينيا وقد قدر لهذه المناطق جميعا أن تسقط واحدة تلو الأخرى فى براثن الاستعمار الرومانى ان عاجلا ام اجلا(١).

---

(١) أدت هزيمة أنطيوخس الثالث فى مجنيزيا الى عقد إتفاقية أباميا(١٨٨) وقد نصت هذه الاتفاقية حسبما ذكر بوليبوس على ١٩ بنداً يلاحظ فيه أن اليد العليا لروما. وأن أنطيوخس والسليوقيين قد إستبعدوا تماما من غرب آسيا الصغرى. كما يلاحظ حرص روما أن تحقق مكاسبا لحلفائها فى الحرب كيومنيس ملك برجاموم الذى أضافت له أراض بل وجعلت أنطيوخس يدفع له غرامة حربية على أقساط سنوية لمدة خمس سنوات. وكذلك لأهالى رودس الذين ضمنت لهم الاتفاقية ممتلكاتهم فى الأراضى الخاضعة للملك أنطيوخس الثالث وحرية تجارتهم دون جمارك. أما بالنسبة لروما نفسها فقد كبلت أنطيوخس بالقيود =

وهكذا ظهرت روما كقوة عظمى نشطة وحاسمة فى العالم الهلينستى وهو الامر الذى غير هذا العالم تغييرا كاملا.

كان تدخل روما فى شئون العالم الهلينستى وتزايد هذا التدخل إيذانا ببداية فترة جديدة من تاريخ هذا العالم، تميزت بتفتت العالم الهلينستى وتباعد اهتماماته على عكس الأمر خلال القرن الثالث، حيث سادت العالم الهلينستى حركة سياسية واحدة وتفاعل حضارى فى بوتقة واحدة. نعم كانت هناك حروب دائمة ولكنها كانت حروب بسبب الاهتمامات الواحدة ولكن التدخل الرومانى وضع حدا لهذه الوحدة. نعم كانت هناك علاقات دبلوماسية بين الممالك والمدن وكانت الزيجات السياسية ماتزال تحدث أثرها على العلاقات بين الممالك، ولعل زواج برسيوس ملك مقدونيا من لاوديكى ابنة سليوكس الرابع فى عام ١٧٨ق.م لحالة مشهورة، إلا ان هذه العلاقات أصبحت قليلة الاثر فى ظل المراقبة اللصيقة للرومان التى لم يكونوا ليسمحوا بقيام أى تقارب حقيقى بين القوى الهلينستية الهامة، والمعروف أن

= فيما يخص الأرض والأسرى والهاربين. وفرضت عليه غرامة حربية ضخمة قدرها عشرة آلاف تالنت وحددت وزن التالنت الواحد ونوع الفضة على أن تكون على أقساط سنوية متساوية لمدة عشر سنوات. كما فرضت على الملك تقديم كمية ضخمة من القمح سنويا لروما. وفرضت عليه الوجهة السياسية التى عليه أن يتوجه اليها فحرمت عليه التدخل فى شئون الغرب فعليه الا يعبر الى هناك الا لغرض من ثلاثة دفع جزية أو تقديم رهائن أو إرسال سفراء. كما حرمت عليه أن يكون له أسطول فى المستقبل أو فرق أفيال قتال بعد أن إستولت بمقتضى الاتفاقية على كل ما لديه منهما تقريبا. ولم يفت روما أن تفرض على انطيوخس ضرورة تسليم أعدائها إن وقعوا فى يده وعلى رأسهم هانيبال الذى كان قد هرب من قرطاج.

Polyb . XXI . 43 .

روما كانت تقوم بهذه المراقبة من خلال عملائها فى الشرق الهلينستى خاصة ملوك برجاموم.

وفى الواقع فان العالم الهلينستى كان قد انقسم فى ذلك الوقت الى ثلاثة مجموعات، لم يكن بينها اتصال مباشر. المجموعة الأولى ضمت مقدونيا واليونان والمجموعة الثانية فى آسيا الصغرى والمجموعة الثالثة كانت تضم مصر وسوريا.

وبالنسبة للمجموعة الأولى فقد أُجبرت مقدونيا على الاقلاع عن آمالها فى أن تحكم اليونان وتسيطر على البحر الايجى وأصبحت هذه الأمال مجرد أحلام غير قابلة للتحقيق. والحقيقة الوحيدة فى حياة مقدونيا السياسية كانت علاقتها بروما وكان الشاغل الأكبر للملوك المقدونيين هو ايجاد طريق للتخلص من القبضة الرومانية القوية. وبالطبع أدت محاولات مقدونيا الى اشتعال الحرب مع روما مرة ثالثة(١).

اما بلاد اليونان فقد سعدت لفترة باعلان الرومان (اعلان فلامنيوس) عن حريتهم، وقد سعت القوى الكبرى فى داخل بلاد اليونان ـ الايتوليون والآخيون واسبرطة ـ الى محاولة توسيع نطاق حلف كل منهم بهدف ضم

---

(١) تم ذلك فى عهد الملك برسيوس خليفة فيليب الخامس الذى كان قد إستمر بعد هزيمته فى الحرب المقدونية الثانية يحاول إعادة بناء رخاء مقدونيا. فإهتم بالأنتاج الزراعى وخدمات الموانى وتنشيط أعمال التعدين، وربما يكون قد أدخل إصلاحات على نظام العسكرى.

انظر Livy XXXIX . 24 . 1-4 .
Morotti 11 , 114 .

أو السيطرة على كل بلاد اليونان ولكن المدن الصغرى استاءت من محاولات هذه القوى واسرعت دائما الشكوى الى روما ضد كل التجاوزات، واستجابت روما دائما للدعوة لفض النزاعات والحروب الصغيرة واستقبلت مبعوثين عن المدن المتضررة وأرسلت المبعوثين وأعطت النصائح التى كانت فى الواقع أوامر مستترة أدت فى النهاية الى تفريغ استقلال الاغريق من أى معنى حقيقى له، واصبح الاغريق خاضعين لحماية رومانية مستترة ولكنهم لم يكونوا قادرين على تغيير هذا الوضع بالقوة المسلحة.

أما أسيا الصغرى فقد ماثلت الاوضاع فيها بعد معركة مجنيزيا من بعض الوجوه أوضاع بلاد اليونان بعد معركة كينوس كيفلاى؛ فقد كانت تضم ممالك كبيرة وأخرى صغيرة ومدن مستقلة بدرجات متفاوتة . وكانت أقوى الممالك وأكبرها هى مملكة برجاموم، ولكن استقلال وقوة برجاموم كان رهنا بطاعة ملوكها للرومان طاعة عمياء.

وقد قابل مجلس الشيوخ الرومانى أى تصرف استقلالى أو محاولة لاتباع سياسة خاصة هناك باستياء شديد وقدتعرضت لهذه المعاملة كل الوحدات السياسية فى آسيا الصغرى بما فيها الدول القويه كبثينيا وبونتس وكبادوكيا والدول الجلاتية القبلية. كانت هذه الدول تحس مدى ثقل اليد الرومانية القوية على حريتها ولم يكن لدى هذه الدول من طريق لتغيير هذا الوضع سوى الحرب .

اما سوريا ومصر فقد بقيتا مستقلتين بعد منجنيزيا. وكان

استقلال مصر لا يسبب قلقا لروما، اذ كان بطالمة القرن الثانى ضعافا تأكل جهودهم صراعاتهم الداخلية وملذاتهم . اما الوضع فى سوريا فقد كان مختلفا، فطردت من آسيا الصغرى بمقتضى معاهدة اباميا Apamea، واصبحت اتصالاتها مع بلاد اليونان صعبة وغير منتظمة، كما لم تعد تملك قوة بحرية قوية تحمى مصالحها فى البحر المتوسط وبحر ايجة. وهكذا كانت سوريا تنعزل بقوة الظروف عن العالم الهلينى والمتهيلن. لقد اغضب روما محاولات برسيوس خليفة فيليب فى مقدونيا التقرب من اليونان وخلق حلف بضم الاغريق جميعا ورأت انه قد جاوز المدى المسموح له فقامت الحرب المقدونية الثالثة التى إنتهت بهزيمة ساحقة للمقدونيين فى بدنا Pydna (١٦٨ ق.م)، فقدت مقدونيا استقلالها على اثرها ثم تحولت بعد فترة صغيرة من الإستقلال الداخلى الى ولاية رومانية(١). كما عاقب الرومان

---

(١) أقر مجلس الشيوخ الرومانى نظاماً فرضه على مقدونيا فى عام ١٦٧ وقد نص على الاتى، . . . تحرير المقدونيين (المقصود إعلان إنتهاء المملكة المقدونية) وتبقى لهم السيادة على مدنهم وأراضيهم، ويستخدون قوانينهم، ويعينون حكامهم سنوياً، وأن يدفعوا الى الرومان نصف الضرائب التى كانوا يدفعونها للملوك. ثم أن مقدونيا تقسم الى أربعة أقاليم وبعد تحديد الاقسام الأربعة وحدودها) امر بأن تتم الادارة محليا سواء بإختيار المجالس أو الموظفين أو الشئون المالية. كما قرر منع الزواج والبيع والشراء للأرض أو للمنازل بين سكان إقليم وآخر. وأمر أيضا باغلاق مناجم الذهب والفضة وإيقاف العمل بها ولكنه سمح باستمرار العمل فى مناجم الحديد والنحاس. على أن يدفع العاملون فى التعدين نصف قيمة الرسوم التى كانت تدفع للملوك. وأمر بمنع إستخدام الملح المستورد. . . كما وافق للأقاليم كلها (فيما عدا الأقليم الثالث) بأن يكون لهم حراس حدود مسلحون. . . وقد أدت هذه التسوية الى تقطيع أواصل مملكة مقدونيا مما سبب إضطرابات وتدخلات رومانية فى مقدونيا إنتهت بعد ثورة Andriscus بتحويل البلاد الى ولاية رومانية فى عام ١٤٦ق.م.

Livy, XLV . 29 . 3-30 ; 32 . 1-7 .

كل من اظهر من الاغريق تعاطفا مع برسيوس وقد أدى هذا الى القضاء على جمهورية رودس، وكانت صاحبة وجود بحرى فى بحر ايجه، ونتج عن اختفائها ازدياد نشاط القراصنة فى هذا البحر، كما حطمت روما قوة العصبيات الاغريقية واخضعت بلاد الاغريق بصورة نهائية، ودمرت مدينة كورنثا العتيدة في عام ١٤٦ ق.م(١) وأصبحت مدن اليونان مجرد جزء من ولاية مقدونيا الرومانية (١٤٥ ق.م) وهكذا انتهى الوجود السياسى المستقل لمقدونيا وبلاد اليونان.

بقيت بعض الدول فى آسيا الصغرى بعد اختفاء مقدونيا من الخريطة السياسية للدول المستقلة فى العالم الهلينستى. وكان شاغل هذه الدول أمور محلية كمحاولة دولة أن تمد حدودها على حساب جارة لها أو محاولة دولة أو أخرى أن تسيطر على مدينة أو اكثر من المدن الاغريقية

(١) نتيجة لهزيمة الآخيين أمام الرومان ١٤٦ق.م عانت المدن الأغريقية المنضمة للعصبة أو الحليفة معها من التدمير ونهب التحف الفنية وقتل السكان الاحرار أو بيعهم وعبيدهم فى أسواق الرقيق. ولعل اكثر أحداث هذه الفترة خطورة أقدام مميوس القائد الرومانى على احراق مدينة كورنثا". . . وقد قتل الرومان أغلبية السكان الذين وجدوا فى المدينة، بينما باع مميوس Mummius النساء والأطفال عبيداً، بينما باع أيضا العبيد الذين كانوا قد أعتقوا وحاربوا فى صفوف الآخيين ولم يقتلوا فى الحرب. وحمل مميوس كل ماله قيمة عظمى من الأعمال الفنية، واعطى الأعمال الأقل أهمية لـ Philopoemen قائد القوات البرجامية المساندة للرومان. ويذكر بوزنياس أنه حتى أيامه (قرن الثانى الميلادى) كان مايزال هناك بعض ما سلب من أعمال فنية باق فى برجاموم. . . لقد كان ذلك هو الوقت الذى وصل فيه الأغريق الى أضعف فترات تاريخهم.

Pausanias VII . 16 . 7-17 . 1 .

المستقلة فى آسيا الصغرى، وغالبا ماكانت هذه الأطماع الصغيرة تؤدى الى نشوب حروب بين هذه الدول. هذه الحروب كانت عقيمة النتائج حيث أنها كانت لاتؤدى الى حل اى مشكلة حلا جذريا ، وانما الحل فى النهاية دائما تفرضه روما بما يتفق مع مصلحتها: ومصلحتها كانت تحتم عدم السماح لأى مملكة من هذة الممالك الموجودة فى آسيا الصغرى بان تتجاوز حدا معينا من القوة يسمح لها بأن تكون بغير منافس من جيرانها لأن حدوث مثل هذا التجاوز كان يعنى خطرا محتملا على النفود الرومانى نفسه. وكانت أهم الممالك القائمة فى آسيا الصغرى فى ذلك الوقت هى برجاموم وكانت كما نعلم قوية الى الحد الذى يسمح به الرومان فى ظل ولاء دائم من ملوكها لروما. وبثينيا التى استطاع ملكها بروسياس الاول Prusias أن يجعلها مملكة قوية ومنظمة، وبونتس التى اصبحت تحت حكم فرناكيس الاول Pharnaces واحدة من أقوى ممالك آسيا الصنرى وكبادوكيا، فضلا عن الممالك القبلية للجلاتيين .

هذه الممالك فيما عدا برجاموم كانت مثيرة للمشاكل. وقد كانت مهمة برجاموم فى السنوات القليلة التى تلت معركة مجنيزيا أن تسيطر على طموحاتهم وكانت برجاموم قادرة على اتمام هذه المهمة كعميل للرومان. فقمع يومنيس الثانى ملك برجاموم الجلاتيين من قطاع الطرق وكذلك منع بروسياس Prusias ملك بثينيا من الاستفادة من هزيمة انطيوخس الثالث فى مجنيزيا، وهو أيضا الذى استطاع بالتحالف مع قوى أخرى فى آسيا

الصغرى أن يضرب خطط فرناكيس الاول الطموحة بعد حرب استمرت أربع سنوات (١٨٢ ـ ١٧٩ ق.م. ويلاحظ أن روما تدخلت لوضع حد للصراع قبل وصوله الى نتيجة حاسمة حيث كانت روما تخشى استغلال سليوكس الرابع خليفة انطيوخس الثالث لهذا الظروف فى وقت كان فيليب الخامس مايزال فى موقف يسمح له بالتمرد على سلطتها. ولكن دور برجاموم كعصا رومانية لتأديب ملوك آسيا الصغرى سرعان ماانتهى. اذ بدأت روما تعامل حلفائها بقسوة بعد ما ظهر من تعاطفهم مع مقدونيا اثناء الحرب المقدونية الثالثة. وقد أدى هذا الى احساس يومنيس الثانى باحباط شديد بعد جهوده الكبيرة لخدمة الرومان. ومع ذلك فقد بقيت برجاموم تابعة لروما حتى أن اتاللوس الثالث بن يومنيس الثانى وكان قد خلف أخاه اتاللوس الثانى على عرش برجاموم أقدم على خطوة خطيرة غيرت كثيرا من الخريطة السياسية لآسيا الصغرى، اذ اوصى بمملكته عام ١٣٣ ق.م للشعب الرومانى (١). وهكذا فقدت برجاموم استقلالها وصارت ولاية رومانية. واتخذ

---

(١) أهم مايذكر عن حكم أتاللوس الثالث ملك برجاموم أنه أوصى بملكه للرومان والمعروف أن اتاللوس لم ينجب أولاداً يرثونه ومع ذلك تبقى دوافعه لاصدار هذه الوصية غير واضحة. فربما كان يرغب فى حرمان Aristonicus من وراثة العرش- وربما كان يرى تسليم البلاد لقوة تحميها من الاضطرابات الداخلية وربما كان يريد أن يضمن عدم تعرضه للاغتيال بسبب الرغبة فى الآستيلاء على العرش. وبالطبع لايجب أن نتصور أن الوصية قد حققت أهداف أتاللوس فموته بعد فترة حكم قصيرة نسبيا ربما كانت أيضا ذات صلة بالوصية. على كل حال فقد أدت وصية هذا الملك للرومان بوراثة ملكه فى عام ١٣٣ الى بداية الحكم الرومانى المباشر فى آسيا .
أنظر Strabo XVI . I . 38 , OGIS 338 & 435 , Syll. 3 694

مندوب مجلس الشيوخ برجاموم مقرا له ثم نقل هذا المقر فيما بعد افسوس.

ادى تواجد الحكم الرومانى فى آسيا الصغرى الى ظهور الوجه القبيح للرومان هناك فقد أهملت حركة التقدم التى كان يرعاها ملوك برجاموم ورودس وغيرهم وحل محلها رغبة رومانية محمومة فى الحصول على أقصى عائد مالى من هذه البلاد. وقد أدى هذا بالتالى الى ازدهار الكراهية للرومان فى داخل الكيانات السياسية الباقية فى آسيا الصغرى، مثل مدن الاغريق المستقلة وممالك بونتس وكبادوكيا وأرمينيا. ووصلت هذه الكراهية الى حد سعى بونتس التى كانت القوة المؤهلة لقيادة هذه الحركة لجمع بقية القوى حولها من أجل حرب روما.

وهكذا فان الحدث المحورى فى آسيا الصغرى الهلينستية بعد سقوط برجاموم كان حرب مثريداتيس السادس ملك بونطس (١) ضد روما وفشل مثريداتيس فى مواجهة روما لايعود فى الواقع الى قوة الرومان أو

---

(١) مثيريداتس السادس (يوباتور ١٢١-٦١ق. م) ملك بونطس عرف بالاكبر لقدرته وبطولته فى مواجهة روما حارب الرومان فى ثلاث حروب عرفت باسمه. إستمرت الأولى منها من ٨٨ الى ٨٤ ق. م وإستولى خلالها على أغلب آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه- عدا رودس- وجانب كبير من بلاد الاغريق. هزمه سلا وأرغمه على التخلى عن كل فتوحاته ٨٤. وفى الحرب الثانية التى إستمرت من ٨٢الى ٦٣ق. م هزم القادة الرومان لوكلوس ثم بومبى وانسحب الى القرم. وهناك واجه تمرداً بقيادة إبنه فارناكس. قتله أحد أتباعه كان داهية فى التنظيم وشجاعاً عند اللقاء وكان أخطر أعداء روما فى الشرق.

لضعف شخصيته ولكنه يعود فى اغلبه الى أن الاغريق تخلوا عن تأييده بعد فترة قصيرة من بداية الصراع، كما أن كبادوكيا كانت فى البداية معادية له، ولم تؤيده سوى أرمينيا وكانت قوة نصف متمدينة. ولقد ادى فشل مثريداتيس فى هزيمة الرومان الى تحول آسيا الصغرى التدريجى الى عدد من الأقاليم والمحميات الرومانية. وكانت هذه المحميات مجموعة من الممالك التابعة لروما متهيلنة بدرجة أو بأخرى وبقت مستقلة ما رغبت روما فى ذلك.

رغم الاهتمام الرومانى الواضح بالسيطرة على العالم الاغريقى فى بلاد اليونان ومقدونيا وبحر ايجة وآسيا الصغرى لكى تضمن أمنها كاملا فضلا عن مداخيل هائلة ـ نجد روما تبدو غير مهتمة بمستقبل المملكتين الهلينستيتين الشرقيتين فى السنوات التى تلت معاهدة أباميا مباشرة، ويبدو أن روما فى ذلك الوقت اكتفت بعزل كل من المملكتين عن بحر ايجة وبلاد الاغريق وفرضت عليهما الابتعاد عن تقرير سياسة البحر المتوسط ومن ثم أصبحتا غير ذات ضرر عليها. ولكن روما سرعان ماهجرت هذه السياسة واتبعت سياسة التدخل المتزايد فى شئون كل من الدولتين بما يشجع الفوضى فى العلاقات بينهما وعدم استقرار أمورهما فلقد اصبح التدخل المستمر لروما فى المسائل الداخلية لكل الدول الهلينستية نوعا من الروتين المعتاد.

وبالنسبة لسوريا تمسكت باتفاق أباميا رغم خسائرها الشديدة بسببه

وذلك لأنها عقب معركة مجنزيا كانت ضعيفة بما لايسمح لها أن تسعى للانتقام . وقد استمر تمسك سوريا السليوقية باتفاقية أباميا خلال مابقى لانطيوخس الثالث من سنوات عمره والمعروف أنه مات فى عام ١٨٧ ق.م وحدث نفس الشئ أيام سليوكس الرابع وانطيوخس الرابع خليفتيه . ولقد كرس الملوك الثلاثة جهودهم لمحاولة استعادة قوة مملكة السليوقيين وكان الأمل دائما هو بالتوسع شرقا. ولذلك نلاحظ اهتماما قليلا بأمور الغرب لدى دولة السليوقيين فى هذه الفترة بل أن أكثر الملوك اهتماما بالغرب وهو انطيوخس الرابع كان اقصى مايتمنى الوصول اليه هو أن يبقى خارج نطاق النفوذ الرومانى.

لقد حاول انطيوخس الرابع أن يعيد قوة مملكته بما يسمح له بحرية الإرادة فسعى الى محاولة دمج الأجناس المختلفة فى مملكته من اغريق مستشرقين وشرقيين متأغرقين ويهود آملا أن تقوى مملكته من خلال اندماج عناصرها ولكن هذه المحاوله فشلت فشلا ذريعا وأدت الى ظهور الحركات القومية فى داخل مملكته ويكفى أن نعلم أن اليهود بدأوا حربا ضد السلطة استمرت أكثر من قرن ونتج عنها فى النهاية استقلال مملكة يهودية (١). سعى انطيوخس الى استعادة أراضى و أقاليم فقدتها

---

(١) تمتعت يهودية بحق تسيير أمورها ذاتيا سواء خلال فترة تبعيتها لبطالمة أو للسليوقيين . ولكن بدأ صراع اليهود ضد السليوقيين إبتداء من عصر أنطيوخس الرابع الذى أراد أن يفرض الأسلوب الأغريقى فى الحياة على اليهود فقاوموه.

I Maccabees I . 10-25 & 45-56 .

الدولة فى عصورها المختلفة ولكنه لم ينجح نجاحا كاملا وأن كان قد وصل بالاتفاق مع حاكم باكتيريا المستقل الى ايقاف زحف البارثيين وتحجيم مكانة ارمينيا. واخيرا سعى انطيوخس ايضا الى محاولة توحيد الدولتين الهلينستيتين الباقيتين فى سوريا ومصر تحت حكمه.

فى ذلك الوقت كانت روما تعد لحرب برسيوس(الحرب المقدونية الثالثة) وكانت تضع فى حسابها احتمال تحالف انطيوخس ومصر مع برسيوس فى مقدونيا وكان المسيطر على الأمر فى مصر وزيران هما Eulaeus و Lenaeus اذ كان الملك فيلوماتر مايزال طفلا، وفجأة وجدنا هذين الوزيرين يسعيان لجوف سوريا وهى تلك الأراضى التى فقدتها مصر لصالح السليوقيين قبل عدة عشرات من السنين. و رغم عدم وضوح الدور الرومانى فى تحريك الأطماع البطلمية القديمة رغم سوء أحوال البلاد فى الداخل فمن الواضح أن روما كانت المستفيدة من شغل مصر بسوريا وسوريا بمصر اذ أن الملك انطيوخس استغل الموقف لمحاولة تحقيق حلمه فى ضم مصر الى مملكته، وسار الى مصر حيث وصل ممفيس فى ربيع ١٦٩ ق.م ومنها اتجه الى اسكندرية ولكنه لم يدخلها مكتفيا بقبول بطلميوس الثامن عودة أخيه الى جانبه على العرش (١) وأيا كان سبب

---

(١) بعد ضم أنطيوخس الثالث لجوف سوريا والتسوية التى تمت مع بطلميوس الخامس فى عام ١٩٥، بقيت الأحوال بين المملكتين هادئة حتى عهد أنطيوخس الرابع، وعلى عهد هذا الأخير ثارت المشاكل بين البلدين ولانعلم الأسباب الحقيقية لهذه المشاكل وإن كان المعتقد=

الانسحاب وسواء كان برغبة الملك السورى أو على غير رغبته . فانه عاد مرة أخرى الى مصر عام ١٦٨ ق.م أملا أن ينجح في ضمها الى ملكه. وصلت قواته الى بيلوزيون وهناك استقبل سفراء الملك بطليموس السادس الذى شكره على مساعدته فى العام الماضى وأبلغه أنه وأخاه على وفاق وأنه ليس فى حاجه لمساعدتة ولكن انطيوخس أصر على التقدم نحو ممفيس حيث أعلن نفسه ملكا على مصر(١)، ثم اتجه الى الفيوم وأخيراً توجه نحو العاصمة الاسكندرية التى عسكر على مشارفها. وهناك استقبل سفارة رومانية يرأسها القائد الرومانى بوبيليوس لايناس Popilius Laenas الذى قدم اليه قرار مجلس الشيوخ الرومانى بضرورة عودته الى بلاده واقلاعه عن محاولة احتلال مصر ، وعندما طلب انطيوخس مهلة حتى يستشير رفاقه رسم السفير الرومانى دائرة بعصاه حول الملك على الأرض وطلب منه أن يبلغه رأية قبل أن يبرح الدائرة ولم يجد انطيوخس بدا من أن يستجيب للأمر الرومانى(٢) أما السفير الرومانى فقد عاد الى الاسكندرية حيث اعطى

= أن المبادرة للعداء إتخذها الجانب البطلمى(الحرب السورية السادسة ١٧٠-١٦٨ق. م) غزا أنطيوخس مصر للمرة الأولى فى عام ١٦٩مدافعا عن حق بطلميوس السادس فيلومتر(إبن اخت أنطيوخس) ضد أخيه بطلميوس الثامن.

(١) P . Tebt . III 698 .

(٢) "عندما تقدم أنطيوخس الرابع ضد بطلميوس السادس لكى يسيطر على بيلوزيوم، قابله القائد الرومانى(c.)Popilius (Laenas) حياه الملك بصوته من بعد ومد له يده اليمنى، ولكن بوبيليوس قدم له لوحة كانت فى يده والتى تضمت قرار مجلس الشيوخ، وطلب من أنطيوخس أن يقرأها أولا. وفى رأيى، لم يكن يريد أن يقدم أى علامة على الصداقة قبل أن يجد إستجابته لما جاء به، سواء كان صديقا أم عدوا. وعندما قرأها الملك، قال أنه فى =

تعليماته للملكين ثم غادر مصر الى قبرص ـ وكانت تابعه لها لكى يطمئن على اخلاء انطيوخس لها بعد أن سبق الى احتلالها ـ عموما فشلت أيضا محاولة انطيوخس لضم مصر الى أملاكه ويعود ذلك فى الواقع الى أخطاء ارتكبها اثناء غزوه مصير وأيضا الى حقيقة انتهاء روما من الحرب المقدونية الثالثة والقضاء على خطر برسيوس فى فترة قصيرة وبصورة غير متوقعة، ومن ثم كانت روما قادرة على التدخل ضد أطماع انطيوخس لاحبا فى مصر ولكن حرمانا لانطيوخس من مصدر القوة الذى يمكن أن يضمنه اذ هو ضم مصـر اليـــه .

ومع هزيمة انطيوخس فى مصر بسبب التدخل الرومانى فقد سار فى طريقه فى صراعه ضد اليهود وعلى الجبهه الشرقية حيث تدخل فى باكتريا ضد ديمتريوس ثم الحملة التى قادها ضد بارثيا ورغم النجاحات الأولية لحملته الإ أن وفاة الملك انطيوخس الرابع المفاجئة ادت الى كارثة للامبراطورية السليوقية اذ كان آخر العظماء من ملوك السليوقيين. واعتلى

=حاجة لاستشارة أصدقائه بالنسبة لهذة التطورات الجديدة. ولكن بوبيليوس فى إجابته صنع شيئاً يبدو مهيناً وفجا بالنسبة لمقام الملك. حيث رسم بفرع من كرمة كان فى يده دائرة حول أنطيوخس وطلب منه أن يجيبه على الرسالة قبل أن يخطو خارج الدائرة. فوجئ الملك بهذا الفجاجة ولكنه بعد تردد للحظة قال أنه سوف يفعل كل ماطلبه الرومان منه. بعد ذلك سلم بوبيليوس ورفاقه عليه باليد وحمدوا له فضله. قرار مجلس الشيوخ طلب منه أن يضع نهاية فوراً للحرب مع بطلميوس. وعليه ففى عدة أيام محدودة سحب أنطيوخس جيشه الى سوريا، حزيناً بسبب ما حدث ولكن متقبلاً الظروف الحالية. بوبيليوس ورفاقه أقروا الامور فى الاسكندرية ودعوا الملكين أن يتعاونا(فى الحكم البلاد) [. . .] وبهذه الطريقة أنقذ الرومان مملكة البطالمة من الأنهيار."

Polyb . XXIX . 27 .

العرش من بعده عدد من الملوك الخاملين، كان أفضل ما نجحوا فيه هو ايقاف تقدم البارثيين.

لقد خلص القدر روما من انطيوخس الرابع (ابيفانس) وقدرت روما أنه كان سينجح فى محاولاتة لولا سرعة انتهاء الحرب المقدونية الثالثه وموته المفاجئ ولذلك قرر الرومان أن يغرقوا مصر وسوريا فى بحر من الفوضى بما لايسمح لأى منهما أن تقف على قدميها فى المستقبل فكانوا دائما يغذون الخلافات العائلية فى الأسرتين الحاكمتين ويدعمون الحركة اليهوديه المناوئة للسليوقيين. ولذلك لم يعارضوا قيام الحروب بين مصر وسوريا من أجل امتلاك جوف سوريا، كما وضعوا العراقيل أمام كل ملك يبدو مبشرا مثل ديمتريوس الثانى الذى قبض عليه البارثيون فى عام ١٤٠ ق.م وانطيوخس السابع ١٣٩-١٢٠ ق.م . ولقد انساق ملوك سوريا فى تيار من الخلافات والمنافسات العائلية العقيمة كما فقدت المملكة السليوقية مصادر دخلها مماجعلها غير قادرة على استعادة جوف سوريا أو منع تقدم البارثيين.

لقد كان تاريخ سوريا فى تلك الفترة خليطا من الحروب الاهلية بين أفراد من البيت المالك وكذلك بعض المغامرين ومن المحاولات العقيمة المتكررة لاستعادة السلطة السليوقية على مناطق معينة كثيره التمرد مثل فلسطين التى استقلت أخيرا كمملكة تحت حكم أسرة ملكية خاضعه (Hasmonaeans) ، ومن حروب ضد مصر مرتبطة بالحروب الاسرية التى سبق الاشارة اليها، ومن الجهود اليائسة لاستعادة ميزوبوتاميا من البارثيين

وايقاف نمو المملكة الارمنية . وقد انتهت هذه المملكة السليوقية بالتسليم سلما لبومبى فى عام ٦٤ ق.م.

اما مصر فان القرن الأخير من حياة مصر البطالمة خال من الأحداث الهامة وتاريخ مصر فى تلك الفترة كان من الناحية العملية هو تاريخ صراعات أسرة البطالمة، وجرائمهم وعلاقاتهم بجيشهم وعلاقاتهم مع عامة السكندريين فى الاسكندرية وأخيرا شكاياتهم المستمرة ضد بعضهم البعض لروما الذين كانوا جميعا خدما مطيعين لها. ولسوء الحظ فاننا لانعلم غير القليل جدا عن صراع هؤلاء الملوك مع الوطنيين الذين كانوا فى ثورة دائمة تقريبا .

ولكن الامر الغريب حقا أنه نرى أكثر الممالك الهلينستية سلبية والدولة الاكثر خضوعا لمشيئة روما تفرز فى النهاية امرأة قوية قادرة وطموحة كان هدفها إعادة الحياة الى العالم الهلينستى فى صورة جديدة وأن تكون مصر مركز هذا العالم ويعتمد هذا العالم على قوات عسكرية تقدمها ايطاليا والغرب.

لقد اعتلت كليوباترة العرش البطلمى فى عام ٥١ ق.م هى وأخوها (بطلميوس الثالث عشر) حسب وصية ابيهما الذى جعل الرومان ضامنين لتنفيذها. ولكن دب الشقاق بين كليوباترة التى كانت تبلغ الثامنة عشرة من العمر وبين مستشارى أخيها، فسعوا حتى طردها من الاسكندرية رلجات الى بيلوزيون حيث كونت جيشا لتعود به الى الاسكندرية ، فى

ذلك الوقت وصل قيصر الى مصر فى اعقاب غريمه بومبي ودخل الاسكندرية وتقول الرويات أن كليوباترة جاءت اليه فى قصره ملفوفة فى بساط، وعرضت عليه قضيتها ونجحت فى اكتسابه الى جانبها.

أمر قيصر الأخوين بأن يسرحا جيوشهما ويقبلا تحكيمه ولكن مستشارى بطلميوس ١٢ توجسوا شرا فحركوا قواتهم شرقا فى اتجاه الاسكندرية ورغم بعض النجاحات العسكرية المبكرة فقد خسر بطلميوس الحرب وفقد حياته غرقا فى النيل(١).

عندئذ أعلن قيصر كلا من كليوباترة وشقيقها بطلميوس الرابع عشر ملكين بالاشتراك وذلك فى عام ٤٧ ق.م .

تركت كليوباترة مصر الى روما فى إثر قيصر حيث أقامت هناك ثلاث سنين الى جانبه تنتظر انتصاره النهائى فى معارك الصراع على السلطة واعلان نفسه حاكما مطلقا لروما. والجدير بالذكر أن كليوباترة كانت قد انجبت من قيصر ولدا أسماه الاسكندريون قيصرون وأعلنت كليوباترة ذلك على جدران المعابد حيث صور على هيئة حورس الى جوار أمه إيزيس، كما ظهرت عملة فى قبرص وقد نقشت عليها صورة كليوباترة على

---

(١) قامت حرب الاسكندرية بين قيصر تعاونه كليوباترة وبطلميوس ١٢ عام ٤٨ق . م وقد إحترقت مكتبة الاسكندرية خلال تلك الحرب. وقدحاول أنطونيوس تعويض كليوباترة عن فقدها لأغلب محتويات المكتبة بإهدائها كمية كبيرة (قيل ٢٠٠ ألف كتاب) من مكتبة برجاموم.

هيئة افروديتى - إيزيس وهى تقوم بارضاع قيصرون. وكانت كليوباترة فيما يبدو بذهابها الى روما قد فضلت أن تكون شريكة لقيصر فى حكم العالم الرومانى على أن تكون ملكة على مصر فقط.

ولكن مقتل يوليوس قيصر فى عام ٤٤ حطم كل مشاريعها فعادت الى مصر من جديد حاملة أحزانها . ويبدو أنها فكرت فى الانفراد بالسلطة فى مصر فهى الشئ الوحيد الباقى ، ومن ثم قتلت أخاها فى ٢٦ يوليو سنه ٤٤ وعينت ولدها من قيصر شريكا لها (وكان عمره أربع سنوات). قبعت كليوباترة فى مصر تترقب نتائج الصراع على السلطة فى روما دون أن تدلى بدلوها لصالح أنصار قيصر ، ولذلك فما أن استقرت الأمور لصالح أنصار قيصر حتى أرسل اليها انطونيوس حاكم الأقاليم الشرقية وأحد أنصار قيصر لكى تفسر له موقفها المتخاذل من قيصر وقضيته اتجهت كليوباترة الى طرسوس فى عام ٤١ ق.م ، حيث قبل انطونيوس تبريراتها بل وحضر الى مصر فى اعقابها حيث امضى معها عام ٤١-٤٠، كما قضى معها مابقى من عمره اعتبارا من عام ٣٦ ق.م .

ألقت كليوباترة بكل أوراقها لصالح انطونيوس فى الصراع على السلطة فى روما ففعل ما اعتبرته روما خيانة لها. تزوج كليوباترة وطلق أوكتافيا شقيقة أكتافيوس ، واحتفل بانتصاراته فى الاسكندرية لا فى روما وأهدى الاقاليم التى فتحها فى أرمينيا وغيرها الى أبناء كليوباترة من قيصر ومنه.

وفي روما كان أكتافيوس يثير الناس ضد أنطونيوس وأعماله ، واكثر ما أثارهم به هو أخبار خضوعه للملكة المصرية . ثم خرج أكتافيوس لحرب كليوباترة عدوة الشعب الروماني، ولم يشر الى حرب أنطونيوس خوفا من انقسام الأنصار في روما، وانتهى الصراع في اكتيوم بهزيمة الملكة وزوجها الروماني وانسحبت الى مصر وتبعها الى هناك . ثم انتحر أنطونيوس يوم أول اغسطس عام ٣٠ ق.م ولحقت به كليوباترة في العاشر من نفس الشهر(١).

وهكذا سقطت آخر ممالك العالم الهلينستي في أيدي الرومان وتحولت الى ولايه في عام ٢٩ ق.م(٢) .

وأصبح العالم الهلينستي جزءاً من الامبراطورية الرومانية.

---

(١) زكي علي ، كليوباترة القاهرة.

(٢) وضعية مصر في الامبراطورية الرومانية محل خلاف بين الباحثين إنظر فوزي مكاوي ، وآخرون ، مصر تحت حكم الرومان القاهرة ، ١٩٨٧.

٥ - حكومات العالم الهلينستى

١ - اشكال الوحدات السياسيه التى سادت العالم الهلينستى:

عاش الاغريقى فى العصر الكلاسيكى مواطنا فى مدينة دولة محدودة المساحة والمكان، وتعود على الحركة فى عالم من المجتمعات الصغيرة كانت أثينا واسبرطه تعتبران فية من العماليق على الرغم من أن كل منهما كانت بوجه عام تتبع النظام السياسى الذى يراه فى مدينته(١). ولكن مع حلول العصر الهلينستى انتهت سيادة نظام المدينة الدولة وحل محله عديد من الأشكال السياسية. أهم هذه الاشكال وأكثرها انتشارا كان النظام الملكى. ولكن حتى هذا النظام الملكى كان يعرف اختلافات كبيرة فى مملكة معينة عن أخرى بعينها . هناك مثلا الممالك الضخمة مثل مملكتى البطالمة فى مصر والسليوقيين فى آسيا بطابعهما الشرقى وهناك مملكة مقدونيا بتقاليدها الملكية المحافظة وتقف فى المنتصف بين التقاليد الشرقية والتقاليد المقدونية مملكة برجاموم الصغيرة. شكل آخر من أشكال الوحدات السياسية فى العصر الهلينستى كان شكل المدينة الدولة وكانت على هذا العصر نوعان: المدن الاغريقية القديمة وكانت دائما تسعى للاستقلال بأمورها

---

(١) للمزيد من القراءة عن عالم المدن الاغريقية فى العصر الكلاسيكى.
فوزى مكاوى ، تاريخ العالم الاغريقى وحضارته ، الدار البضاء، ١٩٨٠م.

بل وتحارب أحيانا من أجل الفوز بهذا الاستقلال. كان هناك أيضا مئات المدن الجديدة التى قامت فى أقاليم الممالك المختلفة وكانت هذه المدن تختلف فى نشأتها وتطورها عن المدن الدول فى بلاد الاغريق، اذ كانت المدن الجديدة تمارس تسيير أمورها فى الداخل بالأسلوب الاغريقى ولكنها كانت خاضعة كلية للملوك التى تقع هذه المدن فى ممالكهم. وشهد العصر الهلينستى ازدهار شكل من أشكال الحكومات هى الاتحادات الفيدرالية التى أصبحت قوى ذات أهمية خلال القرن الثالث ق.م رغم أنها كانت قد بدأت فى الظهور منذ القرن الرابع ق.م ضمت هذه الاتحادات مدنا لها حكومات مستقلة وأقاليم ريفية. ولقد كانت هذه الاتحادات قادرة لوقت طويل على مقاومة محاولات الملوك الهلينستيين للسيطرة عليهما وفى الحقيقه لقد أثبتت هذه الاتحادات الفيدرالية أنها كانت الخلف العصرى الناجح لنظام المدينة الدولة. لقد كانت هذه الاتحادات امتزاجا حقيقيا للمدن وكانت أيضا التطور الوحيد الذى شهده الميدان السياسى فى العصر الهليسنتى(١).

لم تكن الممالك والاتحادات الفيدرالية والمدن الدول هى كل النظم السياسية القائمة خلال العصر الهلينستى. وأنما عرف هذا العصر وجود مدن دينية كبيرة فى آسيا الصغرى وسوريا كانت تحكمها أسر قوية من

---

(١) أشهر هذه الاتحادات فى العصر الهلينستى هى العصبة الأيتولية والعصبة الآخية والعصبة الهلينية.

الكهنة وقد مارست هذه المدن قدرا كبيرا من الاستقلال الى حلول العصر الرومانى والمعروف أنه كانت هناك مملكة يهودية فى فلسطين تمتعت باستقلال تام من منتصف القرن الثانى وبقيت ,كذلك لحين ظهور الرومان فى المنطقة بعد مائة عام من ذلك التاريخ.

هناك أيضا الدويلات الاقطاعية الصغيرة (الفيوداليات) التى وجدت فى داخل الاقاليم السليوقيية وقد تولى أمور الحكم فيها استقراطيات محلية.

وبالاضافة الى ماسبق كانت هناك عواصم ومستعمرات عسكرية ومدن ذات نظم سياسية متنوعة تنتشر فى كل مكان وعلى مواطن العالم الهلينستى أن يعيش حقيقة هذا التنوع الواسع.

٢ـ <u>أنماط السكان :</u>

تباينت شعوب العالم الهلينستى تباين نظم الحكم فيه وبينما كان الاغريقى يعيش خلال العصر الكلاسيكى مع سكان عالم بحر ايجه المتشابهين أصبح العالم الهلينستى يضم كل سكان الامبراطورية الفارسية القديمة بكل تنوعاتهم فلكل شعب منهم تاريخه الوطنى وشخصيته الخاصة. فمثلا كانت مصر هى أرض الفلاحين المصريين الذين يبلغ عددهم حوالى سبعة ملايين نسمه يقيم بينهم مجموعات غير معروفة العدد من الغرباء : الاغريق

والمقدونيين الذين جاءوا اليها مستعمرين ومستوطنين وكان محور التواجد الاغريقى المقدونى فى مصر يتركز فى مدينة الاسكندرية التى بلغ عدد سكانها عند ذروة ازدهارها حوالى مليونا من السكان ـ هذا اذا أحصينا جميع القاطنين بها سواء كانوا من الوطنيين أو الاغريق(١). وكان التنوع السكانى فى الامبراطورية السليوقية بغير حدود فهناك الرعاة الايرانيين الذين يتحركون للرعى فى الأقاليم شبة الصحراوية الواقعة الى الشرق من العاصمة الفارسية القديمة برسيبولس. أما بابل وسوريا فقد ضمت بعض المجتمعات الأكثر تقدما. وقد قدر عدد سكان الامبراطورية السليوقية بحوالى ثلاثين مليونا من السكان، يضاف اليهم عدد غير معروف من الاغريق والمقدونيين عاشوا فى المدن (الاغريقية) يفصل بين الواحدة والأخرى الأف الآميال فمثلا نجد الاسكندرية البعيدة التى تقع قرب كلكتا الحالية أسفل نهر الجانج كان يفصلها عن عاصمة الدولة انطيوخ (انطاكية) ٢٢٠٠ ميل.

٢- <u>علاقه المواطن الهلينستى بالدولة:</u>

أن أهم مايميز العصر الهلينستى هو انفصال الحكومة عن الشعب، فبينما كنا نلاحظ فى العصر الكلاسيكى أن المدينة الدولة لم تكن لها حكومة منفصلة عن الشعب بمعنى وجود رسميين دائمين بالحكومة سواء كانوا

---

(١) Polyb . Xiv . 12 .

مشرعين أو قضاه أو اداريين فأن الأمر قد اختلف تماما فى العالم الجديد (الهلينستى) اذ عرف هذا العالم الحكومات الدائمة بملوكها وبلاط كل ملك وسدنة الادارة فى كل دولة، وكانت هذه الحكومات تضم متخصصين فى الحكم أو بمعنى آخر محترفين وبذلك كانوا شيئا آخر غير الناس منفصلين عنهم.

وكذلك صاحب ظاهرة احتراف السياسة والإدارة اختفاء ظاهرة هامة ميزت العصر الكلاسيكى وهى الربط بين اكتساب مواطنة مدينة معينة والحصول على حقوق بعينها. فكان الأمر يعنى الكثير عندما يكون المواطن اسبرطيا أو أثينيا أو طيبيا أو غير ذلك . إن اكتساب صفة المواطنة فى مدينة معينة فى العصر الكلاسيكى كان يعنى مشاركة فى قوة الدولة ومغانم الحرب ومكاسب الامبراطورية. ولكن هذه الظاهرة اختفت مع بداية العصر الهلينستى فان هذة المدن أصبحت بلا حول ولا طول فيما عدا تسييرها لشئونها المحلية، وهكذا صار أيضا حق المواطنة فيها فلم توجد خلال العصر الهلينستى دولة مدينة من المدن القديمة كانت تقدر على حماية مواطنيها خارج حدودها أو حتى داخل هذه الحدود فى مواجهة إرادة الملوك، كما لم تقدم أى دولة هيلنستية لمواطنها أى نوع من أنواع الامتيازات بسبب انتمائه اليها كتلك الحقوق التى كانت تقدمها روما لرعاياها. لقد كان سكان كل مملكة هلينستية رعايا للملك الحاكم الذى كان على الأقل من الناحية القانونية صاحب سلطة غير محدودة على رعاياه.

والطريف أن تحطيم قوة روابط المواطنة قد فتح الطريق لانتشار الحضارة الهلينستية. ففى ظل النظام القديم كان ضروريا على المدن أن تدقق بشده فيمن يمنح حقوق المواطنة فيها حيث أن زيادة عدد المواطنين كانت تعنى فاقدا فى القوة والعائد المادى يتناسب مع الزيادة فى عدد المواطنين . وكانت النتيجة هى بقاء الثقافة الاغريقية الى حد كبير ـ مرتبطة بالمدينة الدولة وأعيادها وصراعاتها وأشكال الحكم فيها، كما كانت الثقافة مسألة تخص أولئك الذين من حقهم أن يشاركوا فى هذه الاشياء بحكم مولدهم.

ولكن بمجرد اضمحلال الأهمية السياسية للمواطنة فى العصر الهلينستى، لم يعد من الضرورى أن يتم التدقيق أو وضع عراقيل أمام إضافة مواطنين جدد . وهكذا شهد العصر الهلينستى تبادل الحقوق السياسية بين المدن ، وهو الذى كان من المستحيل تصور حدوثه خلال القرنين الخامس والرابع ق.م.

وقد أصبح معيار التقدير فى العصر الهلينستى لاالمولد أو النسبة الى مدينة ما وانما الثروة والموهبة والثقافة التى يتمتع بها المواطن.

ففى أثينا خلال العصر الكلاسيكى لم يكن فى مقدور أى مواطن أن يختار موقعه فى الدولة فالحكومة والى حد أقل الجيش كان يحدد للشخص الذى ينتمى الى فئة معينة مكانا بعينه ـ بالطبع مع وجود عدد من الاستثناءات المعروفة ـ وهكذا يمكن أن نقول أنه لم يكن للموهبة أى

تقدير فيما عدا بعض الوظائف التى كان يتم شغلها بالانتخاب.

والمعروف أن الخدمة فى المدينة فى العصر الكلاسيكى كانت قائمة على مبدأ التطوع ولكن الأمر اختلف فى دول العصر الهلينستى الذى أصبحت السيادة فيه لمبدا الاحتراف . ولم يكن أبناء مدينة معينة يحصلون على مميزات خاصة فى المملكة التى يفدون اليها وإنما كان يكفى المرء أن يكون اغريقيا أو حتى يدعى أنه اغريقى.

وحتى فى نشاطات كالتمثيل والموسيقى والرياضات كان العاملون فيها من المحترفين الذين حلوا محل هواة العصر الكلاسيكى . كان هؤلاء المحترفون يشتركون فى المناسبات العامة ويمكن أن ينقلوا ولاءهم من مدينة الى أخرى ومن مملكة الى مملكة ثانية.

ولقد كانت الحاجة كبيرة الى المتميزين فى فنونهم فى كل العالم الهلينستى كالأطباء والتقنيين والمهندسين والعلماء وقواد الجيش وغيرهم ولذلك تنقلوا وتحركوا أينما لاحت لهم الفرص المناسبة وعلى سبيل المثال نجد عالم الرياضيات ابولونيوس من برجا Perga قد حقق أغلب نجاحاته الرائدة فى مجال المخروطات فى متحف الاسكندرية تحت رعاية البطالمة ثم انتقل الى برجاموم حيث أهدى طبعة منقحة من عمله لسيدة الجديدالملك اتاللوس Attalus ملك برجاموم(١).

---

(١) عاش أبولونيوس مابين ٢٦٢-١٩٠ق. م. وقد قضى فترة طويلة من حياته فى الاسكندرية كان عالما فى الرياضيات والفلسفة أصدر عدة مؤلفات أشهرها كتاب من ثمانية أجزاء عن (المخروطات) لم يبق منها سوى أربعة بالاغريقية وثلاثة بالعربية.

وقد واجه العالم الجديد حاجة ملحة الى الاداريين المدربين والمحاسبين والمديرين والكتبة لكي ينظموا ويدبروا الأعمال الادارية المتشعبة فى ممالك ذلك العالم . وكانت هذه الممالك تحتاج أيضا الى جنود مرتزقه لخدمة أهدافها الحربية.

ومع الفصل الواضح بين الحكومة والمجتمع والأهمية المتناقصة لقيمة المواطنة أصبح الثراء ذو أهمية أكثر من أى وقت سابق ، وهكذا نلاحظ خلال العصر الهلينستى أن التمييز بين الغنى والفقر كان دائما هو الخط الرئيسى الواضح للتمييز بين الطبقات ومع ذلك يجب أن نشير الى أن المثقفين الجدد كانوا المواطنين الجدد الوحيدين فى العالم الهلينستى ، أما الطبقات الأدنى فقد تزايد فقدانها لحرياتها وتتضاءلت أهميتها بالتدريج.

٤ - مكانة الملوك فى العالم الهلينستى :

كانت الملكية هى النظام السياسى الغالب فى العالم الهلينستى وهو نظام غير اغريقى وأن كان مألوفا عند المقدونيين والبلاد الشرقية التى انتصر عليها الأسكندر الأكبر . ومن المثير حقا أن نعلم أن الاغريق قد رضخوا لمقتضيات العصر وتأقلموا على النظام الجديد بل لقد تم هذا التأقلم بسرعة مذهلة رغم التنافر التاريخى بين الاغريق وتركز السلطة فى يد فرد واحد ورغم أنهم كانوا يصفون خلال العصر الكلاسيكى رعايا الملوك بالعبيد.

أننا نجد الاثينين كمثال على هذا التأقلم لايكتفون بقبول ديمتريوس ملكا ولكنهم يقدسونه كاله بل كما يقولون ."الآلهة الأخر بعيدون عنا ولا يمكنهم سماعنا ... ولايهتمون بنا ولكننا قادرون على رؤيتك لاكتمثال من الخشب أو الحجر، وأنما (نراك) وجها لوجه ... لذلك نحن نصلى لك ..." وبما أن الاثينيين ألهوا ديمتريوس فليس غريبا أنهم خصصوا مبنى معبد البارثنون كسكن له(١).

إن هذا التحول فى نظرة الاغريق الى الملوك لم تحدث فجأة ولكنها كانت نتيجة تطور الفكر الاغريقى مما جعل نظرية تروج فى العالم الهلينستى تقول بأن الالهة كانوا فى الأصل ملوكا ثم ألهوا فيما بعد.

وقد مهدت هذه النظريات الطريق أمام تأليه الملوك خاصة وأن ملوك العالم الهلينستى كانوا من الناحية العملية محور الفيض الروحى للبلاد الاغريقية المختلفة ومن ثم كانوا يقدسون كمنعمين ومنقذين يمكن الاعتماد عليهم فى تدعيم مواطنى المدن ضد أعدائهم فهذا ديمتريوس ينقذ أثينا من يدى كاسندر، وبطلميوس المنقذ (الاول) ينقذ رودس من يدى ديمتريوس وأنطيوخس ينقذ اغريق آسيا من قبائل الكلت.

واذا كان الاغريق فى حاجة فى اقلمة أنفسهم على قبول تقديس الملوك فان هذا الامر لم يكن يمثل مشكلة فى مصر . اذ أنها تعودت منذ

---

(١) Athenans , Deinpnosophistae II . 253.

قرون سحيقة على تقديس فراعنتها، وتتابع اعلان الملوك الهلينستيين آلهة وامتدت عبادتهم الرسمية فى كل مكان فى ممالكهم وأن كانت عبادة هؤلاء الملوك فى العصر الهلينستى قد تميزت عن عبادة الممالك القديمة لملوكها بأن عبادة الملك وتقديسه فى العصر الهلينستى استندت الى الانجازات الشخصية للملك سواء كانت انتصارات كبرى أو اعمال بطولية أو مكاسب أنعم بها الملك على رعاياه . ولقد رأى الاغريق هذه الانجازات مبررا للملك لتأليهه.

٥ - الادارة فى الممالك الهلينستية :

كان يحيط بالملوك بلاط أرستقراطى وقد عرف عليه القوم فى البلاط بأنهم قرابة الملك وأصدقائه. لكن الملك كان صاحب سلطة مطلقة لا تحدها مؤسسات دستورية ، وكان له الحق فى نقل كبار الموظفين فى مملكته أو اعفاءهم . وكانت إرادة الملك تصدر فى صورة قرارات أو مراسم لها قوة القانون . باختصار كان الملك وبلاطه هم الدولة ولايمكن النظر للمملكة التى يحكمها باعتبارها مجتمعا يتمتع افراده بحقوق المواطنة مثلما كان الحال فى المدن الدول أو الاتحادات الفيدرالية أو الجمهوريات . لقد كان الناس ببساطة رعايا الملك وكان بيده تقرير حياتهم وموتهم .

وأن كانت هذه السلطة مطلقة فان ذلك كان من الناحية النظرية

فقط ولكن من الناحية العملية فلم يكن الملك قادرا أن يدير مملكته الكبيرة الا من خلال نظام ادارى مركب وبالتالى كان الملوك الضعاف أو الكسالى يقعون تحت سيطرة المهيمنين على النظام الادارى فى المملكة كما كان الملك فى حاجة لتأييد الاغريق القاطنين فى تلك البلاد سواء عاشوا فى المدن أو المستوطنات أو فى الأقاليم الريفية. لقد كان هؤلاء الاغريق - بالاضافة الى جيش المرتزقة وموظفى الادارة ـ هم السند الرئيسى للملوك على الرغم من عدم ثقتهم فى ولاء الاغريق أو تقدمهم للعون المادى والعسكرى عند الحاجة. لذلك فضل الملك أن يفرض على الاغريق بعض الضرائب ويستخدم الحصيلة فى ترتيب أموره دون أنتظار لمساعداتهم.

وبالنسبة للمواطنين فى الريف فقد اتخذوا موقف المقاومة فى كل الممالك ففى مصر مثلا كانت الاضرابات والثورات تجبر البطالمة على تقديم امتيازات للمصريين وتعيين مصريين أكثر فى داخل الحكومة(١). وفى الامبراطورية السليوقية استطاع البارثيون واغريق اسيا أن يكسبوا استقلالهم ويدعموه على حساب الحكومة المركزية. ولقد عانى الملوك السليوقيين أكثر مماعانى البطالمة بسبب وعورة تضاريس بلادهم والمسافات الشاسعة فى تلك البلاد (٢) وكثرة المدن الاغريقية فى امبراطوريتهم فضلا عن قوة

---

(١) للقراءة عن الثورات المصرية ضد البطالمة والأضطربات التى كانت تحدث بين الوطنيين والمهاجرين فى مصر راجع:- P . Col66,P.Tebt.5&704,OGIS 54&90,UPZ1.8

(٢) راجع Polyb.XI.34 ويتحدث فيها عن الجهود التى بذلها أنطيوخس الثالث لاستعادة مكانة دولته على الأقاليم الشرقية.

الارستقراطيات المحلية والدول الدينية. أما مصر فكانت بالنسبة للبطالمة أفضل وضعا بسبب عزلتها النسبية جغرافيا وانصهار عناصرها السكانية ولكن حتى فى مصر فقد واجه البطالمة اعداءا شديدى المراس بين الكهنة المصريين وجماهير الفلاحين فى الريف الذين لم يكفوا يوما عن النظر اليهم كغزاة أجانب. وحتى الاسكندرية العاصمة ذات السكان غير المتجانسين والتمردين فقد عانى البطالمة صعوبات كبرى. وهكذا واجه الحكام المؤلهون كلهم مشاكل انسانية شديدة التعقيد.

٦- الإدارة فى مقدونيا :

لقد كانت مقدونيا اقرب الممالك الهلينستية الى نظام الملكة الدستورية ولقد أحيى انتيجونس جوناتاس التقاليد التى أرساها الأسكندر الاكبر وديمتريوس. صحيح أن انتصارات فيليب والأسكندر أدت الى تغييرات دائمة فى البلاد. لقد دخل عنصر جديد الى السياسة المقدونية بضم فيليب لمدينه أمفيبولس ومدن اغريقيه أخرى على ساحل البحر كما أنشأ كاسندر مدينتين جديدتين هما كاسندريا وثيسالونيكى Thessalonice كما ضعفت الاستقراطية المقدونية لأن بعضها استقر فى آسيا مع الفتوح هناك والبعض اشتركوا فى مواجهة غزو الجلاتيين لقد كان بلاط جوناتاس مكانا لعمل مجموعة من النبلاء ولقد عاش المقدونيون حياة عائلية خالية من المنازعات التى شهدتها الاسرتين البطلمية والسليوقية.

ولقد كان الملك المقدونى يعتلى العرش بناء على قرار الشعب المقدونى ويمثله جيشه كما لم يسع الملوك المقدونيون الى تأليه أنفسهم على الرغم من أن بعض الملوك المقدونيين قد ألهوا فى مدن يونانية هنا وهناك بينما لم يؤلهوا أبدا بواسطة المقدونيين لا فى حياتهم ولا بعد مماتهم كما أنهم نادرا ما ضربوا نقودا تحمل صورهم قبل عصر فيليب الخامس.

وبالنسبة للإدارة فى مقدونيا تحت حكم أسرة انتيجونس فاننا لانعلم الإ القليل جدا. ويبدو ان أغلبها سار على النظام القديم قبل العصر الهلينستي، واذا قورنت هذه الادارة بنظام الأدارة البطلمى فانها تبدو بدائية. ولقد ساعد صغر حجم المملكة على عدم وجود نظام مركب من أقاليم ومديريات الإ أنه من الممكن أن تقسيم الرومان لمقدونيا بعد استيلائهم عليها الى أربعة أقسام كان تقريرا لواقع سابق سارت عليه(١).

من الواضح ان المداخيل المقدونية كانت محدودة اذ أن مناجم الذهب فى Pangaeum التى استغلها فيليب الثانى كانت قد توقفت عن الانتاج، كما أن ضرائب الأرض كانت لاتغل أكثر من مائتى تالنت وبما أن الفلاحين كانوا يتحملون الخدمة العسكرية فلا بد أنهم لم يطالبوا بالمزيد . وكانت عوائد الموانى قليلة وحجم التجارة صغير. وحتى الأملاك الملكية لاتبدو أنها كانت متسعة.

---

(١) Livy , XLV . 29 . 3-30 , 32 . 1-7 .

٧- برجاموم :

كان ملوك برجاموم لايقدسون فى حياتهم وانما يؤلهون بعد وفاتهم كما قدسوا بعيدا عن برجاموم فى عدد من المدن الاغريقية التابعة لهم. ولذلك كانوا أقرب الملوك الهلينستين الى ملوك مقدونيا.

ولكن بالنسبة للادارة فإن نظام الحكومة كان أقرب الى نظام أصدقائهم البطالمه أو منافسيهم السلوقين أكثر منه الى نظام مقدونيا. فتحت حكم يومنيس الثانى اتخذوا نظام الادارة السليوقى فى الاقاليم التى اقتطعت من المملكة السليوقية فى أسيا الصغرى. ولكن روح حكمهم كان اقرب الى نظام البطالمة الذى كان ينظر الى مملكتهم باعتبارها بقرة حلوب تدر لهم المداخيل . ولقد زادوا من ثرواتهم بزيادة الضرائب والتدخل المباشر للدولة فى الاقتصاد. ولقد أنفقوا بسخاء كالبطالمة أيضا لتحسين صورتهم فى نظر الاغريق وبينما كانوا يضيقون على أنفسهم فقد انفقوا بسخاء لجعل برجاموم رائعة الحسن ومركزا للتعليم. وليس هناك ملوك كانوا أكثر كرما من ملوك برجاموم فى هداياهم التى قدموها الى المعابد فى بلاد الاغريق الأصلية(١).

---

(١) Strabo XIII . 4 . 1-2 وكذلك OGIS 329 & 651

٨-الدولة السليوقية :

لقد كانت الدولة السليوقية بالنظر الى اتساع اقليمها وتنوع سكانها أقرب ماتكون خليفة للامبراطورية الفارسية . لقد بدأت المملكة السليوقية بأقاليم شرقية عندما نجح سليوكس فى اقامة حكمة على بابل وبعض الأقاليم الواقعة الى الشرق منها قبيل معركة ابسوس وأنتهت المملكة ايضا بفقدها لكل أملاك خارج أملاكها الشرقية وهكذا بدأت وانتهت مملكة شرقية. ولكن معركة ابسوس اعطت لسليوكس واجهة بحرية وجعلت منه الخليفة السياسى لأنتيجونس الاول.

لقد ابقى سليوكس نظام الادارة الفارسى ، ولكن بنى فيه طرازاً متهيلنا للدولة(١).

لقد اخذ السليوقيون عن الاخمينيين النظام الامركزى فى الادارة، التى كانت بالتاكيد أفضل النظم مناسبة لملكة لها هذا الاتساع وعدم التجانس البشرى. وفى الأقاليم التى كان من الصعب السيطرة عليها وفى الأراضى التى كان الشعور القومى فيها قويا سمحوا لأسر محلية بأن يمارسوا حكما ذاتيا فى مقابل ضريبة سنوية. ومنذ حكم انطيوخس الثالث فان معظم الهضبة الايرانية قد ذهبت الى أيدى ملوك مستقلين، اغريق

---

(١) IGLS VII . 4028 و OGIS 221-222 & 225
Sardis , Epigraphica III و Leyden , 1970 no 36 .

وشرقيين ولقد كان خلفاء انطيوخس الرابع غير قادرين على منع اسرة المكابيين من الاستقلال.

وبالنسبة للأراضى التى كانت تحت حكم السليوقيين المباشر فقد إتبعوا على العموم النظام الفارسى بتقسيمها الى حوالى عشرين اقليما كبيرا احتفظت بالاسم القديم (ستراببيات). ولقد اتبعوا للاشراف على هذه الولايات نظام الطرق الملكية. ونظام البريد الذى كان أهم أدوات السيطرة الإخمينية والذى استمر يستخدمه الأسكندر الأكبر ثم أنتيوجنس الأول.

وعلى الجانب الآخر أدخل السليوقيون نظاما جديدا بأن قسموا كل اقليم الى ثلاثة أو أربعة من الاقسام الصغيرة التى تسمى Eparchies (وكان العدد الاجمالى لهذه الأقسام الصغيرة فى مملكة السليوقيين هو ٧٢ قسما) وكان كل ايبارخى ينقسم الى عدد من الهيبارخيات Hyparchies كما لم ينفذ السليوقيون نظام الاخمينيين بتجميع الأقاليم الواقعة شرق الفرات فى إقليم واحد بعاصمة اقليمية. كما اختلفوا عن النظام المالى الفارسى بسحب الاختصاصات المالية من الولاة والموظفين المحليين الآخرين وركزوها فى جهاز مركزى مستقل. ويبدو أن دخل دولتهم فاق حتى دخل البطالمة. لان السليوقيين وأن كان عطاءهم محدودا بالنسبة للفنانين والعلماء إلا أنهم كانوا مضطرين للانفاق باستمرار على امور الدفاع بسبب مشاكل حماية الحدود الطويلة للمملكة ووباء النزاعات الأسرية فضلا عن تكاليف مقاومة

الحركات الوطنية. وقد أدى هذا بالسليوقيين الى ضرورة ابقاء قوات كبيرة باستمرار جاهزة للقتال مع مايعنيه هذا من تكاليف لاحدود لها. لم يلجأ السليوقيون من أجل زيادة دخل دولتهم الى نظام احتكار الانتاج الذى اعتمده البطالمة. لقد كانوا يحصلون على دخلهم من مصادر ثلاثة رئيسية : الأول نسبة من الدخل مفروضة على اراضى الملك. ومن السيطرة على المناجم التى كانت أهمها يقع فى آسيا الصغرى وجبال طوروس. فضلا عن مبالغ محدودة كانت تدفعها المدن ، وقد أدى هذا النظام المالى بالسليوقيين الى عدم ضرورة وجود هيئة موظفين ضخمة لجمع دخول الملك.

لقد أدخل السليوقيون تغييرات أخرى أهم من هذه التفصيلات على الادارة. لقد كان الملوك الاخمينيين قد سمحوا بتزايد نفوذ الكهنة لدرجة أنهم أصبحوا يكونون دولا داخل الدولة. مثل مدينة أورشليم وهناك سلطات معابد أخرى فى سوريا وآسيا الصغرى مارست نفس السلطة وقد حاول السليوقيون أن يحدوا من هذه السلطات.

ولكن السمة الخاصة للسليوقيين كانت أهمية البلديات فى داخل أملاكهم. فتحت الحكم الإخمينى تركت بعض المدن الدول قائمة فى فينيقيا مثلا ولكن دون تشجيع من الدولة على وجود مثل هذه المدن. ولكن منذ عصر الاسكندر الاكبر فأن المنطقة السليوقية أضحت الميدان الرئيسى للاستيطان الأغريقى. وبالنسبة لبناء المدن فأن السليوقيين أنفسهم كانوا

روادا فى هذا . لقد أنشأ سليوكس الأول مستوطنات فى شمال سوريا وعلى طول الفرات الأوسط، حيث ظهرت مدن تحمل أسماء مقدونية مثل Chalcis , Edessa.الخ كانت مستوطنات للجنود المسرحين. ولقد أكمل أنطيوخس الأول جهد الاسكندر فى الأقاليم الشرقية بأن أنشا مجموعة من المدن الاغريقيه على شكل حدوة الحصان فى أطراف الهضبة الفارسية الخصيبة. كما قام أنطيوخس الثانى بتشديد قبضته على خطوط الاتصال فى أسيا الصغرى بأنشاء سلاسل من المستوطنات، كما أعاد أنطيوخس الرابع تنظيم كثير من المدن القديمة فى سوريا وبابل. ولكن السليوقيين لم يكونوا مجرد كبار بناة المدن بين الملوك الاغريق، فلقد كانوا أيضا أكثر الملوك إقرار بحرية هذه المدن فى تسيير شئونها بنفسها.

وبالنسبة لتأليه الملوك فلقد كان السليوقيون بعيدين فى نظريتهم عن الانتيجونيين فى مقدونيا والاتاليين فى برجاموم . ولقد كان أنطيوخس الثالث أول الملوك السليوقيين الذين يقرون نظاما لتقديس الملوك فى المملكة.

٩- مصر البطالمة: الادارة العامة:

أن تاريخ مصر فى العصر البطلمى يختلف من حيث مصادره عن تاريخ البلاد الأخرى فى العصر الهلينستى . فبينما علينا لكى نتتبع

تطورات الحياة فى تلك البلاد أن تتسقط الأخبار عند هذا الكاتب أو ذاك وقد نجد سنوات طويلة من تاريخ تلك البلاد دون أن نعثر على خبر واحد عن أحوالها . ولكن الأمر مختلف بالنسبة لمصر اذ حفظت أرضها(١) كميات هائلة من أوراق البردى أغلبها وثائق رسمية أو شبة رسمية وبالتأكيد أن هذه الوثائق البردية لاتغطى بنفس الدرجة كل الأقسام الجغرافية لمصر ولا كل الفترات الزمنية أيضا . فأغلب هذه الوثائق تعود الى عصر بطلميوس الثانى وبطلميوس الثالث أو من القرن الثانى ق.م، بينما لانجد أى اشارات واضحة فيها عن السنوات الأولى لقيام دولة البطالمة فى مصر. كما نلاحظ أيضا أن اغلب هذه الوثائق قد اكتشفت فى أقاليم مصر الريفية خصوصا الفيوم ولذلك فأنها تغطى اهتمامات موظفى تلك الأقاليم ولا تشير الى السياسة العامة للدولة قصدا. ومع ذلك فهذه الوثائق تضم عدداً من المراسيم الملكية الهامة كما أنها تبين صورة عن العمل اليومى فى جهاز الادارة وهو الشئ الذى لانملكه عن أى دولة إغريقية أخرى .

لقد كانت ظروف البطالمة فى مصر افضل من ظروف السليوقيين فى سوريا . لقد حكم البطالمة وادى سهلى يضم سكانا متجانسين غير شرسين أو محبين للقتال.

---

(١) زكى على ، البردى تراث مصرى أصيل ، القاهرة ١٩٨٥.

وبالنسبة للادارة العامة للبطالمة فقد أبقى البطالمه تقسيم مصر الى نفس الأقاليم Nomes التى عرفتها أثناء العصر الفرعونى. ويبدو أن عدد هذه الاقسام كان حوالى أربعين قسما. وكان يرأس كل اقليم Nome قائد استراتيجوس Strategos الذى كانت وظيفته الأولى حفظ النظام، لذلك وضع تحت رئاسته قوة من رجال الشرطة بما فيهم عدد من الشرطة المتخصصة لحراسة النهر والطرق الصحراوية، وبالطبع كان يستطيع أن يعتمد فى حالة الضرورة على المستوطنين العسكر فى اقليمه. وربما كان القاضى الرئيسى فى حالات الجرائم . وكان له أن يكتب الى بلاط الملك فى الحالات التى يراها. هيئة معاونى الاستراتيجوس ضمت الابستاتيس Epistates الذى كان يبدو نائب القاضى، ورئيس البوليس Phulikon ومسجل كان يحمل اللقب الفرعونى الكاتب الملكى. وكان كل اقليم ينقسم الى عدد من المراكز Topoi يحكم كل منها حاكم المركز توبارخو Toparchus وكان يحكم كل قرية من قرى التوبوس حاكم القرية كومارخيس Komarches ولها كتبتها وبوليسها. وفى القرن الثانى كان حاكم اقليم طيبه Epistrategos كان مكلفا بالاشراف العام على أرياف مصر العليا وادارة العمليات العسكرية فى ذلك الاقليم(١).

---

(١) J. P. Mahaffy , Revenue Laws of Ptaloemy philadelphus, (OxFord , 1896)

القضاء المدني في الإقليم كان مكلفا به نوعان من المحاكم Laocritae , Chrematistor وكانت الاولى محكمة فرعونية الأصل قضاتها من رجال الدين، الذين كانوا يفصلون فى المشاكل بين الوطنيين. أما المحكمة الثانية فكانت محكمة متنقلة قضاتها ثلاثة أو أكثر يدورون من اقليم لاقليم وينظرون فى القضايا التى تقع بين أطراف من الاغريق أو المتأغرقين، وفى القرن الثالث كانت تنظر القضايا التى ينتمى أطرافها الى جنسيات مختلفة أمام محكمة مختلطة، ولكن بالوقت أصبح المدعى هو الذى يختار المحكمة التى يرفع قضيته أمامها فى ضوء اللغة التى يجيدها ولقد كانت تقوم مرافعات فى المحاكم العليا، ولكننا لانعرف شيئا عن تنظيم تلك المحاكم .

وفى مصر حيث يمثل النيل قيمة عظمى فى حياة الناس كان لابد أن يوجد من يتولى اموره، ولقد وجد من عصر البطالمة المبكرين موظف سام هو Architeton كان مكلفا بمتابعة نظام الرى وكان ينفذ أوامره رسميون لهم نفس لقب وظيفته فى كل اقليم.

١٠- مصر: الادارة المالية:

إن اكثر أدارات الدولة البطلمية إحكاما كانت وزارة المالية والمعروف أن مصر كانت لاتحقق الا عوائد قليلة للدولة . ولكن الزعماء الذين ثاروا على الفرس فى منتصف القرن الرابع وتوجوا فراعنة نجحوا فى الحصول

على مصادر جديدة للدخل، وكليومنيس الوزير المكلف بمالية مصر من الاسكندر الاكبر استطاع أن يحقق ثروة كبيرة، ومع ذلك فهذا الرجل لايقارن ببطلميوس الثانى. اذا اعتبر هذا الرجل أكبر رجال الأعمال فى العصور القديمة فقد زاد مداخيله كما زاد من أملاكه ليزيد أيضا من مداخيله . على كل حال لقد طبق سياسة اقتصادية بالغة القسوة لكى يحصل على نصيب من كل حبة قمح أو نقطة زيت تنتجها مصر(١) .

ولقدكان البطالمة أسعد حالا من السليوقيين إذ أن تكاليف الدفاع كانت أقل حيث كانوا اقل حاجة لوجود الجنود المستعدين للقتال. وأن كان الاسطول الذى كان أكبر الأساطيل الهلينستية وأكثرها حمولة يكلفهم أكثر، كما كانت تكاليف الادارة فى دولة البطالمة أعلى منها فى أى دوله أخرى لان اعداد العاملين فيها كانت كبيرة جدا . وأخيراً كانت دولة البطالمة أكثر الدول الهلينستية اقبالا على احتضان النشاط الأدبى والفنى وأنفقت الكثير على الدعاية فى الميدان السياسى فى بلاد الاغريق وبحر ايجة.

لقد نجح بطلميوس الثانى فى إقامه نظام ادارى نجح فى جمع ثروة هائلة، كانت فى القرن الاول وبعد سنوات طويلة من البؤس يسيل لعاب السياسيين الرومان عليها . لقد ادخل أنواعا من الضرائب التى لم تعرفها

---

(١) Austin ,M., The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquest . texts 222 ff

كل الدول القديمة بل وبعض الدول الحديثة . ونعرف من اوراق البردى المصرية والأوستراكا (شقف الفخار) التى كانت تكتب عليها ايصالات السداد نعرفـ ٢١٨ نوعا من أنواع الضرائب بعض هذه الضرائب يعود للعصر الرومانى ولكن مع ذلك فاذا وضعنا فى الاعتبار وجود أنواع من الضرائب خلال العصر البطلمى لم نتعرف عليها. فأننا يمكن أن نقول أن أنواع الضرائب خلال العصر البطلمى كانت حوالى مائتى نوع .

إن أكبر مصدر اعتمد عليه البطالمة للحصول على الدخل كانت الأرض الزراعية . فلقد اعتبرت الأرض ملكا للملك بحق الفتح وقد أجر الملك هذه الأرض للفلاحين . وفيما عدا السماح بتخفيضات دائمة بالنسبة لبعض العسكريين وبعض الأفراد المحظوظين وبعض الاعفاءات خلال سنوات أنخفاض فيضان النيل لمن أضيرت الاراضى التى يزرعونها، كان النظام المعتاد هو الحصول على كمية محدودة من الحبوب على كل فدان محاصيل ونصيب من أنتاج كل حديقة وكذلك من أنتاج الخمر ، ورسوما على حقوق الرعى وبالنسبة للصناعة كان يتم تحصيل الرسوم للحصول على تراخيص بممارسة عدد كبير من الصناعات والتجارة، وكانت الرسوم الجمركية تدفع عند حدود مصر وحدود كل اقليم من أقاليمها، وكانت هناك واجبات تدفع بالنسبة للعبور والتسويق وحتى الخدمات قليلة القيمة مثل تعبئة القمح المقدم كضرائب وكذلك استخدام السلال لنقله لم تكن تقدم مجانا . لقد كان الاغريق والكهنة يعفون من الضرائب فى ضوء عدم

خضوعهم للعمل بالسخرة . وربما تحمل الاسكندريون الأكثر غنى عبء تسليح السفن الحربية . إن هذه العوائد الضخمة التى كان البطالمة يحصلون عليها من مصر يجب أن يضاف اليها المداخيل التى يحصل البطالمة عليها من أملاكهم الخارجية إن تقدير دخل بطلميوس الثانى السنوى بـ ١٤٫٨٠٠ تالنت من النقود فقط ليس بعيدا عن الحقيقة رغم أنه مجرد تقدير .

إن جمع هذه الايرادات البطلمية استدعت وجود جيش من الموظفين فأن أعمال الاحصاء التى تسبق تقدير أنواع الضرائب وجمع الضرائب والرسوم والايجارات كلها كانت تحتاج الى اشراف عديد من الموظفين . وكانت هذه الأعمال جميعا تتم فى كل اقليم Nome تحت اشراف اثنين من اويكونموس Oikonomos أحدهما كان مكلفا بالأموال والآخر بالضرائب العينية وكان كلاهما تحت اشراف Antigrapheos الذى كان توقيعه ضروريا على كل شئ وكان هناك اثنين من الموظفين المسئولين عن التخزين Sitologos وكانت مسئوليته محدده بتخزين الانتاج العينى بينما كان Trapezites أمين الخزينه الملكية كان يتسلم الأموال . كل هؤلاء الموظفين كان يراقبهم المراقبون Epimelitae والمحاسبون Eklogistrai وكان يقف على راس هذا النظام المالى Dioeketes وزير المالية(١) .

---

(١) عن واجبات Oikonomos راجع P . Tebt . 703

وفيما عدا وزير المالية فأننا لانعرف الكثير عن كبار الموظفين فى الحكومة. لقد كانت الاتصالات بين الاسكندرية والمدن الكبرى فى الدولة تتم عن طريق البريد وكانت تضم نوعين من الاتصالات السريعة وكانت تنقل على ظهور الخيل والبطيئة وكانت تستخدم فى نقلها الابل.

لم يكن النظام فى الاملاك الخارجية بهذه الدقة. فأننا نعرف شيخا يدعى توبياس Tubias تركت له الحرية فى اقليم العمونيين بل وكانت له سلطة على رجال الجيش المصرى الذين عاشوا فى اقليمه(١) وكانت برقه لها بعض الاستقلال فى تسيير أمورها تحت حاكم يدعى حاكم ليبيا Libyarch(٢) وكان اتحاد الجزر فى بحر ايجه يشرف عليه نائبا عن الملك البطلمى النيزيارخ (وترجمتها الحرفية حاكم الجزيرة) وكانت سلطته سلطة مقيم ومستشار اكثر منها سلطة عسكرى(٣).

ومع ذلك فهناك جوانب سلبية فى الادارة البطلمية نرى صداها فى المصادر الباقية . فالبيروقراطية تضرب أطنابها فى هذه الادارة. ويتضح ذلك فى استخدام الموظفين القسوة ضد العمال والتى تصل الى حد وضعهم فى السجون دون محاكمة فضلا عن كثرة الشكاوى المقدمة فى حق الموظفين وتظهر عدم كفاءة هذه الادارة فى كثرة الاجراءات المطلوبة فقد طلب من

---

(١) Josephus , Jewish Antiquities XII 168-186 .

(٢) SegIX I .

(٣) OGIS 43 .

شاب اغريقى مطلوب للجندية ٣٥ شهادة واجراء. وتظهر أيضا فى عدم التوافق بين المحاكم التى سمحت بتأخير العدالة . ويظهر تعقيد الادارة البطلمية فى تكليف أكثر من موظف واحد بالوظيفة الواحدة. واخيرا هناك أدلة على رفض الوطنيين لمثالب الادارة فثاروا لفترات طويلة طوال القرن الثانى، وأضربوا عن العمل باللجوء الى المعابد ورفض زراعة أراضيهم الى أن تحل مشاكلهم.

٦- المدن الاغريقية والاتحادات الفيدرالية

المدن الاغريقية فى العالم الهلينستى :

كانت المدينة هى المكان الطبيعى للحفاظ على الشخصية الاغريقية فى العالم الهلينستى، باستثناء مصر التى لم تعرف من المدن الاغريقية سوى ثلاث مدن هى الاسكندرية ونقراطيس وبطوليميس، وعاش الاغريق فى قرى الريف المصرى تجمعهم جمعيات Politeumata اتخذت من الجيمنازيا مقارا لها.

لقد اختار الأسكندر الأكبر نظام المدينة الدولة Polis لكى يكون الدعامة الرئيسية لتحقيق سيطرته على اقاليم واسعة من الامبراطورية الفارسية التى استولى عليها حديثا. ويقال أن الاسكندر أنشأ سبعين مدينة وتبعه خلفاؤه فى هذا الاتجاه ، فمثلا قام سليوكس الأول بأنشاء ست عشرة مدينة تحمل اسم انطاكية وتسع مدن تحمل اسم سليوكيا وست مدن تحمل اسم لوديكيا وثلاث تحمل اسم أباميا ومدينة واحدة باسم ستراتونيكايا Stratoniceia وقد راعى سليوكس الاول تسمية هذه المدن باسم أبيه واسمه الشخصى وأسماء زوجاته على التوالى.

وعلى العموم قامت للمدن الاغريقية مؤسسات ديموقراطية . وكان لهذه المدن خلال الفترة الهلينستية على الأقل من الناحية الرسمية حكومات

على النظام الاثينى. لقد كان لهذه المدن مجالها الزراعى وجمعياتها، وكان لها موظفين ينتخبهم السكان بالاضافة الى عدد من الوظائف المستحدثة. وقد استمرت المدن تحدد فترة لشغل الوظائف يتم بعدها تغيير شاغليها وأن اختلف طول هذه الفترة من مكان الى مكان- كانت الفترة لمدة عام فى كنيدوس مثلا- وفيما عدا بعض الاستثناءات لم تقتصر حقوق المواطنة الاغريقية ـ خلال العصر الهلينستى على الاوليجاركية القديمة. ورغم أن حق المواطنة ظل يمنح لكل من يثبت نسبه الى ابوين اغريقين، فأن كثيراً من غير الاغريق مارسوا هذه الحقوق من خلال الزواج باغريق أو بطرق أخرى.

كان التميز فى المكانة السياسية بين سكان المدن يقوم بصفة رئيسية على أساس الثروة، وبمرور الزمن كانت الصيغة الديموقراطية للمدن تفقد قوتها تدريجيا . لقد كان المجلس يتكون من اعضاء ينتمون الى الطبقتين الوسطى والغنية، كما أنحصر تعيين الموظفين الكبار فى الطبقة الغنية حيث ساهمت المبالغ التى كان يدفعها الموظفون عند الالتحاق بالخدمة فى حل مشاكل المدينة المالية . وهكذا اختلف الوضع عما كان عليه اثناء العصر الكلاسيكى عندما كان المواطن يثاب من خزينة الدولة على القيام بالخدمة العامة.

ومع حلول القرن الثانى ق.م كانت الديموقراطية قد ماتت من الناحية العملية، وأصبح تشكيل المجلس يتم على النسق الرومانى فى

تشكيل مجلس الشيوخ، المعروف أن القناصل كانوا يختارون أعضاءه ثم أصبح هذا من واجبات الكنسور Censor منذ عام ٤٤٣ ق.م .

ومن الناحية الاقتصادية، لم تكن المدن تملك دخولا سنوية كبيرة وعلى الرغم من أن هذه الدخول كانت كافية للقيام بالخدمات الرئيسية فى المدن وهى خدمات متعددة كامدادات الطعام وكانت المدن تحصل عليها عادة من الأراضى الزراعية الخاصة بها، وكانت الصناعة محدودة فى الغالب بأنتاج البضائع الرئيسية للاستهلاك المحلى. أما الواردات فكانت تضم بضائع الترف للأغنياء وأنواعا من الطعام فى اوقات الحاجة فضلا عن الموادالخام مثل المعادن والأحجار والأخشاب وكان ثراء المواطن فى المدينة يقدر بمساحة مايملكه من أراضى رغم أن بعض التجار والمهنيين كعلماء البلاغة والاطباء والرياضيين والمعماريين كانوا يحوزون ثروات طائلة فى بعض الاحيان .

أن قدرة المدن على البقاء طويلا والانفاق على الأعياد وإقامة المبانى العامة وصيانتها وامدادات الطعام والماء فضلا عما كانت تنفقه هذه المدن على التعليم والصحة ووسائل التسلية. كل هذا يدعونا الي القول بأن المدن كانت تحصل على ايرادات لابأس بها كضرائب فضلا عن مساهمات الأثرياء بفاعلية فى دعم مدنهم بتقديم الهبات واقامة الاعياد والإبقاء على المبانى العامة القائمة وإقامة المزيد منها... الخ .

وتبعا للظروف التى سادت العالم الهلينستى تغيرت صورة العلاقات

بين المدن الاغريقية القديمة بصورة واضحة على الرغم من أن المدن نفسها بقيت كما كانت . فنلاحظ أن الوسيلة المتبعة لحل الصراعات المحلية هي التحكيم، وكان حق اللجوء السياسي يراعى بدقه كأحد أثار عصر استقلال المدن . وحاول الملوك اكتساب الجماهير بمنح هذا الحق لمدن معينة ومعابد بعينها. ونلاحظ أيضا أثر الطوفان السياسيّ الذى كان يحيط بكل شئ فى العالم الهلينستى أقول نلاحظ أثر هذا الطوفان فى تضاؤل حجم الصراع بين المدن فوجدنا مدنا توافق على تحرير مواطنى مدن أخرى سقطوا فى رقها بالحرب أو بالشراء. وظهر ازدواج المواطنة كما حدث بين مواطنى أثينا ومواطنى بيرن Priene وبين مواطنى أثينا ومواطنى رودس . وبقيت الأعياد فرصة للاتصال بين المدن بل استجدت أعياد خلال العصر الهلينستى . واتسع نطاق استخدام اللجان القضائية من بعض المدن لحل الخلافات الداخلية فى مدينة ما.

الاتحادات الفيدرالية:

كان ظهور الاتحادات الفيدرالية فى بلاد الاغريق القارية واحدا من أهم التطورات أهمية ووضوحا خلال ذلك العصر. لقد كان المناخ العام مهيئ لظهور هذه الاتحادات منذ زمن طويل قبل أن تصبح (هذه الاتحادات) ذات كيان سياسى قوى فى القرن الثالث ق.م فالتجمع الدينى القديم الأمفكتيونى الذى ضم عددا من الدول ارتبطت فى اتحاد بغرض العبادة

في معبد مشترك كان صورة مبكرة من هذه الاتحادات . كانت اشهر هذه الامفكتيونات في دلفي وديلوس . وكان غرض هذه التجمعات التي ضمت المدن الكبرى في بلاد اليونان هو الحفاظ على العبادات والمعابد والى حد ما ارساء قواعد معينة في التعامل بين أعضاء الامفكتيوني، وخلال الأعياد كانت تعلن الهدنة وينظر الى المعبد نفسه كملجأ. وكان القسم الذى يؤديه أعضاء امفكتيوني دلفي يضم العبارات التالية:

... أن لايدمر أي مدينة عضو في الامفكتيوني، أو أن يميتها جوعا، أو أن يقطع مياهها الجارية، سواء في الحرب أو في السلم، واذا خالف أي عضو هذه القواعد، فأنه يقف ضده وأن يدعو المدن (الأخرى) لذلك، واذا سرق أي فرد ممتلكات الاله أو اذا علم بمثل هذه السرقة أو علم بأي تخطيط ضد المعبد، أن يأخذ الثأر له باليد والقدم وباللسان وكل مايملك من قوة ".

وعلى الرغم من أن هذه المنظمات قد جمعت مدنا متفرقة في اطار ديني الإ أنها لم تصل الى حد كسر استقلال أي من هذه المدن وأقامة بذور حقوق مواطنة مشتركة بينها.

وبالمثل فأن المنظمات الأخرى التي قامت خلال العصر الكلاسيكي كالأحلاف الامبراطورية في اسبرطة واثينا لم تصنع أكثر من وحدة ظاهرية وكانت كل دولة تحرس حقوق المواطنة فيها وتدافع عنها بمنتهى اليقظة.

والطريف أن التطور الجديد في السعي نحو أقامة اتحادات فيدرالية

حقيقية لم تظهر فى أكثر أجزاء بلاد الاغريق تقدما وأنما ظهرت فى أكثر الأقاليم تطرفا حيث كان المجتمع قبليا ومتخلفا وحيث لم تكن المدينة الدولة قد أصبحت النظام الدستورى السائد.

كانت أهم هذه الاتحادات : العصبة الايتولية التى تقع فى غرب ووسط بلاد الاغريق . وقد تكونت هذه العصبة فى القرن الرابع على أنقاض منظمة قبلية مفككة . نص دستور هذه العصبة على وجود مجلس اتحادى بالتمثيل النسبى للقرى والمدن، وهناك جمعية شعبية مفتوحة لكل المواطنين، وكانت تجتمع مرتين فى العام (١).

وهناك اتحاد فيدرالى آخر قام فى شمال شبه جزيرة البيلوبونيز هو العصبه الآخية. وقد ظهرت هذه العصبة كقوة متميزة فى القرن الرابع وضمت فى أحد الاوقات مالايقل عن ستين مدينة وقرية وكما كان الحال بالنسبة للعصبة الأيتولية كانت هناك جمعية شعبية تعقد اجتماعات غير دورية ولكن يصبح الاجتماع حتما عندما بحث شئون الحرب والسلم والتحالف . وكان التصويت يتم بالمدن التى من المحتمل أنه كان لكل منهما عدد من الأصوات ويتم داخل كل مدينة تقرير الرأى الذى على

---

(١) عن نشأة العصبة الأيتولية راجع Larsen,Greek Federal States Oxford,1968 وعن دستور هذه العصبة راجع:Polyb.XX.9-10 وعن علاقاتها بالاسكندر راجع: Diod XVIII . 8 وعن علاقاتها بالعصبة الآخية راجع:Polyb II 37 وعن علاقاتها بروما راجع: Livy XXVI 24 ولوعن علاقاتها بأنطيوخس الثالث راجع:Polyb XVIII & XX-XXI وعن علافاتها ببرسيوس راجع:Syll.3.643

مندوبيها فى المجلس الاتحادى أن يعلنوه . وكان هناك مجلس آخر لانعرف على وجه الدقة دوره أو تشكيله(١).

على كل حال نظمت هذه الاتحادات الفيدرالية أسلوب ممارسة مواطنيها لحقوقهم السياسية داخل حدود الاتحاد، فكان لهم فى هذا الاطار أن يتحركوا فى حرية ويحوزوا ملكيات شخصية ويتزوجوا ممن يرغبون. أما المشاكل الداخلية فقد تركت لكل دولة لكى تحلها بمعرفتها ولكن العلاقات الخارجية والأمور الحربية فكانت مسئولية حكومة الاتحاد سواء من خلال الجمعية الشعبية للاتحاد أو المجلس الاتحادى . وكان ينظر الى الخدمة العسكرية فى جيش الاتحاد نفس النظرة للخدمة فى جيش كل دولة على حدة . وكانت الضرائب تدفع لكل من الحكومة الاتحادية والمدينة الأم .

ولعل أهم أنجازات هذه الاتحادات أنها استطاعت أن تقاوم الملوك ومغامرو العصر الهلينستى بينما سقطت المدن الاغريقية العريقة مثل أثينا فريسة سهلة فى ايديهم . لقد حافظت هذه الاتحادات على شئ من الحكم الذاتى للمدينة مع تمتعها بمميزات الحكومة الاتحادية ومع ذلك فإن اسهام هذه الاتحادات لم يكن واضحا فى غير ميادين السياسة والحرب ، وكان

---

(١) أما عن العصبة الآخية فإن ماكتبه بوليبوس يعتبر مصدرنا الرئيسى حيث كان من مدينة عضو فى هذه العصبة كما كان أحد رسل العصبة الى روما فى إحدى المفاوضات. ويمكننا أن نراجع عن تاريخ العصبة ودستورها وحكومتها. Ployb . II . 37 & XIII . 6 & Livy XXIX . 12 & XLII .51 ونعرف عن إنظمام أعضاء لها من Livy XXXVIII, 34 . Plutarch , Cleomenes , 16 . فضلاً عن بوليبوس. أما عن حربها ضد الرومان فراجع: Pausanias III , 16

وقوع هذه الاتحادات مادة فى صراعات روما القوة الصاعدة فى الغرب وممالك الشرق الهلينستى سببا فى سقوط هذه الاتحادات قبل أن تقدم أنجازات ثقافية واسهامات حضارية متميزة، وأن كان لايجب أن ننسى أن بولیبیوس أعظم مؤرخى العصر الهلينستى كان من العصبة الأخيـــــــة.

٧ - الحياة الاقتصادية فى العصر الهلينستى

أولاً: الزراعة:

لقد زادت معلومات الاغريق عن النباتات بعد فتوح الأسكندر ، وقد ظهر أثر ذلك في اعمال Theophrastus عالم النبات(١) . ويمكننا أن نقول أن ملوك برجاموم هم أهم من احتضن جهود دراسات النباتات . ولكن الخبرة العملية كانت مصر أهم حقولها . ولقد أثبت البطالمة الأول والثانى أنهم أهم من استغل الأرض فى تاريخ الاغريق . بالاضافة الى حفر الترع وتطهير القنوات فقد اهتم البطالمة باصلاح الأقاليم التى اهملت خلال حكم الفرس . ولقد كان أهم أنجازاتهم هو اصلاح الأراضى فى الفيوم التى اصبحت أهم مناطق الاستيطان الاغريقي وقامت مئات من القرى التى يحمل اكثر من نصفها أسماء اغريقية . لقد اتم البطالمة الأول تجفيف نصف بحيرة موريس (قارون) تقريبا، وتشير البرديات الى مدى الجهد الذى بذل من أجل اتمام ذلك فهذا ابن كليون كبير مهندسى الرى فى الفيوم يرجو أباه أن يعمل ما في وسعه لقضاء أجازته معهم في الاسكندرية (برديه تعود الى عام ٢٥٥ ق.م).

---

(١) تيوفراسطوس ٣٧٢-٢٨٧ ق. م كان تلميذاً لأرسطو تزعم مدرسة المشائين من بعده، وقد ألف فى موضوعات متعددة وان برع فى النبات.

كانت الدولة تدفع بهذه الأراضى المستصلحة الى الفلاحين لكى يقوموا بزراعتها بضرائب قليلة الى أن تتحسن حالتها، كما كانت تعفى الأراضى التى تضار بزيادة أو نقصان الماء او تتعرض لاى اضرار من الضرائب المفروضة عليها لمدة ترى أنها تتناسب مع الاضرار فضلا عن أن الدولة كانت تسمح بتملك من يقوم باصلاح أراضى لهذه الأراضى بعد أن ينجح من تحويلها من أرض بور الى أرض تزرع أفضل المحاصيل.

كانت الدولة تشجع زراعة محاصيل معينة بأن تمنحها اعفاءات ضريبية مثل الكروم والورد والخضروات والفاكهة . فضلا عن الحبوب التى كان المصريون خبراء فيها من أزمان سحيقة . كما أدخلت الدولة أنواعا من النباتات الجديدة . مثل تين خيوس وليديا ورمان بدون بذور ومشمش يثمر مرتين فى العام وعنب أسود من كيليكيا وكرنب من ردوس كما نعرف نباتات البرسيم والبسلة والحمص والترمس.

لجأت الادارة البطلمية الى السخرة فى أعمال الحصاد وأقامة الجسور وشق القنوات وحفر المصارف . وأن كان المؤكد أن هذا العمل الاجبارى فرض على ضعفاء المصريين فقط . ونعرف من إحدى الوثائق أنه كان يعفى من السخرة من كان يتمتع بهذا الاعفاء كحق قديم والعاملون بالاسطول وصيد الفيلة وبعض طوائف الشرطة والمشرفون على الدخل الملكى والجنود الاغريق وبعض العاملين بالتحنيط والشيوخ والمرضى . وقد زاد من سوء هذا النظام أن بعض الاداريين استغلوه لمصالحهم الخاصة

بتشغيل المسخرين فى أعمال خاصة بهم . وقد نهى بطلميوس الثامن عن ذلك فى عام ١١٨ ق.م وهو دليل على تفشى هذا الداء.

وقد أهتم البطالمة بالمراعى لكى يوفروا العلف لخيولهم ويوفروا الصوف لمصانع النسيج . ومن ثم زادت الأراضى التى زرعت بأعشاب الرعى وتم استيراد قطعان من الأغنام من مليتوس لهذا الغرض.

أما فى الممالك السليوقية والأتلية (برجاموم) فقد بقيت الزراعة فى أيدى الوطنيين . ولكن اينما ذهب المستوطنون الاغريق اخذوا العنب معهم من أجل صناعة الخمر حتى أنها اصبحت صناعة مزدهرة فى فارس . ازدهرت زراعة الكروم والزيتون فى المراكز القديمة فى المنطقة الايجية . وهكذا ظلت خمور ثاسوس وكنيدوس وكوس وردوس بدون منافس وكذلك زيت الزيتون من الساحل الغربى لآسيا الصغرى . ولقد أدى جمال النوعية الى اختراق الحواجز الجمركية فى مصر، وقد وجدت هذه المنتجات طريقها حتى الى بلاط الممالك الهندية . أما الأنواع الأقل فكانت تباع فى أسواق البلقان(١).

ثانيا : الصناعة:

لقد سارت الصناعة فى طريقها باسلوبها القديم . وأفضل الأختراعات التى عرفت فى ذلك العصر هي لولب أخميديس، (الطنبورا)

---

(١) M. Cary , OP. Cit PP. 291 FF.

والتى ساعدت على رفع المياة من المناجم . لقد كان أفضل منتجات الحرف الاغريقية هى أعمال السيراميك وأن كانت تنافسها جزئيا الزجاج وأطباق الفضة . ولقد ظهر أيضا سوق كبير للنسيج من الأصناف الراقية صحيح استمر الصوف هو مادة اللبس الرئيسية، ولكن اصبح هناك عشاق للحرير، وقامت صناعة جديدة للنسيج فى كوس تعتمد على الحرير الطبيعى البرى من آسيا الصغرى . أن اتساع مجال التعليم ووعاء القراءة ادت الى زيادة انتاج البردى والكتب . كما تزايدت صناعات البناء واستغلال المحاجر مع زيادة الاستيطان الاغريقى واتساع مداه .

وبينما لم تتعرض مواد الصناعة لتغيير كبير فقد حدث تغيير كبير فى مراكز الصناعة ففى بلاد الاغريق القارية بقيت أثينا هى المركز الرئيسى لصناعات السيراميك حتى حوالى ٢٥٠، ولكن القليل سمع خلال الفترة الهليسنتية عن الانتاج الكورنثى فى البرونز . وبين الاغريق فى ايطاليا فقد كان أهل تارنتوم أصحاب السمعة فى أنتاج أفضل المنسوجات ، كما أنتجوا أنواع الفخار الجيد الذى كان قد توقف أنتاجه فى منطقتهم وبين المدن الاقدم ظلت ميليتوس مشهورة بالثياب الجيدة ولكن ظهرت مراكز جديدة لصناعة النسيج فى برجاموم، التى اهتم ملوكها بتلك الصناعة وكذلك فى Laodicia التى تقع بالقرب من المدن الفريجية، المركز الرئيسى للمادة الخام . ولكن كانت الاسكندرية أكثر المدن الصناعية حركة وأنتاجا، حيث كانت حمى العمل قد لحقت بالناس، وبالاضافة الى صناعة الورق التى

كانت مصر بحكم الطبيعة هي المحتكر لها . فقد تطورت الصناعات المصرية القديمة كصب وقطع الزجاج وتلوين الزجاج ولقد اصبحت المركز الرئيسى لفن صناعة الفضة . بينما كانت المصنوعات الحرفية قد أنتشرت فى قرى مصر وصدرت حتى البحر الأسود. لقد كان الزجاج والفضة لهما مركز مهم آخر في سوريا . وهكذا كانت احدى مميزات العصر الهلينستي هو امتداد صناعات اغريقية الى عواصم الهلال الخصيب.

أن أثر الانتصار المقدونى على الصناعات الشرقية يمكن دراسته بصورة جيدة فى المثل المصرى . هنا كان يوجد نظام متكامل من الصناعات الريفية والصناع المهرة والنظم الدقيقة بالاضافة الى ذلك هناك نوعيات من الصناعات، على وجه الخصوص نسيج الكتان التى كانت تتم تحت رعاية المعابد . أن الهجرة الاغريقية لم تحدث الا تغيرا طفيفا على نظريات الصناعة الوطنية. ومن الجدير بالذكر أن العمال الوطنيين الذين كانوا سادة صغارا أو عمالا أحراراً . لم يتم استبدالهم بعمالة من العبيد تحت الادارة الاغريقية. صحيح أن أبولونيوس (وزير مالية بطلميوس الثانى) افتتح مصنعا فى ممفيس يعمل به عمال غير أحرار أحضروا من سوريا، ولكن فى الفيوم كان نفس الرجل يعطى صناعة الصوف الى المصريين الأحرار بالانتاج (بالقطعة) ولايمكن أن نؤكد أن تجربته فى عمالة العبيد عاشت طويلا.

أن الصناعات الوطنية فى مصر لم تتضرر بمنافسة أصحاب رءوس

الأموال الاغريق، لقد وضعت هذه الصناعات تحت الادارة الدقيقة للدولة . وكثير من الصناعات المصرية تحولت الى احتكارات للدولة، حيث كان يجب على كل الصناع أن يحصلوا على تصريح خاص، بينما كان على البعض (عمال صناعة الصوف مثلا) كانوا مطالبيين بالحصول على اذن بدخول الصوف الى الدولة أنتاج الزيت كان ممنوعا كليا فيما عدا مصانع الحكومة حيث ربط العمال الى صناعاتهم كعبيد ووضعوا تحت نظام اشراف قاسي . نفس النظام كان منفذا في المحاجر والمناجم، كان على العمال أن يبقوا في مراكزهم لفترات محددة، وفي مناجم الذهب في النوبة كان الرجال والناس من كل الاعمال يوضعون في السلاسل معا ويظلون في أعمالهم الى أن يموتوا . ولكن لايمكن الخروج من هذه الوضعية بأى تصور عن حالة العمال حيث كان العاملون من أسرى الحرب.

إن الخبرة البطلمية في أقامه المصانع برأس مال حكومى تم تقليدها في برجامونم، حيث صنع الاتليون النسيج الراقى بعمال من عبيد الدولة وربما أيضا فأن صناعة (الرق) التى أقاموها لكسر الاحتكار المصرى لصناعة البردى تعتبر دليلا على التدخل . لقد قدم العالم الهلينستى ايضا عدة أمثلة عن ملكية البلذيات لصناعاتها . فمدينة ميليتوس مثلا كانت ورش النسيج فيها وعمالها من العبيد. رودس وكنيدوس أنتجت في مصانع المدينة النجرار التى احتاجها تجارهم في تجارتهم المتبسعة للخمر . وحتى اسبرطه اشتركت هى الأخرى لأن القرميد الذى استخدمه الطاغية Nabis

لتقوية المدينة ثم فى مصنع عام.

ثالثا : النقـــل :

لم تشهد المواصلات البرية تطورات كبيرة خلال العصر الهلينستى فقد ظلت الطرق المهدة فى بلاد الاغريق نادرة (١) كما كانت دائما وفى آسيا فأن السليوقيين والأتاليين استغلوا طرق الامبراطورية الفارسية القديمة(٢) وفى مصر جهز البطالمة الدروب الصحراوية بين النيل والبحر الأحمر بأقامة استراحات تتوفر فيها المياة ورجال الأمن بل وشكلوا قوات خاصة لتأمين القوافل، كما كان لديهم خبراء فى النقل بالابل ومع ذلك يجب الاعتراف بأن الحركة على الطرق البرية والتسهيلات التى عرفها العصر الهلينستى لايمكن مقارنتها بما وصلت اليه على أيام الرومان .

ومن ناحية ثانية اهتمت الحكومات الهلينستية بالموانى فالاسكندرية مثلا كانت نقطة لقاء بين التجارة النهرية والبحرية . فقام ميناء نهرى على البحيرة (مريوط) ثم حفرت قناة بين البحيرة والبحر المتوسط وأقيمت

---

(١) عن وصف البلاد الأغريق وطرقها خلال القرن الثالث ق م راجع:
Heraclides Creticus (?) Ced . F . Pfister , Die reisebilder des Heracleides (Vienna , 1951.)

(٢) . . . وبالنسبة للطرق فى أقليم (المدينة) فالطرق الرئيسية لن يقل عرضها عن ٢٠ كويت (Cubit) (حوالى تسعة أمتار) (والطرق) الأخرى لن تقل عن ثمانية (أكثر من ثلاثة أمتار ونصف بقليل)، الا إذا كان بعض الناس يستخدمون المدقات للأتصال بجيرانهم. . .
Austin . , OP . Cit NO 216 LL 20-30 .

التسهيلات للاقامة على الجانبين وأقام Sostratus مهندس بطلميوس الاول فنار الاسكندرية المشهور وهو برج عظيم يقال أن ضوءه كان يظهر للسفن على بعد ثلاثين ميلا وعلى الرغم من أن أسوار الاسكندرية كانت بغير منافس فى البحر المتوسط القديم، ماعدا فى أوستيا أيام الأباطرة الرومان، فأنها قد قلدت بأحجام أصغر فى كثير من الموانى الاغريقية الأخرى.

شهد العصر الهلينستى أيضا زيادة حمولات سفن البضائع حتى أصبحت حمولة ١٠,٠٠٠ تالنت وزن (أى ٢٥٠ طن) للسفينة حمولة عادية . هذا بالاضافة الى توفر تقارير موثوقة بها معلومات عن الموانى كذلك التقرير الذى كتبه ثيموستكليس . وبالرغم من أن ظروف الملاحة على العصر الهلينستى صارت أفضل فقد ظل الاغريق لايبحرون فى الشتاء ولكنهم فى الصيف كانوا يقومون بمغامرات يطرقون سبلا غير معروفة من قبل .

وبإنتصار الاغريق على مصر وميزوبوتاميا أصبحوا يتحكمون فى مركزين هامين للملاحة النهرية . وفى ميزوبوتاميا لم يتم السليوقيين مشروع الأسكندر بأنشاء ميناء على الفرات فى بابل لكنهم أنشأوا ميناء نهريا كبيرا فى سليوكيا على نهر دجلة وكان يصل اليها حتى الهنود . وفى مصر وجد البطالمة نظاما قائما للملاحة النهرية، وقد استمرت حركة الملاحة فى النيل على ايامهم فى أيد وطنية . ولكن حركة المرور على صفحة النهر زادت . لقد جمعت أغلب أنتاج مصر، فضلا عما جاءت به القوافل من البحر الأحمر فى طريقها الى الأسكندرية لاعادة تصديرها . قدم الملوك

البطالمة الأساطيل التى احتاجتها زيادة حركة الملاحة النهرية وأجروا هذه السفن لمن يستغلها من الوطنيين .

وفى الغرب استمر احتكار قرطاج للتجارة البحرية. ولكن بعد عام ٢٠٠ ق.م حلت مدينة نصف ايطالية Puteoli محل تارنتوم وسيراكوز كأهم مركز للتجارة الشرقيه مع ايطاليا . وحلت ديلوس محل أثينا كأهم مركز تجارى فى المنطقة الايجية، وأصبحت المركز الهام لتجارة القمح وبقيت التجارة الاغريقية على البحر الأسود قائمة فى القرن الثالث وفيما عدا منافسة القمح المصرى فأن القمح القادم من مناطق شمال البحر الأسود (روسيا الحالية) كان مايزال يجد أسواقا جيدة فى الآراضى الايجية الى أن أضيرت أراضى القمح بالهجمات من الداخل . أما افسوس فقد اكتسبت أهمية كنقطة النهاية للطريق البرى القادم من قارة آسيا وأصبحت رودس مركز التجارة البحرية من منطقة الهلال الخصيب فى المنطقة الايجية والبحر الأسود وصقلية.

وتعود أهمية الأسكندرية الى أنها مكان تصدر فائض انتاج مصر كما كانت نقطة اللقاء بين البحر المتوسط والتجارة الشرقية. وعلى الساحل السورى كانت صور و صيدا وعلى الرغم من أنهما كانتا هامشيتين بالنسبة للأسكندرية، لكنهما قامتا بدور بالنسبة للتجارة البرية العربية والهندية أما التطور التجارى لانطيوخ فقد توقف فى القرن الثالث بسبب سقوط ميناءها سليوكيا فى أيدى البطالمة، ولكنها أخذت دورها الطبيعى فى القرن الثانى

كنقطة النهاية فى التجارة بين ميزوبوتايا ومنطقة بحر ايجة أما سليوقيا على نهر دجلة قد أصبحت مركز التقاء تجارة الخليج . أصبحت على أيام الرومان المحطة الرئيسية بالنسبة للطرق البرية لاتصال القارات الى الهند والصين. ولكن لعل هذه الطرق لم تكن قائمة على العصر الهلينستى . لقد أدى تدمير كورنثا فى عام ١٤٦ ق.م الى انتهاء مركز هام قديم للتجارة الاغريقية . وقد أصبحت ديلوس فى القرن الثانى مركزا للتجارة من فلسطين وحتى من بلاد العرب ونقطة تجميع تجارة العبيد لايطاليا.

٨ـ الـــــــديـــــــن

(أ) المـعـبــــــودات :

واجه الاغري بعد أن انتشروا فى العالم فى أعقاب حملة الأسكندر واجهوا صعوبة شديدة بالنسبة لمعبوداتهم فقد كان من الصعب على آلهة الاغريق أن تترك بلادها الأصلية وأن تسير فى أعقاب عبادها شرقا ارتبطت هذه الآلهة منذ أزمان سحيقة بأماكن ومدن معينة فالإلهة أثينا مثلا ارتبطت بالمدينة أثينا وارتبط ابوللو بدلفى وافروديتى بكورنثا.

ولقد تعود الناس فى بلاد الاغريق على النظر الى الآلهة الاوليمبية على انها معبوداتهم الشخصية الحامية لهم وتعودوا أيضا على أن الآخرين يعترفون لهم بهذا فأثينا رغم أنها كانت تعبد فى أماكن متعدده الا أنها ارتبطت بالمدينة التى استعارت اسمها ، لقد قامت هذه الالهة بأعمال خاصة لأثينا (المدينة) وخصص الأثينيون من أجلها هى فقط معبد البارثينون كما خصصوا الأعياد على شرفها(١).

لقد كانت هذه الالهة حاضرة مع الأثينيين عند نشأة المدينة وكانت معهم (خلال كل محاولتهم وانتصاراتهم ولم يكن هناك طريق لزرع مثل هذا الارتباط بأثينا فى مكان آخر).

---

(١) فوزى مكاوى ، المرجع السابق.

صحيح كان الاثينيون المهاجرون اذا رغبوا فى عبادتها كان فى مقدورهم أن يقوموا بذلك ولكن لم تكن هناك فى المهاجر معابد أقيمت على شرفها هى فقط ولا احتفالات اقيمت لها على مدار السنة لكى تذكر الناس بالإهتمهم، بالاضافه الى ذلك فأن المدن الجديدة فى الشرق ازدحمت بمهاجرين من مختلف العالم الهلينستى جاء كل منهم ومعه إلهه المختلف فلم يعد هناك مجتمع بسيط متجانس يعتقد كما كان الأثينيون يعتقدون بأن زيوس وأبوللو كانا من اسلافهم المقدسين وأن الإلهة أثينا كانت إلهتهم . لقد كانوا قادرين على عبادتها كما قلنا ولكن من خلال جمعيات دينية خاصة يؤمن أعضائها بوجوب إقامة المعابد لها وليس لأى اله أو الهة أخرى مثل هذه الجمعيات كان الانضمام اليها اختيارى وشخصى كلية وعلى عكس الحال فى مدينة أثينا التى كانت عبادة الألهة أثينا جزءاً رئيسيا من حياة المدينة فيها والتى يربط بها كل واحد هناك.

وفى المدن الجديدة ـ ونظرا لان مثل هذه العبادة كانت أمرا قائما على الرغبة الشخصية ـ فقد اصبحت الجمعيات التى كونت للاهتمام بهذه العبادة واحدة من أهم المعالم الرئيسية للعالم الهلينستى وواحدة من أهم المتغيرات الجذرية تطرفا.

وفى العالم الجديد الواسع متعدد الخصائص المغاير تماما للنظام الذى اعتاده فى القديم الذى كان يتميز بصغره ومحدوديته . فى هذا العالم الواسع تشتت الاغريق فى مصر مثلا حيث لم يسمح البطالمة ببناء اى

مدن اغريقية غير المدن الثلاثة الكبيرة. عاش الاغريق مشتتين في مستعمرات في الريف وبالضرورة دخلوا في اتصال وثيق مع الوطنيين وعلى الرغم من أن السليوقيين شجعوا بناء المدن في ممالكهم وبالتالي مكنوا المهاجرين من التجمع فان المدن الجديدة أقيمت بكثرة بالقرب من أو على نفس الموقع الخاص بقرى ومدن شرقية قديمة فمثلا سليوكيا على نهر دجلة أقيمت بالقرب من أوبيس Opies وهى قرية وطنية قديمة كما أن مؤسسها سليوقس الاول نقل اليها عددا كبيرا من سكان مدينة بابل القديمة وانطيوخ نفسها أقيمت فوق موقع مدينة قديمة(١).

وهكذا كان هناك اختلاط قوى بين العنصرين الاغريقي والوطنى وسواء شاء الاغريق أو لم يشاءوا فقد كان من الضرورى عليهم أن يهتموا بالالهة الذى سكنوا فى ظل رعايتها.

كانت هناك عدة طرق للاغريق يجب اتباعها لتقديم واجبات الاحترام والتقديس للالهة الحقيقيه لهم فالبعض يقدمون احتراماتهم من خلال الكهنوت الرسمى القائم: على سبيل المثال أن يقدموا القرابين أو الصلوات على شرفهم أو كان يمكنهم أن يربطوا الالهة الشرقية بالاغريق كما كانوا يفعلون لقرون سابقة ثم يعبدون الإلهة الاغريقية نفسها فى صورتها الشرقية

---

(١) أسسها سليوقى الأول عام ٣١٢ ق.م . أصبحت مركزاً كبيراً للتجارة بين الشرق والغرب. أبقى عليها البارثيون بعد فتحهم لبابل . تعرضت للتخريب مرتين أثناء العصر الرومان وكانت المرة الأخيرة فى عام ١٦٤ حيث دمرت تماماً .

وهكذا اصبح تحوت المصرى هرميس وعشتروت السورية افروديتى Aphrodite وكل الهة العواصف والسماء ، أصبحت زيوس Zeus وفى بعض الأحيان قامت جسور بين العواصم الاغريقية والشرقية عندما نعلم أن بعض الكهنة تعلموا اللغة الاغريقية وحاولوا الاتصال مع غزاتهم المنتصرين وهكذا نرى الكاهن البابلى بيروسوس Berossus والكاهن المصرى مانيتون يقومان بترجمة وتفسير النصوص الدينية المصرية والبابلية باللغة الاغريقية كما نجد سلسلة من المدافعين عن اليهود يبدأون بديمتريوس فى القرن الثالث ق. م حتى يوسف فى القرن الأول الميلادى يحاولون أن يوضحوا العقائد اليهودية. ويدافعون عنها أمام الاغريق وفيما بعد أمام الرومان .

رغم كل هذا كان هناك شيئا مفقودا بالنسبة للاغريق فبقيت الالهة الشرقية شرقية يخدمها كهنوت أجنبى بينما كان الأغريق فى حاجة الى تغيير يدفع احساسهم بالغربة بعيدا ويسمح للاغريق بأن يعتقدوا انهم يقدسون آلهة بلادهم الجديدة. كان هذا بالرغم من تطورات كثيرة حدثت فى عبادات من أشهرها كابيل Cybele وعشتروت وأدونيس وأتس Attes الا أن أكثرهم نجاحا كان الثلاثى الجديد سيرابيس Serapes وايزيس Isis وابنها هربوقراطيس Harpocrates كان سيرابيس مزيجا من الاله المصرى أوزوريس إله العالم السفلى والخصوبة والعجل المقدس ابيس. ظهر هذا الإله إلى الوجود على يدى بطلميوس الأول بمساعدة الكاهن المصرى مانيتون وديمتريوس من فاليرون Phaleron وتيموثينوس (بثينس)

وهو احد العرافين فى معابد أسرار ـ اليوسس وقد اشترك Timothenos مع سيرابيس الالهة ازيس زوجتة وهربوقراطيس ابنه وأحيانا اضيف اليهم انوبيس. هذا الخليط فشل فى اقناع المصريين الذين بقوا مشدودين الى الصور القديمة لالهتهم ولكنه حقق نجاحا هائلا بين الاغريق وفيما بعد انتشر هذا الثالوث فى كل مكان من العالم الاغريقى والرومانى .

كان ينظر لسيرابيس كاله رحيم طيب لا يعاقب عباده وكان تمثاله فى معبد سيرابيوم الذى نعرفه من خلال نسخ له وتقارير أدبية عنه تمثال لرجل كث (ذو لحيه ثقيلة) اللحية داكن اللون مزين بالفضة والذهب والاحجار الكريمة مثل الزمرد والياقوت الأزرق وعلى رأسه تاج على شكل سلة لكيل الحبوب كرمز لسيادته على الأرض.

كان سيرابيس الها غامضا مهيبا ولذلك كان له سحر خاص عند كل الاغريق والرومان .

بدأت العبادة الجديدة على مستويين، بالنسبة لاغلب الناس كان سيرابيس إلها جذابا يمكن عبادته والصلاة له فى كل مكان من خلال الجمعيات الدينية أو من خلال الهياكل الخاصة بينما كانت هذه العبادة بالنسبة لمجموعة خاصة من اصحاب الحاجة أو الرغبة فى الاستغراق الدينى(١) كانت هناك أسرار ايزيس زوجة سيرابيس وكانت الاحتفالات

---

(١) Tacitus , Histories IV . 83-84 .

والطقوس الخاصة المرتبطة بهذه الأسرار من اختصاص هذا الثالوث الاغريقى المقدونى المصرى الذى قدم بنجاح عبادة سيرابيس.

فقد كان الاغريق بالفعل متعودين على الديانات الغامضة المليئة بالاسرار مثل تلك العبادة المحبوبة جدا اليهم فى اليوسس والتى منحت الأمل فى الخلود على مبادئها لعبادها ولكن اليوسس وأسرارها كانت محدودة فى مكان واحد فى بلاد الاغريق بينما كانت أسرار ازيس مثل ايزيس عالمية ومن المؤكد ان الاحتفالات الجديدة كانت مختلفة تمام الاختلاف عن الطقوس المصرية القديمة الخاصة بأيزيس والتى كانت دواما خاصة بحزنها وبحثها على اوزوريس الميت.

فى الواقع لم تكن هناك اى مبادئ على الشكل المصرى لعبادة ازيس وانما الاسرار الجديدة كانت تحقق الخلود لعبادها اثناء حياتهم الاولى بدلا من اعتمادها كما فى حالة الاعتقاد المصرى علي طقوس يقدمها الآخرين بعد موت الانسان.

ان نوع الخلاص الذى قدمته أسرار ازيس أو الأسرار الأخرى المتشابهة لم تكن مجرد التحرر من الخطيئة والاندماج فى الرب كما هو الحال فى المسيحية. ولكن هذا الخلاص كان خلاصا من القضاء والقدر ومشاركة فى قوة الالهة وكان القضاء والقدر مسيطران على عقول الناس خاصة فى الفترة التى تلت موت الأسكندر ومن ثم كان الخلاص من صيحة القدر بالاحتماء بقوة كقوة كالالة ازيس قادرة على قهره ـ اقول كان أمرا

مرغوبا بشدة.

ان الخلود في عقيدة الأسرار كان خلودا للروح فقط وليس خلودا للجسد الذى كان يتعرض للفناء بعد الموت ولذلك أبعد الاغريق بولس الرسول الى خارج قلعة الاريوس باجوس عندما تحدث عن بعث الجسد أمام هذا الجمع من المتشككين في صحة ما يدعو اليه. قالوا له سوف نستمع اليه فيما بعد.

وتجدر الاشاره الى أن الأسرار كانت امتدادا محدودا ولم تكن دعوة عالمية بل كانت في جمعيات سرية لاولئك الذين كانت تجمعهم رغبة شخصية في التقرب من معبود بعينه وكان الانضمام لمثل هذه الجمعيات ذات اشتراكات خاصة فقد بقيت ازيس تقدم طريق الخلاص للناس حتى انتصار المسيحية وفي أيام الامبراطورية الرومانية نجد أن احد الكتاب المشهورين ليكيوس ابيليوس Lucius Oupleius نجد هذا الرجل يعلق مصيره بأرادة ازيس.

(٢) <u>عبادة الملوك:</u>

عبادة الأشخاص البشريين كانت معروفة في كل أنحاء العالم فقد عرفت مصر تأليه ملوكها وكذلك ممالك آسيا كما عند الاغريق أبطالهم ومنشئو مدنهم، ولكن الاغريق لم يألهوا أحد الأحياء قبل الاسكندر الذى الهته العصبة الكورنثية ولكنها لم تكن عبادة رسمية بل كان مجرد تقدير

سياسى فقط.

وعندما تولى خلفاء الاسكندر حكم البلاد المختلفة كانوا حكاما أغراب عنها وكانوا فى حاجة الى أساس قوى يدعم وجودهم غير حق الفتح ولذلك خطا بطلميوس الأول الخطوة الأولى عندما استفاد من تعود المصريين على تأليه ملوكهم فأعلن عبادة الأسكندر الاكبر عبادة رسمية فى مصر (كان ذلك فيما يبدو بعد اعلان نفسه ملكا فى عام ٣٠٥). وقد فعل بطلميوس الثانى لأبيه مافعله هذا للاسكندر فأعلنه إلها بعد موته فى عام ٢٨٠. قلد انطيوخس الأول ما فعله بطلميوس الثانى فأعلن أباه سليوكس إلها باسم زيوس نيكاتور. من هذا الوقت أصبحت عبادة الملك بعد موته كإله قاعدة فى العالم الهلينستى.

ولكن بطلميوس الثانى قام أيضا بالتطور الأخير فى هذه العبادة عندما أعلن أخته وزوجته ارسينوى الثانية الهة رسمية قبل وفاتها باسم الالهة المحبة لاخيها. ومعها بطلميوس الثانى نفسه فعبدا معا كما عبد وحده. وبعد وفاته حرص كل ملك بطلمى أن يصبح إلها حيا يتخذ مكانه فى سلسلة الألهة الملوك ويأتى الاسكندر على قمة هذه السلسلة الالهة وكان يتلو اسمه سلسلة من الملوك المؤلهين وزوجاتهم تحت أسمائهم الدينية الألهة الاخوة Adelphoi الالهة الصالحون Eurgetae الالهة المحبين لأبيهما Philo Patres وهكذا. وقد اتم بطلميوس الرابع القائمة عندما اضاف اليها

بطلميوس الاول وبرنيكى باسم الالهين المنقذين Soteres. كان للإلهات كما للالهة كهنة متخصصون بعبادتهن مثل أرسينوى الثانية وبرنيكى (زوجة بطلميوس الثالث) وارسينوى زوجة بطلميوس الرابع.

أقام السليوقيون أيضا عبادة رسمية للاسرة المالكة شملت كل امبراطوريتهم مع وجود مركز لهذه العبادة فى كل أقليم (سترابى). وربما بدأت هذه العبادة مبكرة وان كان ينسب لانطيوخس الثالث أو ربما انطيوخس الثانى أمر إعادة تنظيمها. وسرعان ما ادعت كل أسرة من الأسرتين الملكيتين أصولا الاهية فالسليوقيون انحدروا من الاله أبولو أما البطالمة فقد انحدروا من هرقل من ناحية الأب وديونسيوس من ناحية الام.

وفى برجاموم كان الملوك يعبدون أثناء حياتهم ولكنهم لايؤلهون رسميا الإ بعد الموت ولذلك لم يستطيعوا ادعاء القدسية كقاعدة -لحكمهم.

اما مقدونيا فقد سارت فيها الأمور على أسس مختلفة لقد كانت مملكة ملوكها وطنيون ولم يكن الأنتجونيون فاتحين بل تم اختيارهم طبقا للدستور المقدونى بواسطة الجيش ولذلك لم تكن هناك مشكلة العبادة الرسمية لهؤلاء الملوك. ولم يصبح قط ملك من الأنتجونيين إلها لمقدونية على الرغم من أن بعض المدن الاغريقية قد ألهت بعض هؤلاء الملوك من منطلق تلك النظرية التى سادت عالم ذلك الزمان والتى تقول بأن الالهة كانوا فى الأصل بشرا ويكفى أن اثنين من الالهة الأغريق كانت لهما أمهات آدميات

وهما أبولو وديونسيوس وهكذا كان الأسكندر أو بطلميوس او غيرهما(١).

وقد اثر قيام هذه العبادات على شكل العلاقة بين الحاكم والمحكومين فى دول العالم الهلينستى وهو ما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد.

(٢) القضاء والقدر:

قبل العصر الهلينستى كانت العلاقات بين الدول غير مستقرة ومع ذلك فقد كانت هناك دائما مرافئ (موانى) دائمة هى مدن الدول نفسها. وان كانت المدن والحروب يكسبها طرف ويخسرها طرف آخر فالمدن قد استمرت فى الوجود قرونا متصلة دون أن تتعرض للفناء وظهر من أوقات سحيقة حرص تلك المدن على هويتها الخاصة فكان الأثينيون أثينيين والكورنثيون كورنثيين ولم يكن هناك مجال للخلط بين هوية كل منهم. هذا كان الحال قبل العصر الهلينستى ولكن الأحوال فى المدن الجديدة فى العالم الجديد خالفت ذلك فالسكان أخلاط والأغريق القادمون من أماكن متعددة يتزاحمون مع الوطنيين فى داخل تلك المدن واللغة التى يتحدثون بها لم تعد أتيكية أو دورية او أيونية ولكنها نوع جديد من اللغة الاغريقية عرفت باسم كوينى Koine .

---

(١) عن عبادة الملوك الاتاليين راجع G . Daux . Bch 5j (1935) , 210-30 .
وعن عبادة الملوك السليوقيين L . Robert . Hellenica 7 (1949) , 5-22 .
وعن عبادة الملوك البطالمة Theocritus XVII , 73-130 .

شعر الاغريق أن اللغة يتضاءل معها الاحساس بالاقليمية المتميزة كما شعروا بأنهم بعد الاسكندر قد اقتلعوا من جذورهم القديمة وأنهم اصبحوا فى عالم عجيب يتعرضون فيه للحروب الدائمة والتحالفات بين القوى الكبرى وفضلا عن ظروف الحياة العادية والأفراد كانوا يرتفعون ويهوون بسرعة مذهلة. وكان الحظ يبتسم ويتجهم للبعض خلال ليلة واحدة وكانت الدساتير القديمة والتقاليد القائمة على أساس قيم المجتمع الكلاسيكى عاجزة عن التأثير الفعال على سلوك المهاجرين المتحررين حديثا الذين خلبتهم انتصارات الأسكندر والملوك الذين تبعوه ومن ثم قلت قيمة الأفكار التقليدية القديمة كقيمة الاعتدال مثلا والالهة التى حكمت فى الماضى سواء بعدل او بغير عدل أصبحت لاشئ اذا قورنت بالحظ (تيخى Tyche وباللاتينيه (فورتونا)) الذى يلعب باقدار الرجال كالأطفال ويقلب الأشياء رأسا على عقب دون توقف. والتيخى (الحظ) ماكر كما أنه غير منطقى فكان الرجال تمحوهم الأحداث بدون أن يجدوا مساعدة من العقائد القديمة ولم يكن فى مقدور المدن الدول القديمة إلا أن تدعو من أجل خلاصهم ومن هذا توجه الناس بصلواتهم الى الحظ (تيخى) وجعلوا منه إلهتهم الحامية فى عديد من المدن الجديدة فى الشرق(١) .

---

(١) عن الحظ راجع: Demetrius of Phalerum , FGrH 228 F 39 . Quoted by Polyb . XXIX . 21 . 1-6

هناك ثورة أخرى أثرت فى مزاج العصر مثلما أثر فتح العالم الجديد ذلك هو علم الفلك الجديد وشكل العالم من خلال هذا العلم.

بدأ هذا العلم يظهر فى القرن الرابع ووصل ذروته النهائية خلال العصر الهلينستى وفى الشكل القديم كان شكل الأرض قرص (طبق) تحيط به المياة والسماء من فوق على شكل الطاسة (السلطانية) نصف دائرية وهناك تحت الأرض كان هاديس حيث المقر المظلم للموت وفى السموات كانت السحب فضلا عن الكواكب والنجوم ولكن لم تكن هناك معرفة بالمسافة التى تفصل كل من هؤلاء عن الأرض، حيث افترض أن الظواهر النجمية والطقسية تظهر جميعا على ارتفاع واحد. وكانت الآلهة تتحرك بحرية فى خلال هذا العالم المحدود وكانوا دائما قريبين. بعد ذلك استطاع إثنان من تلاميذ افلاطون أيدوكسيوس Eudoxius وهيركليديوس Heracleideus أن يحدثا ثورة فى هذا الميدان فايدوكسيوس برهن على أن الكواكب تخضع لقوانين عادية وتتحرك فى صورة دائرية خلال عدد من المجالات مختلفة الارتفاع واما هيراكليديوس رأى أن الارض تدور فى مجال حول محورها يوميا وأن عطارد والزهرة يدوران حول الشمس وأن الثلاثة الآخرين (الشمس وعطارد والزهرة) ومعهم باقى الكواكب يدورون حول الأرض . هذه النظرية الفلكية سرعان ماترجمت الى نظريات جديدة خاصة بعلم الكون والأنثروبولوچيا (علم وصف الانسان). ووضعت هذه النظريات الأرض فى المستوى الادنى من سلسلة الكواكب. ونظرت الى روح الانسان كشهاب من

النار المقدسة محبوسة فى جسد وهكذا يمكننا القول بأن الشرق قدم إضافتين بعد الأسكندر اكملت صورة العالم الجديد أولها خاصة بالملاحظات العلمية الصحيحة عن مواقع الأجرام السماوية وثانيها عن الاعتقاد بتأثير هذه الأجرام على حياة الناس، وبعيدا عن هذا الاندماج جاء علم الفلك الزائف وهو التنجيم الذى سيطر على عقول الناس ونظرتهم للعالم والله وظلت هذه النظرية مسيطرة ما بقى التاريخ القديم وربما بعد ذلك ايضا.

إن التنجيم فى صورتة الدقيقة كفر بوجود الله أو الالهة حيث يرى أن العالم يسير نفسه بنفسه بميكانيكية تعمل طبقا لقوانين منطقية دون أى تدخل خارجى وتقوم هذه النظرية على أساس فرض رئيسى.

يقول بأننا اذا عرفنا حقيقة عمل جزء واحد من الكون مثل حركة الكواكب مثلا فان هذا كفيل بأن يتيح لنا القدرة على استنتاج المعلومات عن بقية أجزاء هذا العالم كاستنتاج قدر الإنسان مثلا ومن هنا إذا أمكننا وضع حركات النجوم والكواكب فى توافق مع الأحداث الهامة فى حياة الشخص كميلاده مثلا فسيكون ممكنا التكهن بقدره وحظه فى ظل هذا العالم الميكانيكى. كانت الكواكب فى نظرهم تنتظم فى ١٢ برجا مثل شهور العام فاذا تصادف ميلاد انسان فى برج كوكب معين فان السائل الأثيرى (الهواء) الذى ترسله صوب الأرض يؤثر فى الطفل الوليد ساعة مولده وفى مستقبل أيامه وليس هناك أى مكان لوساطة الآلهه أو للإرادة الحرة وحظ الشخص محدد مثله مثل حركة السموات نفسها.

رأى آخر أقل علمية ورغم ذلك كان الرأى السائد بين العامة هذا الراى يقول بأن الأجرام السماوية نفسها كانت بذاتها آلهة ضمت لأسباب دينية خاصة وان لتحركاتها الظاهرة تأثير على حركات البشر.

وهكذا كانت أمور كالغنى والفقر والحرية والعبودية والمرض والصحة لادخل للانسان فيها وفى كلا الرأيين كان لطبيعة العالم كما عرفه الناس تأثير عميق على ديانات العالم الهلينستى والدراسات الفلسفية كذلك بما أن العقيدة الاساسية كانت الحتمية وأخيرا فان الفرد تلقائيا كان يسعى للبحث عن وسيلة للهروب من قيمة قدره وكان أقصى ما يستطيع المرء هو أن يتحاشى بعض النتائج المترتبة على قيمة القدر كأن يختار موعداً معينا لعمل بعينه تكون فيه الأجرام السماوية ترسل تأثيرات طيبة مواتية الى الأرض أو أن يسعى للخلاص من الحظ وقيمة القدر بالبحث فيما وراء الطبيعة كما فعل أفلاطون معتقدا أن بالارتفاع عقليا عن الواقع المادى كان يمكنه الهروب من العبودية الى القدر. ان المعرفة كانت الحرية والاندماج فى الخالق كانت تعنى الهروب من ضعف الصورة المادية للوجود البشرى وآخرون نالوا الخلاص كما قلت عن طريق العقائد السرية. هذه هى أهم الاتجاهات الرئيسية او التغيرات التى شهدتها الديانات على العصر الهلينستى .

٩- العلوم

شهد العلم عند الاغريق عصره الذهبى فى القرون التى تلت الاسكندر الاكبر فنرى نتاج سنوات طويلة من البحث الفلسفى والرياضى فى أعمال أرسطو الذى أنشأ القاعدة العلمية التى تقول بأن الاستنتاجات يجب أن تتم بناء على نتائج الدراسة التجريبية. طبق أرسطو هذه القاعدة فى بحوثه المختلفة كما نلاحظ التزامه بهذا المبدأ فى عمله عن وظائف الاعضاء الذي يعتبر أفضل أعماله فى ميدان العلوم . والذى لم تتم تجاوز بعض ملاحظاته إلا فى العلوم الحديثة. وباستخدام هذا الاسلوب فى الاختيار التجريبى حلل أرسطو مضمون مئات من المسرحيات لكى يقدم دراسة عن المأساة كما جمع أكثر من ١٥٠ دستورا لكى يصل الى العناصر التى ساهمت فى بقاء أو انهيار المدينة الدولة كنظام للحياة.

وعلى الرغم من أن أفلاطون سبق الى تأكيد أهمية الرياضيات وجعلها فرضا رئيسيا فى مناهجه إلا أن سعيه بالقيم المثالية كان له تأثير ضار على مستقبل التطور العلمى بتشجيع الباقين على البحث عن هذه الصيغ فيما وراء الطبيعة على عكس قاعدة أرسطو العملية التى تعتمد على الملاحظات الميدانية.

على كل حال شهد العالم لمدة تقرب من قرنين بعد الاسكندر فترة

تدفقت خلالها الدراسات العلمية من نوعية لم يتفوق العالم عليها الا فى عهد النهضة العلمية الحديثة وساعد على حدوث هذه التطور العلمى ذلك الاهتمام الكبير الذى أبداه الملوك الهلينستيين للدراسات العليا.

لقد أقام البطالمة مركز بحث عظيم فى الاسكندرية وأنشأت المكتبات فى الاسكندرية وبرجاموم وأنتيوخ وردس وسميرنا وربما فى أماكن أخرى أيضا ورغم أن الأسكندرية طغت على أثينا فى ميادين العلوم والاداب فقد بقيت الأخيرة مركزاً للعالم فى الدراسات الفلسفية ودراسات البلاغة(١).

كان المتحف فى الاسكندرية مركز الحركة العلمية وكعبة الباحثين فى كل ميدان من كل مكان فى العالم الهلينستى وقد أنشأه بطلميوس الاول سوتير ربما بناء على نصيحة من ديمتريوس من فاليرون وهو التلميذ المشهور من تلاميذ أرسطو. وقد كان المتحف منفصلا عن المكتبة (٢) وأن كان كلاهما قريب من القصر الملكى رعاة وأنفق عليه البطالمة ولم يكن المتحف

---

(١) Marshall , D . N . , History of libraries , an cient and Mediaeval , Oxford , 1983

(٢) مكتبة الاسكندرية إنشاها بطلميوس الأول حوالى عام ٣٠٠ق. م. وقد ازدهرت أيام إبنه بطلميوس الثانى وحفيده بطلميوس الثالث. نمت مجموعتها من الكتب المدونة على لفائف البردى وعلى الرقوق. وقيل انها بلغت حوالى ٤٠٠ ألف من اللفائف المنوعة ونحو ٩٠ ألف لفافة مفردة أى مصنف واحد لمؤلف واحد. وكانت مكتبة الإسكندرية فى الواقع مكتبتان الكبرى وتقع بالبروكيوم من أحياء الاسكندرية، والثانية الصغرى التى كانت ملحقة بمعبد السيرابيوم والأخيرة أقامها بطلميوس الثانى وبلغت مجموعتها حوالى ٤٢ ألفا من لفائف البردى. ذكر بلوتارخ أن حريق حرب الاسكندرية إلتهم حوالى ٤٠٠ ألف مجلد. ورغم تعويض الاسكندرية بـ ٢٠٠ ألف مجلد من مكتبة برجاموم وضعت فى معبد ولكن المعبد والمكتبة تعرضا لحريق فى عام ٢٦٦م، كما إمتد لمكتبة السيرابيوم خلال القرن الرابع فنقلت بعض كتبها الى القسطنطينية وتشتت الباقى ٣٩١.

مؤسسة مهمتها جمع تراث الماضي كما يفهم من استخدامها الحالي لكن المتحف كان المكان الذى ظهرت فيه بحوث مبتكرة فى عدد من أهم الميادين العلمية والأدبية. لقد كان المتحف مؤسسة علمية جمعت علماء اجلاء في ميادينهم. وأن ظهر فى العصور المتأخرة على وجه الخصوص بعض مدعى العلم بينهم ولذلك فأن علماء المتحف لم يستحقوا الهجاء الذى خصهم به تيمون أوف فيلوس Timon of Philus.

"هناك في زحام أرض مصر يوجد كثيرون يطعمون، كثيرون يشخبطون على البردى، دائموا الشجار، يعيشون فى حديقة طيور آل موسيس Muses (ربات الشعر والادب)."

(أ) العلوم الرياضيه والفلك

تحتل الهندسة مكانة سامية بين رياضيات العصر الهلينستي وقد فاقت فى تقدمها سائر فروع العلم الأخرى وقد كانت الهندسة أساس كل الرياضيات عند الاغريق لعدم درايتهم بالصفر وما بلغته الهندسة من الاتقان كان سببا في عدم تفكير الاغريق فى اختراع هذا الصفر ولاسيما أن الهندسه كانت تشمل الكثير مما يعتبر اليوم من علم الجبر ولايمكن أن ننسى دور اقليدس (١) في الرياضيات ويكفي أن كتابه " العناصر " كان

---

(١) إقليدس يونانى عاش فى الاسكندرية على عهد بطلميوس الاول، قام بتنظيم علم الرياضيات فى عصره ومؤلفه الاصول يحتوى عى ثلاث عشرة مقالة ظلت حتى العصر -

الكتاب الوحيد فيما عدا الكتب السماوية الذى عمر الآف السنين. فقد استمر تلاميذ الهندسة فى كل أنحاء العالم يستخدمونه منذ العصر الهلينستى حتى عهد قريب جدا. وكان على العالم أن ينتظر حتى القرن ١٩ الميلادى حتى يعرف ما يسمى الآن بالهندسة غير الإقليدية وقد وضع إقليدس كتباً أخرى لم تقتصر على الهندسة بل شملت فروع الرياضيات الأخرى عندئذ.

ويتصل بعلم الهندسة علم الفلك اتصالا وثيقا ويدين أغريق العهد الهلينستى بقدر من الفضل لعلماء بابل فى هذا السبيل. وكان من ابرز علماء الفلك فى هذا الوقت أرسترخوس من ساموس(١)وكان أول من اكتشف أن الارض لاتدور حول نفسها فقط وأنما تدور أيضا مثل الكواكب الأخرى حول الشمس. أما اعظم علماء الفلك فى الاسكندرية والعالم القديم قاطبة فيدعى هيبارخوس (١٩٠ق.م-١٢٦ق.م) وقد استطاع أن يحسب بدقة طول الشهر القمرى وقال أنه ٢٩ يوم و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة٣ ثانية وهذا الحساب أقل بثانية واحدة عن الطول الحقيقى للشهر القمرى، ويذكر أنه

= الحديث أساس دراسة مبادئ الهندسة . وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية فى القرن الخامس الميلادى والى العربية فى القرن الثامن ثم نقل من الأخيرة الى اللغات الأوربية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر وطبع لأول مرة فى عام ١٤٨٢. وإقليدس له مؤلفات أخرى كالظاهرة والتقويم والبصريات والقسمة.

(١) كان عالمابمدرسة الاسكندرية (فى القرن الثالث الميلادى) قال بحركة الأرض حول الشمس ودورانها حول محرر مائل على مستوى دائرة البروج مما يسبب فصول السنة والليل والنهار. لم يبق من مؤلفاته سوى أحجام وأبعاد الشمس والقمر. وقد وصلت بعض نظرياته من خلال أرخميدس وكوبرنيكوس.

اكتشف بداية الاعتدالين. الربيعي والخريفي.

وهناك من علماء هذا العصر أيضا نذكر أرخميدس (أرشيميدس) (عاش ٢٨٧ -٢١٢ ق.م) الذي اكتسب شهرته لدفاعه الطويل عن سيراكيوز ضد الرومان واكتشافه لطول الجاذبية بينما كان يأخذ حماما؛ واخترع حساب التكامل فضلا عن اختراعاته الكثيرة التي شملت اللولب ألانهائي (الطنبور) الذي يستخدم لنزح المياة من مناجم أسبانيا وري الحقول في مصر(١).

وهناك أيضا ابوللونيوس أوف بيرجا Apollonous of Perga.

وكان أقل أهميه من أرخميدس ومع ذلك فقد كان ثالث أكبر الرياضيين وتعتبر نظريته عن القطاع المخروطي عملا متعمقا في هذا الموضوع وقد أثر ذلك على الرياضيين حتى عصر نيوتن. هناك بعض الاشخاص بجانب أرخميدس حاولوا في المجالات التطبيقية العلمية مثل كستبيوس Cstepius في سنة ٢٦٠ ق.م اخترع المنجنيق الذي يعمل بالهواء المضغوط وهيرو من الاسكندريه في القرن الاول ق.م وقد كانت اختراعاته في مجال الرافعات كما اخترع آله بخارية بسيطة، وأكثر الانجازات

---

(١) أرخميدس عاش بين ٢٨٧ و ٢١٢ ق. م اغريقي إشتهر ببحوثه في الرياضيات والفيزيا، فضلا عن إختراعاته. وأشهر أعماله (الدائرة والأسطوانة والقطع المكافئ). لاحظ إختلاف الكثافة بين المواد. ووضع قاعدة أرخميدس للأجسام المغمورة. وقد إخترع آلة لرفع المياة (الطنبور) وهي بريمة بداخل أسطوانة وقد إستخدمت هذه النظرية لرفع المياة وكذلك المواد الخفيفة كالحبوب والرمل والرماد.

التى تستحق المشاهدة بالنسبه لمعارف العصر الهلينستى والقدرة الهندسية فيه يمكن أن نراها فى الالة المعقدة المعروفة باسم انتيكى ثيرا ميكانيزوم Antiky Thera Mechanisum(١).

وقد عثر على احدها ضمن بقايا سفينة قديمة غارقة قرب كريت ولم تدرس بصورة دقيقة الا فى عام ١٩٧٢ وهذه الالة عبارة عن الة تسجل العلاقة بين الشهور القمرية والشمسية مقرونة بحركة الكواكب والشمس وكانت هذه الالة تضم عدداً من التروس المتداخلة مختلفة الأحجام بذراع لنقل الحركة.

(٢) الطـــــب :

حقق الطب مع الرياضيات والفلك قفزات هائلة فى العصر الهلينستى ولم يمكن تجاوزها الإ أيام العالم هيرنى Herney فى القرن ١٧ م. لقد كانت الاسكندرية مركزا لأغلب هذه التطورات وهنا أتم أعظم اثنين من الباحثين

---

(١) هيرو الاسكندرى عالم رياضيات مخترع عاش فى الاسكندرية فيما بين القرن ٢ ق. م والقرن الثالث الميلادى أصله غير معروف بالرغم من أنه كان يكتب مؤلفاته باليونانية كتب عن قياس الأشكال الهندسية وينسب اليه قانون تعيين مساحة المثلث. وأشتهر أيضا بدراساته فى الميكانيكا والخصائص الميكانيكية للغازات. وقد إخترع عدة آلات تعمل بالماء أو بالبخار أو ضغط الهواء، ومن بينها نافورة وعربة أطفاء حريق وآلة تعمل بالبخار لادارة كرة أو عجلة.

فى هذا المجال هما هيروفيليوس Herophilius (من خليقدونية)(١) واراسيستراتوس Erasistratus (٢). (من كيوس) أعمالهما . الأول كان عالما فى التشريح وقد شملت اكتشافاته أعصاب الاحساس وصلتها بالنخاع وميز بين المخ (مقدمة الدماغ) والمخيخ (مؤخرة الدماغ) . وقد اعتقد أن المخ هو مركز الأعصاب كما أنه مركز الادراك والذكاء وأن الشرايين هى التى تحمل الدم أما اراسيستراتوس فقد ذكر أن القلب آلة تدفع الدم الى كل أجزاء الجسم ولكنه أساء التقدير فاعتقد خطأ أن الشرايين كانت تحمل هواء، ولكن اكتشافه الأكثر أهمية كان تمييزه بين أعصاب الاحساس وأعصاب الحركة، وهو مالم يعرفه هيروفيليوس، ولقد كان اكثر اهتماما بعلم وظائف الأعضاء أكثر من التشريح وناقش دور الغذاء وعملية الغذاء فى بناء نسيج الجسم،

تقدم البحث النظرى فى ميدان الطب قليلا بعد هذان العالمان وسيطرت الدراسات التجريبية أيام فيلينيوس Philinius الذى خلف

---

(١) عالم بالطب عاش فى الاسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث ق. م. وظلت مدرسته مزدهرة حتى نهاية القرن الأول ق. م. كان يعلق أهمية كبيرة على تجارب الطبيب وعلى النبض. وكان يستخدم العقاقير اكثر من هيبوقراط ومدرسته أهم أبحاثه كانت فى التشريح وقيل أنه لم يجرها على الموتى فقط، بل على الأحياء أيضا. وكانت تدور حول المخ والأعصاب والرئتين وأعضاء التناسل وتدل نتائجه على أنه قام كذلك بتشريح الحيوان.

(٢) إراسيستراتوس عاش فى القرن الثالث ق. م. إحتفظت مؤلفاته بمكانتها حتى القرن الرابع الميلادى قال بنظرية الاسترواح حيث كان يعتقد أن الهواء يذهب من الرئتين الى القلب حيث يستحيل (روحا حيوية) توزعها الشرايين. ودرس تلافيف المخ ويعزى اليه تسمية القصبة الهوائية واستخدام القسطر (الماصة).

هيروفيليوس فى المتحف. كان هذا الرجل رأسا لمدرسة سيطر على نشاطها ممارسة العلاج الطبى أكثر من التشريح النظرى أو علم وظائف الأعضاء. أن هذه المدرسة رأت أن الطب ليس مختصا إلا بعلاج الامراض دون الوقوف على أسبابها ولذلك فقد كان واجب الطبيب فى نظرهم هو أن يعطى العلاج الذى يشفى الأمراض الى أن يهتدى الى ذلك بملاحظة الشخصية والتعليم المشافهه وكان أشهر هؤلاء هيراقليدس تارنتوم Tarantum.

وقد ركز على الأدوية وعلم السموم فضلا عن التغذية وتاريخ الدواء. وعالم آخر يدعى اسكلبياديس Asclepiades وقد اتخذ طريقا معاكسا لهيراقليدس فعالج الأمراض برجيم غذائى وبالتدريب بالمساج وحمامات باردة ولم يعول كثيرا على العقاقير وجادل فى حجة امكانية استعادة الصحة باستعادة تناسق الاخلاط التى يتكون منها الجسم. وقد ألف كالكيوس Calcius فى نهاية القرن الأول الميلادى رسالة عن التقدم الذى تم احرازه فى ميدان الدواء منذ زمن هبوقراطيس (ابو قراط)(١) ومنذ البداية تصارع

---

(١) يعرف بأبى الطب اليونانى عاش بين ٤٦٠ و ٣٧٠ ق. م. ولد بجزيرة كوس وتعلم فى أثينا واستكمل خبرته من خلال أسفاره. له فضل فصل الطب عن الخرافة نقلت كتبه الى العربية وأضاف اليها علماء العرب شروحاً وتفاسير وأشهر هؤلاء حنين بن إسحاق وعيسى بن يحيى وثابت بن قره وعبد الرحمن بن على .

الطب العملى مع السحر والدين وقد كانت قدرة إلاله اسكليبيوس ابيداورس وسيرابيس فى الاسكندرية فى ميدان العلاج لهما نفس شعبية الأطباء الرسميين فى مصر.

(٣) علمـــاء الحيــوان والنبـــات

كان على رأس المشتغلين بدراسة علم الحيوان والنبات فى العصر الهلينستى عالمان بارزان كان أحدهما تلميذا نابها لأرسطو - يدعى ثيوفراستوس وقد فشل بطلميوس الأول فى استمالته واحضاره الى اسكندرية (١) والآخر يدعى استراتون وكان معلما لبطلميوس الثانى. وأهم ما اصابته دراسة الحيوان فى هذا الوقت أن العالم الاغريقى أصبح يألف عدداً كبيراً من الحيوانات ولاشك أنه قد ساعد على ذلك حديقة الحيوان التى أنشأها بطلميوس الثانى وكانت تضم عددا كبيرا من مختلف أنواع الحيوان والطيور والزواحف.

أما علم النبات فقد كان أكثر توفيقا بفضل أبحاث ثيوفراستوس

---

(١) ثيوفراستوس عاش بين ٢٧٢ و ٢٨٧ ق. م. فيلسوف يونانى خلف أستاذه أرسطو فى تزعم مدرسة المشائين وازدهرت المشائية على يديه. كان صديقاً لفيليب الثانى وبطلميوس الاول. كتب فى موضوعات أخصها النبات وله كتاب (شخصيات) رسم فيه عدة شخصيات من انماط مختلفة صور بها معاصريه.

التى رفعت دراسة النبات الى مستوى العلم البحت وتمخضت عن معلومات تثير الدهشة فى كثير من الأحيان فى ظل ظروف أقلها عدم معرفة الميكروسكوب فضلا عن أن علم الكيمياء كان مايزال فى المهد. ومهما يكن من أمر كشوف هذا العالم فأنها لايمكن أن تقارن بفضله فى وضع أساس علم النبات وفى تمهيد السبيل لمن جاء بعده من الباحثين المتأخرين .

ويلاحظ أنه قرب نهاية الفتره الهلينستية تراجع الطب والعلوم الأخرى أمام تزايد شأن علوم أخرى كالفلسفة والدين وعلوم السحر ويمكن أن نجد الاجابة على ذلك فى ميل العلوم الاغريقية للتركيز فيما وراء الطبيعة.

وهكذا نلاحظ أن العلوم التى تقدمت كانت علوما نظرية كالرياضة أو علوم تجريبية ومهما كان من دور الهلينستيين فيكفى أن عصرهم أعطى العلوم خاصة قاعدة رياضية ثابتة قادت فى النهاية الى تقدم العلم الحديث.

(٤) الآداب :

شهد العصر الهلينستى كما نعلم فقدان أثينا لمكانتها السياسية ومع ذلك بقيت ميدانا لبعض أوجه النشاط الفكرى فأنتعشت فيها الفلسفة فى مدرسة أرسطو وتسمى اللوكيون Leckiun (١) وكانت تعلم تلاميذها فروع

---

(١) اللوكيون ملعب فى أثينا إختاره أرسطو ليعلم فيه. وقد أطلق الاسم على المدرسة الفلسفية لارسطو، كما سميت بالمشائية أيضا لان أرسطو كان يجتمع بتلاميذه فى مماشيه أو كان يملى عليهم الدروس ماشيا.

العلم المختلفه وشهدت حديقة ابيقور تردد أتباعه ومريديه (١) كما بلغت الخطابة ذرى عالية وأنجبت ديموستينس اشهر عظماء العالم وظهرت الملهاة فى ثوب جديد يختلف كل الاختلاف عن الملهاة القديمة فى مواضيعها وأهدافها.

وكان ميناندر Menander أشهر شعرائها. ومن الجدير بالاشارة أن مؤلفات أرسطو وخطب ديموستنيس ومسرحيات ميناندر تنتمى الى فنون العصر الكلاسيكى من حيث النوعية وأن أنتمت بالزمن الى العصر الهلينستى. وصف ادب العصر الهلينستى بخلوه من المشاعر الوطنية وحماسها وهى المشاعر التى أنطقت الادباء فيما مضى بأنبل المعانى وأوحت لهم بأروع المؤلفات كما اتصف ايضا بإعراض ادبائه عن الحديث فى السياسة اعراضا تاما.

وبالطبع كان السبب فى هذا معروفا فالشعر الوطنى وما يتبعه من نشاط سياسى لايكتمل الا مع نفوس حره تعيش جواً ملئ بالحرية وهذا الجو كان غريبا عن عالم مابعد الاسكندر حيث أصبح ملئ بالرعايا لابالوطنيين وكان هؤلاء يطيعون الحكام طاعة عمياء لايهتمون بالاحوال السياسية ولايشاركون فى أحداثها فهم غرباء عن الأوطان الجديدة ولاتربطهم

---

(١) اشترى ابيقور هذه الحديقة بعد أن استقر فى أثينا حيث كان يعلم فيها تلاميذه ومذهبه يرى أن الفلسفة هى فن إسعاد الذات بالمتعة العقلية وهى الخير الأوحد وفلسفته أخلاقية أساسها لذة التأمل التى لايعقبها ألم.

بها روابط قومية كتلك التى كانت تربط سكان مدينة اغريقية بمواطنيها .

كان الأدباء مثلهم فى ذلك الوقت مثل أدباء عصرهم يفخرون باقامتهم بالقرب من الملوك؛ ويتسابقون للحياة فى قصورهم والسعى لتملقهم. ومن ثم امتلأت أشعار ذلك الزمان بتملق أصحاب السلطان الذين أصبحوا موضوعا رئيسيا لعديد من القصائد. وهكذا أصبح الأدباء فى عزلة عن الشعب بعيدين عن المعابد والآثار التى كانت تحرك مشاعر أسلافهم. أما الشعب فقد أنكب على عمله اليومى وأنصرف الى الاهتمام بحياته الخاصة وسعى وراء منافعه التافهة : لهذه الأسباب كلها اتصف أدب هذا العصر بالعقم والكساد ورمى النقاد المحدثون أدباءه بالجمود وضعف التفكير لانهم لم يبتكروا جديدا بل عادوا الى تراث أسلافهم ودرسوا وبحثوا فيه وعلقوا عليه واهتموا بالدقة فى التعبير وتعنتوا فى اختيار الألفاظ النادرة والغريبة والتباهى بمعلوماتهم وحشوها فى أشعارهم دون مبرر. ومع ذلك ففى امكاننا أن نذكر لهذا العصر بعض المآثر فادباؤه قد أدوا للأدب اليونانى القديم خدمات جليلة كان يستحيل علينا نحن المحدثون أن نفهمه بدونها؛ فمنهم من ابتدع فن نقد النصوص ومقارنة المخطوطات وتحقيق الأصول القديمة والتعليق عليها ومنهم من ابتكر فنا جديدا من فنون الشعر لم يعرفه شعراء العصور السالفة.

كالشعر الرعوى الذى ابتكره ثيوكراتيس كما أن أدباء هذا العصر اثروا على الأدب الرومانى فى عصوره الأولى فتلدهم كاتولوس وأوفيد

وفرجيل ونقلوا عنهم الكثير الأمر الذى جعل النقاد يقولون (بأنه لولا اتصال روما وتأثرها بالمدارس اليونانية فى هذا العصر لما تركت شيئا يسمى أدبا) .

بدأ عصر الانحلال هذا بخضوع اليونان للحكم المقدونى وأنتقلت فيه زعامة الأدب من اثينا الى الأسكندرية التى كان قد بناها الأسكندر فى عام ٣٣١ ق. م فازدهرت بسرعة فائقة وأصبحت لمدة قرنين أهم مراكز الأدب اليونانى مما جعل كثير من النقاد يسمون هذا العصر بعصر الاسكندرية . ولكن هذا لايعنى أن الادب السكندرى لم يزدهر الا فى هذه المدينة فقط بل أنتعش فى مدن ومناطق أخرى أهمها بلاط مقدونيا وسوريا وبرجاموم وسواحل أسيا الصغرى وجزيرة كوس ورودس واغريقيا الكبرى بل أن أثينا نفسها احتفظت كما رأينا ببعض أهميتها الأدبية ؛ ومع ذلك فالعاصمة المصرية هى التى احتلت المكانة الاولى ولم يوجد مكان غيرها لقيت فيه الفنون والأداب تشجيعا سريعا مستمرا مثلما لقيت الاسكندرية اثناء حكم البطالمة الاول فى الفترة من (٣٢٣ - ١٨٠ق. م) . وأشهر الشعراء الذين ظهروا فى عهدهم كاليماخوس(١)

---

(١) ولد كاليماخوس فى السنوات الأخيرة من القرن الرابع ق.م فى برقة ثم هاجر الى الاسكندرية حيث عمل مدرسا ثم ألف مقطوعات شعرية قصيرة لفتت اليه الانظار فى البلاط، فعينه بطلميوس فى المكتبة الكبرى. وضع فهرسا مفصلا فى ١٢٠ مجلداً يعتبر الأول فى تاريخ الأدب. يعتبر أبرز شعراء الاسكندرية فى عصره. وضع ٨٠٠ كتاباً لم يصلنا منها الا قطعا متفرقة . كانت أناشيده تخلو من العواطف الدينية الحقيقيه ولكنها كانت تفيض=

وثيوكراتيس(١) وآبولونيوس الروديسى(٢). ولكن بعد وفاة بطلميوس الرابع تولى الحكم ملوك ضعاف لم يستطيعوا الاستقرار على سياسة اسلافهم العلمية ولم يحافظوا على منزلة عاصمتهم الادبية فتدهورت الثقافة اليونانية فى مصر، بل وفى غيرها من المدن اليونانية ولم يظهر فى أواخر القرن الثانى والقرن الأول ق.م إلاعدد من الشعراء ليس بينهم شاعر واحد مجيد نذكر منهم ميكاندروس الذى تعلم فى برجاموم وترك قصائد تعليمية عن أضداد السموم والفلاحة وموسوخوس الصقلى وبيوون- السميرنى اللذين اشتهرا بأشعارهما الرعوية والتى كانت تقليدا كاملا لأشعار أستاذهما ثيوكراتيس وهناك انتباتروس الصيدى وميلياجروس الجادارى اللذين خلدا اسميهما بكثير من قطع الابجراما. ولعل أشهر الشخصيات التى لمعت فى القرن الثانى ق.م كان المؤرخ بوليبيوس الذى كتب قصة روما وكيف سادت العالم فى

= بالأوصاف والتصويرات البارعة. وقصيدة الأسباب أهم أشعار كاليماخوس وهى مزيج من المعلومات التاريخية والجغرافية والميثولوجية. وقد ألف كاليماخوس كثيراً من المرثيات أفضل المعروف منها قصيدة (خصلة شعر برنيكي).

(١) عاش تيوكريتوس فى القرن الثالث ق.م. ويعتبر أبو الشعر الرعوى ومن أهم شعراء الاسكندرية. كان شعره مبتكرا فى عصر إنعدم فيه الابتكار تمتاز أشعاره الرعوية بواقعيتها وحيويتها وإفاضتها فى وصف الطبيعة فى سيراكوز التى ولد فيها وجزيرة كوس التى تعلم فى مدرستها.

(٢) أبولونيوس الروديسى شاعر ولد حوالى عام ٢٩٥ ق.م وقد أطلق عليه لقب الروديسى لهجرته اليها بعد طرده من وظيفة أمين مكتبة الاسكندرية وحصوله على جنسية رودى ولكنه من مواليد الاسكندرية أو نوقراطيس. كتب قصائد فى تأسيس المدن أتبع فيها أسلوب عصره الوصفى. ولكنه ألف (أرجوناوتيكا) وهى أعظم قصائده وقد إمتلئت بتصوير المشاعر والعواطف التى عايشت غرام بطلة قصيدته.

٤٠ كتابا لم يصلنا كاملا منها الا خمسة تدل على أنه كان مؤرخا ممتازا دقيقا يتقصى معرفة الحقائق مهما كلفه ذلك من عناء. بعد ذلك ينتهى عصر الاسكندرية بالمعنى الصحيح. ففى نهاية القرن الاول ق.م سادت روما العالم وبدأ العصر اليونانى الرومانى الذى استمر حتى القرن ٦ م وفيما يلى ندرس بعض فروع الأدب التى مارسها أدباء ذلك العصر.

اولا: الكوميديا الجديدة والكوميديا الشعبية (Mimus)

كان مؤلفو الكوميديا فى القرن الخامس فى اثينا يسخرون من السياسة والسياسيين المعاصرين لهم وكانوا يوجهون قليلا من الاهتمام لتطور أحداث الرواية وصفات أبطالها؛ وعلى العكس فان كوميديا القرن التالى لوفاة الأسكندر الأكبر والتى تعرف باسم الكوميديا الجديدة كانت خالية تقريبا من السخرية السياسية وفى المقابل ركزت اهتمامها كله على العادات الاجتماعية وعلى الخصوص فى المجالات العائلية وعلى مسائل القيم كالبخل والفخر والحب والخنوع والفقر ولم يبق من انتاج ٧٠ كاتبا مسرحيا أو يزيد اهتموا بذلك اللون ، اقول لم يبق سوى عدد من مسرحيات ميناندر Menander (٣٤٢-٢٩٢ ق.م) (١) الذى كان معاصرا لابيقور وتلميذا

---

(١) ولد ميناندر فى أواخر القرن الرابع ق.م وأصبح زعيماً لكتاب الملهاة الحديثة. إمتاز برقه أسلوبه وسلاسته، ودقة تصويره لشخصيات رواياته مع قدرته على تحليل موافقها. أثر فى بلوتس وترنس تأثراً كبيراً وقد عرفه الغربيون فى القرن السابع عشر الميلادى من خلالهما.

لثيوفراستيس خليفة أرسطو فى اللوكيوم؛ وهى مسرحيات كأغلب مسرحيات الكوميديا الجديدة اتبعت منهجا واحدا- شاب يحب فتاة ولكنه لايستطيع أن يتزوجها لسبب أو لآخر كأن تكون قاطنة أو فقيرة للغاية أو عبدة يطلب سيدها ثمنا يعجز المحب عن دفعه وبعد عدة صعوبات يتم حل عقدة المسرحية كأن يتضح فجأه بأن الفتاة محور المشكلة هى ابنة لرجل مرموق ولكنه فقدها بعد ولادتها، أو لان النقود على وشك الوصول ربما من خلال حيلة يقوم بها عبد ماهر مثلا وتنتهى المسرحية نهاية سعيدة . مسرحيات ميناندر تعطى احساسا بالتفاؤل فالشخصيات الشريرة ليست مطلقة الشر والشخصيات الخيرة ليس أصحابها قديسين. وتبدو فى هذه المسرحيات كما لو كانت العقبات الكبرى فى حياة البشر هى مجرد الأشياء البسيطة مثل عدم موافقة الأسرة على الزواج أو الحاجة لبعض المال نذكر ذلك بالمقارنة بما كان سائدا قبلها فمثلا كان الموت أو التفانى هو سمة شخصيات الابطال عند سوفوكليس والشخصيات المتصارعة عند يوربيديس. والشخصيات المتصارعة عندهم تصارع القدر وظروفه ويعانون مشاكل المسئولية عن البشر. كل هذا حل محله على العصر الهلينستى علاقات أنسانية عادية وحقيقية فهناك رجال مشغولون بحب المال وجنود يفكرون فى امكانية اخضاع العقلية البشرية لأوامر العسكرية وهناك بغايا وهناك أناس متواكلون وهناك شباب سطحيون .

ان التوازن فى العلاقات البشرية هو المثل الأعلى عند ميناندر بينما

الخطايا عنده هي الشهوة والغضب والرغبات المتطرفة في حيازة أموال طائلة أو الرغبة في النقاء الشديد للسمعة. والاعتدال في كل شئ يدل على رباطة جأش واتزان صاحب الاخلاق المثلى؛ مع ملاحظة عدم وجود ابطال عند ميناندر فصاحب هذه الاخلاق هو القادر على تحمل امتحان اقسى وأن كان لايقوم بأعمال جديدة. ولايجب أن نعتقد بأن الكتاب كانوا يهملون أذواق الجماهير واذا كان هناك ما يكون متعلقا بهذا الأمر فالعكس هو الصحيح فقد اهتم المسرح خاصة خلال الفترة الرومانية بالميول الجماهيرية. فقد زاد الاهتمام بتنظيم المسرح والملابس وأصبحت خشبة المسرح عالية وما يجرى عليها منفصل عن جماهير المشاهدين. ومن ثم أصبحت المسارح الهلينستية والرومانية أقرب الى مسارحنا الحالية منها الى مسارح اسلافهم الكلاسيكية. وبرز دور الممثل حتى سيطر على المسرحيات وزاد الاهتمام بالموسيقى حتى وصل الأمر الى اقامة الحفلات الموسيقية والأوبريتات ونجحا الى درجة جعلتهما يغتصبان خشبة المسرح فعليا من المسرحيات التقليدية.

عامل كبير أضيف الى هذا التطور كان ذلك هو ارتفاع شأن الكوميديا الشعبية (المسرحية القصيرة) وسواء كانت مغناة أو حواراً فان الكوميديات الشعبية كتبت لتناسب الأذواق الهابطة من الجماهير ومحورها موضوعات الفسق والغواية وأحيانا كانوا يسخرون من الحكايات التقليدية للتراجيديات والكوميديات. ونظرا لما تقدمه من إضحاك وسرعة حركة فقد تمتعت بإعجاب كثيرين وعرضت في الأصل كشئ ثانوى وبالنسبة للعرض

الرئيسى فى المسرح؛ ولكن سرعان ما فرضت نفسها على البرامج الاصلية حيث كانت كتعليق حزين على الأحوال المتردية فى المجتمع الهلينستى .

أما التراجيديا فقد بقيت شهرة الثلاثة العظام من شعراء العصر الكلاسيكى (ايسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس)(١) رغم أنتشار وبناء المسارح فى كل جزء من حوض البحر المتوسط وقتذاك. وقد أدت هذه الشهرة لاعمال العصر الكلاسيكى الى عدم معرفتنا معرفة يقينة بما يمكن أن ندرسه كتراجيديات من إنتاج العصر الهلينستى فإننا نعرف اسماء ولكنها لم تكن شهيرة.

كان موضوع التراجيديات هو الموضوعات التاريخية بالاضافة الى الموضوعات الاسطورية التى كان بعضها غير معروف فى القرن الخامس مثل أدونيس وكلير وبعض المسرحيات كتبت لتقرأ لا لتمثل أو على الأقل كانت مناسبة للقراءة أكثر منها للتمثيل كما يتضح من مسرحية كانتور شارمان Cantaur of Charemen.

على كل حال عرفنا أن البلاط البطلمى فى الأسكندرية عاش فيه فى القرن الثالث ق.م سبعة من مشاهير التراجيديات منهم هوفيروس - ولوكفرون وسولسثوس Lycphron - والكسندر وايتولوس Aetolus هؤلاء خمسة وقد اختلفت الأراء فيما يخص الاثنين الآخرين: لقد وصلنا أكثر من ٦٠ اسما لكتاب التراجيديا والعناوين التى وصلتنا تدل على أنهم

---

(١) فوزى مكاوى : المرجع السابق.

كتبوا فى موضوعات غريبة لم تعالج خلال الفترة الكلاسيكية. وقد تميزت بأسلوبها المتأدب الميال لاظهار المعرفة والميل الى الرمز. ولعل هذا هو الذى جعلها غير مقبولة الذوق لدى النقاد المحدثين وأن كان هذا السبب هو نفسه الذى جعلها محبوبة عند طبقة المتعلمين من جماهير العصر الهلينستى.

ثانيا : الغـزل وشعـر العـواطـف :

لاحظنا أن سمة أدباء ذلك العصر أنهم عاشوا فى رعاية القصور ومن ثم بعدت الشقة بهم عن صدق الاحساس وصفائه التى ميزت الشعر الكلاسيكى حتى أن بعضهم الذى كان يتحدث عن العواطف ظهر فى أغلب أشعارهم التصنع والتكلف. فمثلا البعض يصف عواصفه فى مواقف لاتليق كالشاعر الذى حدثنا عن غرامه وهو يشنق نفسه أمام باب مغلق. ونلاحظ أيضا إطناب هؤلاء الشعراء فى البكاء والأنين والتعبير عن رقة مصطنعة.

ومع ذلك فالا بجرامات وهى قطع صغيرة من الشعر من بحر الايلجوس نلاحظ فيها الكفاءة. كما نلاحظ فى بعضها التعبير عن عواطف مؤثرة عميقة مثل ميلياجروس عندما يبكى حبيبته هليودورا لأن ذكراها العذبة تطارده وكاليما خوس يبكى صديقه ويواسى نفسه بخلود مؤلفات ذلك الصديق؛ ويوريبيديس فى وصفه لغرق طفل فى الثالثة من عمره. وهناك الابجرامات التى نظمت من أجل الحيوانات الاليفة. كما نجد بعض

الابجرامات تشمل على نغمة صادقة للتعبير عن العواطف التى تربط أفراد الأسرة بالصداقة والعطف فنجد أبولينوس يقدم لنا سيدة صغيرة السن تندب حظها بالقرب من فراش الزوجية، وأما معوذة تبذل الجهد والعرق صباح مساء لكى تدبر طعام أطفالها اليتامى. وقد شغل الحب كل الانتاج الأدبى للعصر الهلينستى وقد وصلتنا بعض الأعمال الأصلية المصقولة فمثلا ابولينوس من رودس الذى اشرنا الى اهتمامه بالسببية سطر نجاحا ملموسا فى التطور السيكولوجى لميديا حبيبة جاسون Gason فى ملحمته المعروفه باسم ارجوناوتيكا Argonautica.

ثـالثـا : التـاريـــــخ :

استجاب بعض المؤرخين لأذواق قراء العصر الهلينستى فاستخدموا فى كتابة التاريخ الأساليب المسرحية لكى يجعلوا كتابتهم أكثر حيوية وقبولا عند قرائهم. أشهر هؤلاء دورس Duris من ساموس وقد كتب تاريخ الفترة المحصورة بين معركة ليوكترا الى حوالى ٢٨٠ ق.م وكذلك فيلارخوس Phylarchus من أثينا الذى زاد على دروس بوصوله فيما كتب الى ٢٢٠ ق.م. نجد مثلا المؤرخ دورس يقدم ديمتريوس ابن أنتجونس المشهور بـ Poliorcetes كبطل دمره تفاخره وتساهله مع نفسه، كما نجح المؤرخ فيلارخوس فى كتابة عصر كليومنيس الثالث ملك اسبرطة وما قام به من اصلاحات اقول نجح فى كتابة هذا العصر بأسلوب

درامى .

ويعتبر المثلان السابقان من أشهر الأوصاف حيوية فى التاريخ القديم.

بالاضافة الى هذه المدرسة كانت هناك مؤلفات أثبتت الأحداث دون تدخل من المؤلف مثل التقارير التى كتبها ضباط الأسكندر وحرسه؛ كتقرير بطلميوس عن انتصارات الأسكندر اعتماداً على الوثائق الرسمية، وكذلك تقارير نيارخوس Nearchus(١) وارستوبولس Aristobulu(٢)التى كانت هى الأخرى تقارير واعية. وقد ظهر أثر تلك التقارير على ما كتبه أريان (٣) عن الأسكندر (القرن الثانى م). هناك مؤرخ هو Hieronymus من Cardia (٤) والذى كتب عن حروب خلفاء الأسكندر وقد بقيت منه فقرات قصيرة عثر عليها مقتبسة فى أعمال المؤلفين الآخرين

---

(١) كان نيارخوس قائداً مقدونيا، تولى قيادة أسطول الاسكندر من السند الى بابل (٣٢٥-٣٢٤ ق.م). كتب وصفا دقيقاً للرحلة حفظه لنا أريانوس.

(٢) كان أرستوبولس إغريقيا من كاسندريا إشترك فى حملة الاسكندر على الشرق وكتب تاريخ الاسكندر. كان مصدراً لأريانوس وإسترابون وديودورس.

(٣) كا أريان موطنا من بثينيا عاش فى القرن الثانى الميلادى وحكم كبادوكيا فى عهد هادريان. كتب عدة رسائل عسكرية وتواريخ. أشهر مؤلفاته تاريخ الاسكندر إعتمد فى تأليفه على ماكتبه بطلميوس وأرستوبولوس ويعود الفضل الى كتاب أريان فى أغلب مانعرفه عن عصر الاسكندر .

(٤) صاحب هيرونيموس الاسكندر الى آسيا، ثم حارب فى صفوف يومنيس حتى مقتل الأخير فى عام ٣١٦. خدم أنتيجونس الأعور وديمتريوس إبنه كما خدم أنتيجونس جوناتاس إبن الأخير وبقى صديقا له حتى مات حوالى عام ٢٥٠ق.م. مصدر هام لتاريخ الفترة من موت الاسكندر ٣٢٣ الى موت بيرهوس عام ٢٧٢ ق.م. كان مصدراً هاماً إعتمد عليه أريان وديودور وبلوتارخ.

بمن فيهم بلوتارخ (١). وعلى كل حال فأن أغلب الكتابات التاريخية فى العصر الهلينستى مالت لاتباع أسلوب دورس التمثيلى وبعضها الاخر كان يكتب بهدف دعائى. ومع هذا وذلك فقد فقدت اغلب هذه المؤلفات.

أعظم مؤرخ هذا العصر هو بوليبيوس (٢) الذى عاش فى القرن الثانى ق.م (من حوالى ١٩٨ - ١١٨ ق.م) وكان هذا المؤرخ اغريقيا عاش فى روما وآمن بها وبدورها فى أنقاذ العالم، كما كان فيما كتبه منحازا بصورة واضحة ضد مقدونيا وأيتوليا، ومع ذلك فأن تاريخه عن تطور روما ونجاحها فى السيطرة على البحر المتوسط فيما بين ٢٢٠، ١٦٧ ق.م عمل عظيم بحق . وتميز عمله بأنه اقتنع بأن الأحداث التاريخية المحلية فى منطقة ما لا يمكن تطورها منعزلة عما يحدث فى فترة معاصرة فى أماكن أخرى ،

---

(١) عاش بلوتارخ مابين ٤٦-١٢٠ ميلادية بيوتى الإصل زار مصر وإيطاليا وأثينا ثم عاد الى وطنه وأصبح كاهنا فى معبد دلفى. كتب مؤلف (حيوات متوازية) خصص كل فصل منها للحديث عن شخصيتين إحداهما يونانية والثانية رومانية. كان يعتز بثقافته وإنتمائه الى اليونان ولكنه تحدث بأمانه عن الشخصيات الرومانية. ويعتبر هذا الكتاب من أعظم كتب السير والتراجم فى العالم القديم. وقد إشتهر أيضا بمجموعة من المحاورات والمقالات عن الاخلاق.

(٢) بوليبيوس عاش بين ٢٠٢-١٢٠ ق.م مؤرخ أغريقي ولد فى ميجالوبولس كان إبنا ليكورتاس زعيم العصبة الآخية وكان صديقاً حميماً لفلوبيمن قائد هذه العصبة. وكان ذو كلمة مسموعة فى أمور السياسة الأغريقية. ودعا العصبة الآخية الى إلتزام الحياد بين مقدونيا وروما. وعندما إنتصرت روما نفى وعدد كبير من الآخيين الى روما (١٦٧) حيث صادق أسرة سكيبيو وكتب فى رعايتها " تاريخ عالم البحر المتوسط" من ٢٢٠/٢١٩ الى ١٤٥/١٤٤ ق.م فى أربعين جزءا. لم يصل الينا منها الا خمسة كاملة فضلاً عن بعض شذرات وفقرات من الأجزاء الأخرى. يعتبر كتابه أعظم المؤلفات التاريخية فى كل العصور ومع ذلك يجب أن نأخذ بعض أرائه بحذر.

ولذلك فقد حرص علي أن يتوقف فى كل فترة لكى يقدم حركة التاريخ هنا وهناك. وكان على دراية كاملة بظروف كل طرف من الأطراف حيث كان فى البداية احد المسئولين عن العصبة الاخية ثم أصبح بعد استقراره فى روما صديقا حميما القائد الرومانى سكيبيو أميليانوس Scipio Amilianus الذى تولى تدمير قرطاج (١) . كانت عند بوليبيوس ـ رغم تحيزه لروما ـ رغبة محمومة لمعرفة الحقيقة ، كان كذلك على دراية جغرافية واسعة بمنطقة البحر المتوسط . ولكن صفاته العظيمة كمؤرخ كان يفسدها تحاملة المستمر على الديموقراطية كنظام واعجابه بالاليجاركية فضلا عن اقتناعه بأن روما قد أدخرها القدر للقيام بدور خاص فى التاريخ.

ويجب ألانغفل جهود بعض الوطنيين هنا وهناك لتقديم أعمال عن تاريخهم الوطنى باللغه الاغريقية وهو الأمر الذى يدل على أنتشار الهلينستية بين الوطنيين فى العالم الهلينستى . نذكر فى هذا السبيل ماقام به فى القرن الثالث الكاهن Berossos من بابل والكاهن المصرى مانيتون Maneto بكتابة تواريخ بلديهما . كما يجب أن نشير الى أن أول التقارير التى كتبت عن روما فى نفس الفترة كانت بالاغريقية أيضا وتنسب الى Fabius Pictor . كما نعرف سلسلة من المؤرخين اليهود ابتداء من

---

(١) عرف بسكيبيو أفريكانوس الأصغر واسمه بوبيليوس كورنيليوس اسكيبيو أميليانوس أفريكانوس نومانتينوس ولد ١٨٥ ومات ١٢٩ ق.م أصبح قنصلا فى عام ١٤٧ أثناء الحرب البرنيقية الثالثة. دمر قرطاج، كما تولى القنصليه مرة أخرى فى عام ١٢٤ وخلالها أخضع ثورة فى أسبانيا وحرب نومانتيا. توفى فى ظروف مريبة ويحتمل أنها لم تكن وفاة طبيعية.

ديمتريبوس حوالى (٢٢٠ ق.م) الى يوسف Josephus (القرن الأول الميلادى) (١). وكلهم جاهدوا لتقديم ثقافتهم وماضيهم بأسلوب محبب للاغريق وذلك فى الدفاع عن ماضيهم ضد ما كان يراه الاغريق من أن تقارير الرومان والآشوريين والمصريين والفرس واليهود كانت مجرد خرافات لايمكن تصديقها . واعتقد الاغريق أن أسلافهم وحدهم هم الذين عاشوا عصر ما قبل التاريخ، واذا لم ينسب الآخرين أنفسهم الى هؤلاء الأسلاف فكل ما يذكرون غير معقول أو مصدق؛ فيمكن وجود أسلاف اغريق لكل دولة اتصلت بهم . وعلى الرغم من أن الرومان قبلوا هذه النظرية بالقول أنهم كانوا أحفاد أحد ابطال طروادة المدعو Aeneas(٢) الا أنهم رفضوا الروايات الأخرى التى قالت بأنهم كانوا أحفاد Odysseus أو هرقل أو إيفاندر الأركادى Evander Arcadian وقد بقيت هذه النظرية سائدة فى العالم الى أن حلت محلها مع دخول المسيحيه الرواية اليهودية لأنساب الخليقة.

---

(١) عاش فلافيوس يوسف اليهودى مابين ٢٧و٩٥ ميلادية وهو كاهن ومؤرخ يهودى عينه اليهود فى عام ٦٦م حاكما للجليل وأسره الرومان عام ٦٧. حصل على حقوق المواطنة الرومانية فى عهد فسبسيانوس أهم كتبه (حرب اليهود وتاريخ اليهود القديم ورسالة ضد أبيون ودفاع عن اليهود.

(٢) الذى تذكر الأسطروة الرومانية أنه هرب من طروادة حيث وصل الى قرطاج وتقابل مع الملكة الأسطورية ديدو. وبعد فترة تركها وأبحر الى صقلية وزار العالم الآخر ثم نزل بشاطئ إيطاليا حيث وضع الأساس الاول للدولة الرومانية، وبذلك إعتبر جدا للرومان. وأسطورة هذا البطل هى موضوع ملحمة الانيادة التى نظمها فرجيل على غرار الإلياذة الهوميرية.

رابعـا: الأدب الخيالـــى:

اتسع خيال الاغريق بقدر اتساع معارفهم الجغرافية واتصالهم بالشعوب ومعرفتهم بأساطيرها بعد الاسكندر . وهكذا أنتشرت الروايات الخيالية التى كتبها الرحالة، مثل روايات انتيفانس من برجا Antiphanes of Berge الذى ادعى أن هناك بلاداً شديدة البرودة فى الخريف الى الدرجة التى تتجمد كلمات الرجل بمجرد خروجها من فمه، ولايستطيع آخر أن يسمع ما قال إلا بعدما يأتى الربيع . كما أنتشرت الروايات التى يمثل السفر الى مناطق شديدة البعد عنصرا رئيسيا فيها . وقد أنتشرت رواية الاسكندر ـ التى كانت خيالا اغريقيا وشرقيا فى نسخ متباينة التفاصيل وعرفت فى كل أوربا وآسيا خلال العصر الهلينستى .

وعرفت هذه الفترة أيضا أوصافا عديدة للمدن الفاضله (اليوتوبيات) Utopia ولاقت قبولا حسنا عند جماهير عريضة.

وعلى سبيل المثال فأن Euhemeros الذى كان أحد رعايا الملك كاسندر ملك مقدونيا ، كتب رواية حول مدينة فاضلة. وقد أدت هذه القصة الى رواج نظريته القائلة بأن الالهة كانوا فى الأصل ملوكا على الأرض وأنهم ألهوا بعد ذلك.

أن مدينة يوهيمروس الفاضلة تقع على بعد خمسة أيام من شاطئ بلاد العرب ، وكان مواطنوها يتمتعون بالحرية السياسية ولاتعرف نظام الرق

ولايوجد فيها ملكية خاصة للأفراد، فكل مواطن يأخذ قدر حاجته، ولكن أولئك الذين يمارسون مسئوليات أكبر يأخذون أكثر. ولعل تأثير أنتشار هذه الروايات كان وراء سماح كاسندر لأخيه Alexarchus أن يقيم مدينة فاضلة تدعى Uranopolis (المدينة السماوية) على جبل آثوس فى شمال بلاد اليونان القارية، ولكننا لانعرف عن تلك المدينة أكثر من بعض قطع العملة قليلة العدد فضلا عن بعض الأخبار مشتتة فى المصادر الأدبية المختلفة.

وهناك رواية أخرى خيالية عن يوتوبيا تقع على جزيرة فى المحيط الهندى ، ويدّعى إيامبولس Iambulus كاتب هذه الرواية أنه زار تلك المدينة التى أقيمت على واحدة من سبع جزر تسمى الشمس، وكان سكانها يطلقون على أنفسهم أبناء الشمس، وتأثرا بيوهميروس فأن ايامبولس ذكر أن السكان كانوا يعيشون فى مجتمع سعيد بدون حروب أو عنف داخلى. ولم يكن هناك رق أو ملكية خاصة وكان المجتمع يملك بصورة جماعية الزوجات والأطفال . وكانت المحاصيل تنمو طوال العام بدون رعاية لها . ولاتوجد أمراض فى ذلك المجتمع ، وكان يتم التحكم فى أعداد السكان عن طريق الموت الاختيارى . كان كل واحد يشارك بنصيب فى إتمام العمل الرئيسى للمجتمع وكان وقت الفراغ مخصص للمتعة العقلية والعبادة للاله.

وهناك أيضا Megasthenes سفير سليوكس الى الهند الذى أدعى بأنه لايوجد رقيق فى تلك البلاد. وهناك أيضا Onesicritus، الذى

شهد حملات الأسكندر وكان وراء أنتشار قصة عن منطقة في وادى الهندوس إدعى أن أعمار سكانها تمتد الى ١٣٠ عاما (أرجو ملاحظة أن ايامبولس قال أن أبناء الشمس كانوا يختارون الموت عند سن الخمسين بعد المائة) وكان أصحاب Onesicritus يأكلون سويا، ولايستخدمون العملة، وكان العلم الوحيد الذى يدرسونه هو الطب ويعتبرون باقى العلوم خطرا على المجتمع. وفى هذا يجب أن نشير الى أن الاسكوذيين الذين عاشوا في الشمال كانوا يعيشون حياة بسيطة وصارمة وكان غذاؤهم اللبن والعسل ولايميلون الى اقتناء الثروة. وهكذا نلاحظ أن الكتاب الأخلاقيين حاولوا الهروب من مادية وتصنع ونفاق عصرهم فلجأوا الى الخيال يتحدثون فيه عن النبل والبساطة، وأدخلوا ما أعجبهم من عادات الشعوب المحيطة كعناصر في قصصهم الخيالية.

١٠- التعليـــــم

خلق العالم الجديد احتياجات جديدة فى ميدان التعليم لم تكن المدن توليها إهتماماً فى العصر الكلاسيكى. فلقد كانت المدن اليونانية القديمة قادرة على القيام بمهمتها التعليمية فى تكوين الاطار الفكرى لكل من الشيوخ والشباب مع الحفاظ على تقاليد المجتمع،وذلك من خلال احتفالات المدينة وساحاتها ومجالسها ومشاركة مواطنيها فى العمل. فالمدينة كانت تصنع التواصل بين الأجيال دون حاجة الى نظام تعليمى مستقل عن المجتمع وفيما عدا التعليم العالى أو المتخصص .

كان هناك من يتعلم القراءة والكتابة والحساب كمهارات فنية فقط وكان ذلك يتم فى مدارس خاصة ولعدد قليل. ولكن لم يكن هناك شئ أبعد من هذا سوى الإفيبيا Ephbia وهى البرامج العسكرية لتدريب الشباب.

كان هذا يتم تحت رعاية المدينة وأما التعليم العقلى أو الفكرى فكان يأخذ حظه من الاهتمام بصورة أوسع فى البيئة والمدينة.

كان هذا فى العصر الكلاسيكى؛ أما فى العصر الهلينستى عندما أنتشر الاغريق والمقدونيون فى البلاد الجديدة حيث لايوجد تراث تعليمى كالذى ساد المدن القديمة. وحيث كانت المدن الاغريقية فى الشرق مجرد

جزر صغيرة فى بحر من السكان الأجانب وحيث كان سكان هذه الجزر الصغيرة حضاريا أخلاط عديدة من الاقاليم الاغريقية.

فى هذا المناخ الجديد ولكى يتحقق خلود الثقافة الاغريقية كان من الضرورى أن ينظم أسلوب التعليم. وكان محور هذا النظام التعليمى هو الى حد كبير الجمنازيوم Gymnasium وأصبح مدير الجمنازيوم (الجمنازيارخ Gymnasiarh) واحدا من أهم الشخصيات فى المدن الجديدة. كانت الجمنازيات المبكرة مؤسسات غير حكومية قامت فى الضواحى حيث كان من السهل ايجاد الأرض الفضاء اللازمة لمنشآت الجمنازيوم حيث تتوفر مصادر جيدة للمياة واشجار الظل الذى كان شيئا مستحبا وأقدم ثلاثة جمنازيات فى اثينا كانت خليطا من المحاريب المقدسة والحدائق وميادين الرياضة وقاعات للدرس وفيما بعد بنى المزيد وتزايدت الأهمية حتى بنى واحد فى الاجورا نفسها (السوق الاغريقية).

وفى العالم الهلينستى زادت أهمية الجمنازيات ففى مصر حيث تشتت الجماعات الاغريقية فى داخل الريف وكانت المدن الاغريقية قليلة أصبح الجمنازيوم هو المركز الحقيقى للحياة الاغريقية سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية؛ وبالمثل عندما كان يرغب المواطنون فى البلاد الهلينستية المنتمين الى الطبقات العليا كأرستقراطيات اليهود فى أورشليم اقول عندما كان يرغب هؤلاء اليهود أن يقتبسوا شيئا من الثقافة الاغريقية فأنهم اخذوا بهذا النظام (الجمنازيات) ونتيجة لهذا التطور أصبح الجمنازيوم

بناء محكما يخطط له بدقة وينفذ كوحدة معمارية متكاملة وعناصره الاساسية هى مضمار للجرى (التراك) ومساحة لرمى القرص والرمح وملعب للمصارعة ومبنى للحمامات وحجرات لتغيير الملابس وقاعات للدرس ومكتبات وأماكن للإمدادات. واعتماداً على المساحة وشكل الأرض المتاحة كان يتم تصميم البناء. ففى دلفى وبرجاموم أقيمت المبانى على سفوح التلال فقسموا مختلف المبانى والمضامير على المدرجات المختلفة على التلال ولكن التنظيم الاكثر شيوعا كان تخصيص منطقة واسعة يحيطها سور أو صف أعمدة ثم تقام مختلف الحجرات والقاعات على مختلف الجوانب؛ وكانت التماثيل زخارف شائعة فى الجمنازيوم وأحيانا كانت الحوائط تغطى بالرسوم وقوائم بأسماء الطلاب والفائزين فى المسابقات الرياضية فضلا عن المخربشات.

سعى الاغريق لتحقيق التوازن بين التعليم العقلى والعضلى على الرغم مما كان يحدث من تغلب اتجاه من الاتجاهين فى بعض الاحيان. وهكذا نرى أن الجمنازيات خلال الفترة الكلاسيكية ركزت على الرياضة أنما فى العصر الهلينستى وفيما بعد فى الفترة الرومانية فأن الرياضات تخلت عن أولياتها للموضوعات العلمية المدرسية.

حدث هذا التغيير استجابة لعدد من الظروف اولها ميل الاستقراطية للتدريب الجسمانى فى الفترة المبكرة حيث كان هذا يعطى فرصة للفوز فى المباريات. ولكن ظهور الرياضيين المحترفين خلال العصر

الهلينستى أدى الى تقليل أهمية الرياضيين الهواة. على أن أهم الأسباب كان الدور الجديد الذي انيط بالجمنازيات فى المدن الهلينستية فقد أصبح الجمنازيوم هو المركز الذي يصون الافكار الاغريقية والمثل الاغريقية حية. وبعد أن فقدت المدن استقلالها وتدهورت أهمية ساحة المدينة وأهمية أماكن الاجتماعات أصبح الجمنازيوم هو مركز الحياة الاجتماعية والثقافية فى المدن الاغريقية وأصبح التعليم عملية مستقلة ومنفصلة عن حياة المدينة وكان مستوى التعليم يختلف ايضا من مكان الى مكان وأدى فقدان قراء العصر الهلينستى للاحساس بالمناخ الذى تمت فيه الأعمال الأصلية والرغبة فى أن يجد هؤلاء القراء قواعد ثابتة فى النصوص، أدى بالأغلبية من بين النقاد الى تفسيرات لما يصادفهم من مشاكل أو قيم تختلف عن قيم عصرهم، مثلما افترض بلوتارخ أن وصف هوميروس للأمير باريس وهلين فى نهاية الكتاب الثالث من الالياذة كان يحمل معنى ادانة العاشقين هو ما يخالف معتقدات هوميروس.

وقد أدت دراسة نفس النصوص الكلاسيكية فى جمنازيات العالم الهلينستى -ادت- الى قيام اسس وحدة ثقافية فحيثما أقيم الجمنازيوم كانت تدرس نفس النصوص تقريبا وبذلك كان يتم توحيد الخلفية الثقافية لاغريق العصر الهلينستى فى كل مكان، كما كان يتحطم أنعزال المدن التى كرسها أنعزال التعليم فى العصور الكلاسيكية، وحقق الجمنازيوم فضلا عن ذلك فرصة الحفاظ على الشخصية الاغريقية فى محيط من الثقافات الاجنبية

القوية.

لقد كان أنعزال الثقافة ونظم التعليم من مدينة الى اخرى خلال العصر الكلاسيكى مسئولا الى حد ما عن أنعزال الناس وعدم قدرتهم على التقارب والتفاعل فى المدن المختلفة ـ اما فى العصر الهلينستى فكل ما كان ضروريا لكى يصبح الانسان اغريقيا هو أن يعرف اللغة الاغريقية وأن يحصل على برنامج تعليم الجمنازيوم.

وبالنسبه للوطنيين فى البلاد المختلفة من العالم الهلينستى كان هذا لايعنى شيئا كثيرا للفقراء الذين لايستطيعون تحمل نفقات هذا النوع من التعليم. ولكن بالنسبة لاصحاب الدخول العالية الراغبون فى هذا النوع من التعليم سواء لانفسهم أو لاولادهم ، فلقد كان الباب مورويا على الأقل.

صحيح أنه من الناحية النظرية كان هذا التعليم مقصورا على الاغريق الأصلاء ولكن من الناحية العملية كان كثيرون من غير الاغريق قادرين على التسلل الى قوائم الجمنازيوم والاندماج فى الطبقات الاغريقيه العليا.

التعليم العالى :

كثيرون لم ينالوا تعليما أعلى مما كان يقدمه الجمنازيوم المحلى. وأولئك الذين كانوا يرغبون فى الالتحاق بدراسات أعلى كان عليهم أن يسافروا الى واحدةمن المدن الكبرى التى خصصت كراسى فى جامعاتهم

للبلاغة والفلسفة، وهما عماد برامج الدراسة الجامعية فى العالم القديم. من بين هذين الموضوعين كان للبلاغه تقريبا السيادة والاسباب فى ذلك كانت تعود للاهمية العملية للبليغ وعلى خلاف مانال استقلال المدن الاغريقية من أنكماش فأن الأمور الداخلية داخل المدن كانت تمارس كما كانت تمارس فى الماضى فساد على وجه العموم، الطراز الديموقراطى للدستور فى كل مكان بعد الاسكندر والى بداية العصر الرومانى ، وسادت معة نفس الاحاديث العامة وموضوعاتها كما كان الأمر فى الماضى. فهناك مجالس وجمعيات ومحاكم وبعثات قضائية وكلها تقريبا تحتاج لشخصيات لها قدرات فى البلاغة والبيان. وكان نفس الشئ ضرورياً بالنسبة للعلاقات الخارجية بين المدن، ونحن نقرأ باستمرار عن بعثات ارسلتها هذه المجموعة أو تلك من المجموعات المتصارعة فى المدن لكى تعرض وجهة نظرها أمام الملك، وفيما بعد أمام الامبراطور. وحتى فى أكثر الموضوعات فردية فأن الخطباء كان لهم دور يلعبونه وعلى سبيل المثال نجد فى العهد الجديد قصة احتجاز بولس الرسول بسبب تحريضه على التمرد فى أورشليم، فأننا نقرأ عن مدعين يأتون الى قيصرية ويحضرون معهم خطيبا اسمه Tertullus لكى يعرض الدعوى أمام الحاكم الرومانى (الاعمال ١:٢٤) "وبعد خمسة أيام حضر حقانيا رئيس الكهنة مع الشيوخ وخطيب اسمه ترتلس فعرضوا للوالى ضد بولس فلما دعى ابتداء ترتلس فى الشكايه قائلاً اننا حاصلون". وببساطة لم تكن هناك طريقة سهلة لاستبعاد اهمية الخطابة. لقد

صال الاغريق فى هذا الميدان وجالوا. وبالطبع كانت الخطابة مختلفة جدا عن اذواقنا، ولكنها كانت تعرض مشاكلهم السياسية يوما بيوم. على الرغم من أن عصر الخطابة الرزينة العظيمة فى الماضى قد اضمحل مع اضمحلال حرية المدن.

وهكذا كان الخطيب يستطيع من خلال قدرته أن يقنع الناس بمسألة من المسائل فى الداخل كما كان قادرا على أن يقاوم بنجاح فى ميدان المفاوضة مع المدن والقوى الأخرى التى تحكم العالم السياسى الاغريقى فيما بعد الاسكندر.

ولكى نوضح ما سبق نعود مرة أخرى الى العهد الجديد، الذى يعتبر مصدرا مهما عن أهمية البلاغة فى العصر الهلينستى بما قدمه عن النشاطات المعاصرة. مرة أخرى نعود لبولس الرسول الذى كل قد سبب فى هذه المرة اضطرابا فى افسوس "لان انسانا اسمه ديمتريوس صائغ صانع هياكل فضة لارطاميس كان يكسب الصناع مكسبا ليس بقليل فجمعهم والفعلة فى مثل ذلك العمل وقال ايها الرجال أنتم تعلمون أن صنعتنا أنما هى هذه الصناعة ... الى الآية ٢٩ التى تقول "فامتلأت المدينة اضطرابا وأندفعوا بنفس واحدة الى المشهد خاطفين ومعهم غايوث والاسترخس المكدونيين رفيقى بولس فى السفر. "هذا وكادت الامور يفلت زمامها من أيدى حكام المدينة ولكن مرة اخرى يظهر الخطباء ويذكر الكتاب المقدس تفاصيل ذلك.

"(٢٥) ثم سكت الكاتب الجمع وقال أيها الرجال الافسيسيون من هو الانسان الذى لايعلم أن مدينة الأفسسيين متعبدة - لارطاميس الالهة العظيمة والتمثال الذى هبط من زفس (زيوس) (٣٦) فاذا كانت هذه الأشياء لاتقاوم ينبغى أن تكونوا هادئين ولاتفعلوا شيئا اقتحاما. (٣٧) لانكم اتيتم بهذين الرجلين وهما ليسا سارقى هياكل ولا مجدفين على آلهتكم. (٣٨) فأن كان ديمتريوس والصناع الذين معه لهم دعوى على أحد فانه تقام أيام للقضاء ويوجد ولاة فليرفعوا بعضهم بعضا. (٣٩) وأن كنتم تطلبون شيئا من جهة أمور أخرى فانه يقضى فى محفل شرعى (٤٠) لاننا فى خطر أن نحاكم من أجل فتنة هذا اليوم وليس عليه يمكننا من أجلها أن نقدم حسابا عن هذا التجمع (٤١) لما قال هذا صرف المحفل".

وهكذا نظرا لأهمية الخطابة من الناحية العملية فضلا عن الأهمية التقليدية لها فى التعليم الاغريقى اصبحت دراسة البلاغة هى قمة التعليم وغرض التعليم العالى كله تقريبا على الرغم من اشارات لدراسة الفلسفة. لقد ادعى ازوقراطيس الخطيب فى جداله مع افلاطون أن الجهد المبذول لكى تعلم تلميذا كيف يتكلم له نفس التأثير العقلى لتعليم متعلم كيف يفكر. لقد كانت الفصاحة فى التعبير هى الأمر الذى ميز الإغريقى المتعلم عن الاغريقى غير متعلم من غير الاغريقى، وفى عالم كانت المدن والمواطنة فيها تتضاءل أكثر فأكثر فقد تحول المثقفون الى طبقة اجتماعية فى المجتمع وقد ظهر هذا فى اصرار أهل بعض الموتى على الاشارة الى مكانته

الثقافية على شاهد قبره . ولقد علق افلاطون على الثقافة الاغريقية بقوله أنها أغلى هدية وهبت للانسان . واعتقد أفراد الطبقة العليا فى المجتمع الهلينستى بصحة المقولة وسعوا الى تحقيقها.

١١- الفن والعمارة فى العصر الهلينستى

أن رعاة الفن فى العالم الهلينستى كانوا متنوعين تنوع المجتمع الهلينستى نفسه. لقد كان الملوك هم الرعاة الأهم للفن نظرا لما أنشئوه من مدن عامة وعواصم على وجه الخصوص. ولكنهم لم يكونوا الوحيدين الذين يرعون الفن بل كان هناك أشخاص من الطبقات العليا والمتوسطة يهتمون أيضا- فضلا عن المدن الاغريقية نفسها كان لهم نفس الاهتمام واقتنوا كثيرا من اعمال الفن المهمة. وكما تنوع رعاة الفن الهلينستى تنوعت موضوعات هذا الفن وأشكاله وغطى هذا التنوع كل الموضوعات من الإفريز الهائل لبرجاموم والذى بلغ ٤٠٠ قدما فى طوله الى الحفر على الأحجار الكريمة الذى كان سمة من سمات فن الصياغة فى العصر الهلينستى. لقد كان كل شئ متاح من الشعر المستعار المبتذل (الباروكة) الى أعمال الفن الكلاسيكى الرائعة وكان يمكن الحصول على نسخ من كل التماثيل الأرخية والكلاسيكية من كل نوعية وجودة وحجم ومادة من التجار فى كل المدن الكبرى. وهكذا تبدل الحال فبعد أن كانت المدن هى التى تختار الأعمال الفنية وتتعاقد على المبانى لاشباع حاجات مجتمعها أصبح الأفراد يقومون بشراء المنتجات من السوق لاشباع حاجاتهم. واستخدم الملوك الفن من كل الأنواع والدرجات لأغراض الدعاية. ولكن الأفراد ايضا آقتنوا أعمالا فنية من

أجل وضعها فى منازلهم أو تكوين مجموعات خاصة بهم أو لاهدائها لمدنهم. وظهرت طبقة من الهواة خبراء فى الفن؛ وظهر فى الفن كما ظهر فى الأدب حاجز بين المثقفين والجماهير الذين كان مفترضا أن الفن أنتج من اجلهم. ولقد أبرز الزمن اختلافات بين الفنانين حسب الفتره التى عاشوا فيها.

أن الاتساع الضخم على طلب نسخ التماثيل والزخارف من كل الأنواع أضاف بعد التجارة الى أبعاد الفن الأخرى. لقد ادى اتساع العالم الهلينستى والمسافات الهائلة التى تفصل بين مدنه وممالكه أدى هذا الى ضرورة ارتحال الفنانين واختلاطهم بغيرهم واشتراكهم فى مشروعات مختلفة وهناك دليل على اتساع دائرة المشتغلين بالفن نلمسه فى وجود امراة مثالة اسمها هلينا. أنجزت رسما يمثل معركة إسوس Issos بين الاسكندر والفرس.

(ا) المدن الجديدة

كانت المدن وخصوصا العواصم مناطق يستعرض الملوك فيها اسهاماتهم وأنجازاتهم العمرانية. ورغم أنها كانت قلاعا للحكام الا أنها لم تكن مجرد معسكرات مسلحة وعلى عكس المستعمرات الرومانية التى اقيمت على نهرى الراين والدانوب؛ لم تكن الأهداف العسكرية فقط هى كل اهتمام المدن الهلينستية فلقد كانت تلك المدن هى الميادين المرئية والدائمة التى تبين

مدى اسهام الملوك والطبقات المثقفة نقول اسهامهم فى تاريخ العالم فى تلك الفترة : لقد كانت الخطوة الاولى فى أنشاء أى مدينة هو استئجار مهندس معمارى كفء يمكنه أن يصمم رسما للمدينة يستخدم فيه مميزات الموقع وفى نفس الوقت يحقق الأهداف العسكرية والادارية والثقافية التى يرمى اليها منشئ المدينة. وكما كان الحال فى كثير من الأنشطه فأن الطريق لتحقيق ذلك ينطلق من اساس موجود على العصر الكلاسيكى وضعه المهندس هيبوداموس Hippodamus منشئ تصميم المدن(١). ويمكننا أن نعرف شيئا عن اسلوب هيبودامس من مدينتين اقيمتا على نسق تصميمه خلال القرن التالى وهما بيرن و ميليتوس (ملطية) Prienc, Miletus فى آسيا الصغرى وفيهما نجد تصميم المدينة قد ربط بطريقة عضوية بين الأجزاء الهامة فى المدينه كالأجورا Agora والمعابد والجمنازيات والمسارح وأحياء السكن والمرافئ وما شابه ذلك؛ ولكن بعض هذه الاحزاء كان يخضع لبعض التعديل حسب ظروف الأرض التى تقام عليها كل مدينة ففى حالة مدينة بيرن كان الموقع على سفح تل بما يحمل من صعوبة وجود مستويات مختلفة لأرض المدينة وفى ميليتوس نجد أرض المدينة عبارة عن لسان ممتد فى البحر والموقع يتميز بعدد من الاماكن الصالحة كمرافئ طبيعية وفى برجاموم عاصمة الملك اتاللوس واجه المهندس المعمارى مصاعب هائلة

---

(١) هيبوداموس، من ملطية عاش فى القرن الخامس ق.م وقد إشتهرت بتصميمه للمدن بنظام الشوارع المتقاطعة عموديا.

بسبب طبيعة الأرض التي تقع على منحدرات أحد التلال وكان الحل هو اللجوء لتقسيم المدينة الى عدد من الأقسام أنشئ كل قسم على مدرج من مدرجات التل. والاسكندرية (وهذه سنخصص لها دراسة مستقلة) عاصمة دولة البطالمة، اقيمت على شريط ضيق من الأرض محصور بين البحر وبحيرة مريوط بالقرب من مصب أحد فروع النيل (الفرع الكانوبي)، وقد نجح البطالمة في خلق ميناءأن جميلان باقامة طريق طوله حوالى كيلو متر يربط بين جزيرة فاروس والشاطئ. وقد ربط أحد هذين الميناءين بالبحيرة بواسطة قناة. وكان هناك ميناء ثالث صمم لخدمة التجارة القادمة عبر النيل. وقد اقيمت على الجزيرة واحدة من عجائب الدنيا السبع وهى منارة فاروس التى كان ترتفع ٣٦٠ قدما والتى كان الملاحون يرون نورها على بعد حوالى ٥٠ كيلو مترا. لقد قسمت المدينة على أساس التصميم الكلاسكى وكان بها أماكن مخصصة للقصور الملكية البطلمية ومعبد سيرابيس ومقبرة الاسكندر، والمتحف والمكتبة والجمنازيوم والاستاديوم ومضمار السباق، وكانت هناك شبكة مياه اسفل الشوارع تمدها بماء النيل.

وعلى الرغم من أن العواصم أشهر الأمثلة التى بنيت على أساس تخطيط هيبوداموس فأن مدننا لها نفس الطراز قد بنيت فى كل العالم الهلينستى من أقصاه الى أقصاه. وفى أواخر القرن الثانى كان العمل ما يزال قائما حتى فى الأماكن شديدة البعد من العالم الهلينستى فى افغانستان وباكستان لبناء مدن لها نفس الطراز الشبكى مثل **Taxila,**

Begreim , Charsada الذى تحس فيه التأثير الهليني.

كان تصميم المدينة يتم أولا ثم تبدأ جهود زخرفة المدينة وتزيينها. وكان يستعان لاتمام ذلك بعمال من رودس وأثينا والاسكندرية ومن أماكن أخرى؛ كما كان الفنانون والصناع (وكل من المهنتين اصبحت مستقلة عن الاخرى) يدعون للعمل فى موقع المدينة وفى بعض الأحيان كان يتم التنسيق بين الفنيين المهنتين.

ونظرا لأن أغلب المدن كانت من أنشاء الملوك فمن الطبيعى أن نلمس حضورا قويا لهم فى المدن. لقد كانت المدن تحمل أسماءهم وعملاتها تحمل صورهم، وكان هناك قطعا من النحت لكى تذكر المواطنين بسادتهم.

(٢) مدينة الاسكندرية

خطط تصميمها المهندس دينوكراتيس النقراطيسى على نظام هيبوداموس وهى فى ذلك مثل بيريه وردس وهليكارناسوس، والمعروف أن الأسكندر الأكبر هو الذى اختار موقعها على الشريط الساحلى المحصور بين البحر المتوسط وبحيرة مريوط. وقد ساهم كل البطالمة فى عمارة المدينة إلا أن النصيب الاكبر قام به كل من بطلميوس الأول وبطلميوس الثانى الذي استكملت مقوماتها كمدينة اغريقية على عهده وقد بلغت مساحة الاسكندرية عند إنشائها ٣٠ استاديا طولا فى عرض يتراوح بين سبعة وثمانية استاديا (الاستاديون ٩ر١٨٢ م). وقد احاط بها سور طوله ١٥ كم

تيم على السور أبراج على مسافات متقاربة للمراقبة والدفاع عن المدينة.
والمعروف أن الأسكندريين كانوا يحتفلون بعيد أنشاء المدينة يوم ٢٥ طوبة من كل عام وهو ما يشير الى أنها أنشئت فى حوالى ٢٠ يناير سنة ٣٣١.

والمدينة كان يخترقها شارعان كبيران يتقاطعان فى وسطها أحدهما من باب كانوب الى باب الغرب والثانى من باب الشمس فى الجنوب الشرقى الى باب القمر وكان عرض كل شارع منهما ٣٠ ياردة وقد توازت معهما بقية شوارع المدينة.

كانت قوانين المدينة تفرض على صاحب كل عقار أن يترك بينه وبين جاره مساحة قدم واحد إلا اذا اتفقا على غير ذلك .

ثم ربط الشاطئ بجزيرة فاروس التى تبعد ثلاثة ارباع ميل عن الساحل وذلك عن طريق جسر عرف بالهبتاستاديا وقد أدى هذا الجسر الى أنشاء مينائين احدهما الميناء الكبير فى الشرق Megas limen والثانى الميناء الغربى ويعرف باسم Eunostos. وكان الميناءان يتصلان عبر ممرين أسفل الهبتاستاديون. وقامت فى الحى الملكى Broucheion القصور الملكية ومعظم المبانى العامة الهامة كالمسرح والمتحف والمكتبة ومعبد بوسيدون وCaesorium,Timoniun وكان هذا الحى يغطى ما بين ربع أوثلث المدينة؛ واقيمت فيه أيضا حدائق الحيوان ودار القضاء والجمنازيوم و Poneion فضلا عن الجبانة الملكية (السوما) اما Hippodromos مضمار السباق فقد اقيم فى الطرف الشرقى من المدنية و Stadium فى الطرف

الغربي واقيم معبد السيرابيوم في راكوتيس.

واقيم شرق جزيرة فاروس منارة الاسكندرية التى صممها سوستراتوس من كنيدوس وقد بدأ العمل في بنائها على عهد بطلميوس الاول وتم البناء فى عهد بطلميوس الثانى حوالى عام ٢٨٠ ق.م وقد بقيت الى حين تهدمها بسبب زلزال حدث في عام ١٢٠٨م.

ضمت هذه المنارة ثلاثة اجزاء الاول رباعى والثانى ثمانى والثالث اسطوانى وكانت المنارة مقامة من الاحجار ومزخرفة بلوحات منحوتة من المرمر والبرونز وكان المصباح يقوم اعلى تمثال ارتفاعه ثمانية امتار وكان التمثال يقوم على ثمانية أعمدة.

واذا عدنا للمدينة التى ظلت عاصمة لمصر حتى دخول العرب فأننا نعرف أن الاسكندرية، كانت تحصل على مياة الشرب من النيل عبر قناة تخرج من النيل عند كوم الجيزة Schedia على بعد ٢٧ كيلو مترا منها.

عرفت الاسكندرية ميناء ثالثا على البحيرة كان طريق اتصالها بداخلية البلاد كما كان هذا الميناء يستقبل منتجات الشرق الواردة عبر البحر الاحمر. وكان بالاسكندرية غير الجبانة الملكية مدينتين للموتى احداهما فى الشرق والاخرى في الغرب خارج حدود المدينة. وكانت مدينة كانوب هي منطقة اللهو والراحة بالنسبة لسكان الاسكندرية. عرفت الاسكندرية نشاطا تجاريا وصناعيا هائلا، الا أن مجالها الزراعى لم يقع

حسب المعتاد بالنسبة للمدن الإغريقية قريبا منها وأنما كان يقع هرموبولس بارقا.

بلغ سكان المدينة على حد قول ديودوروس ٣٠٠ الف نسمة ولكن يبدو أن هذا الرقم ضم الاحرار دون العبيد وهو ما يضاعف الرقم . عرفت الاسكندرية مجموعة من فئات السكان مثلت كل فئة طبقة منفصلة فكان هناك علية القوم من الاغريق وكانوا اصحاب اهم الطبقات وعرفوا بالاسكندريين وكانوا مواطنى المدينة وكان هناك اغريق من المتميزين ايضا ولكنهم كانوا انصاف مواطنين بسبب عدم اعتماد نسبهم الى قبائل واحياء.

وكان هناك المقدونيون عماد الجيش وكانوا منضمين الى جمعية الجيش وهناك الفرس الذين عاشوا فى المدينة كجالية اجنبية تتمتع بكثير من الحقوق ولذلك اليهود الذين كان لهم من الحقوق فى المدينة ما جعل الاسكندريون يستكثرونها عليهم ويحسدونهم عليها وبالاضافة الى المصريين وعامة الاغريق والعبيد والمعتقين.

وكانت المدينة تتمتع بكثير من مظاهر الحكم الذاتى فكان لها مجلس شورى الغاه احد البطالمة الاواخر وكان لها استقلال قضائى وعرفت كثيرا من الوظائف المحلية وقد ظلت الاسكندرية محط انظار العالم القديم وساهمت فى تشكيل اداب تلك الفترة الهلينستية حتى عرفت آداب تلك الفترة باسمها.

الكتاب الثانى

الشرق خلال العصر الرومانى

١-الشــرق تحت الحكم الروماني

سبق أن تحدثنا عن واقع العالم الهلينستي المتطاحن المتصارع من قرب نهاية القرن الثالث ق.م، وكيف حاولت دوله الكبرى التوسع على حساب الكيانات الصغرى. وكيف أدى واقع التمزق الذى عاشته دول العالم الهلينستى الى تمهيد السبيل أمام روما لكى تسيطر عليها واحدة تلو أخرى.

كانت أول الدول الشرقية سقوطا في يد الرومان هي برجاموم التي ورثتها روما عن أتالوس الثالث ١٣٣ ق.م. وقد حولتها الى ولاية رومانية منذ عام ١٢٩ق.م باسم ولاية آسيا. تلتها بثينيا وقد حولها الرومان الى ولاية في عام ٧٤ق.م. كما كونت روما ولاية من إقليم كيليكيا في جنوب آسيا الصغرى وضمت اليها قبرص وكان ذلك في الفترة بين ٦٤ الى ٥٨ ق.م. وحول بومبى سوريا الى ولاية رومانية بعد استسلامها له في عام ٦٤ق.م. وضم أكتافيوس مصر الى أملاك الشعب الروماني في عام ٣٠ ق.م. وصارت جلاتيا ولاية رومانية في عام ٢٥ق.م. وهكذا تكونت الامبراطورية الرومانية قبل وفاة اغسطس اذ إكتفى الاباطرة من بعده باضافات هامشية، كما قسموا الولايات القديمة الى أعداد مضاعفة من الولايات الجديدة ،

فتزايد عدد الولايات حتى بلغ أربعا وأربعين ولاية فى عهد السفيريين وما يقرب من مائة فى عهد قسطنطين (٣١٢-٣٣٧م). والمناطق التى فتحتها الامبراطورية الرومانية في الشرق بعد أغسطس هى كبادوكيا (١٧م) بمفيليا ولوكيا (٤٣) وتراكيا (٤٦م) وبلاد العرب النبطية (١٠٦م)(١) وولاية مابين النهرين (١١٥م) وولاية آشور (١١٥م). وبالنظر الى الخريطة يتضح أن هذه المناطق الجديدة تقع علي حواف وحدود الامبراطورية، فضلا عن أن أغلبها لم تكن فتوحا ثابتة بل تقلبت تبعيتها بين الرومان وغيرهم مرات.

والواقع أن العوامل التى دفعت الرومان للتوسع اصلا كانت دوافع وقتية فى البداية فرضت نفسها على التفكير الرومانى، ومن ثم جاء هذا التوسع بغير خطة مدروسة. فبداية إتجاه روما للتوسع فى شرق البحر المتوسط جاءت بسبب رغبة روما فى حفظ التوازن فى هذه المنطقة بين حكام العالم الهلينستى بحيث لايتضخم نفوذ واحد من هؤلاء الحكام على حساب الآخرين. ومن ثم يصبح هذا الحاكم بعد تزايد نفوذه خطرا يهدد

---

(١) يطلق على سكان المنطقة النبطيون وكانوا يعملون بالتجارة؛ حيث حققوا ثراء كبيراً بتجارتهم فى بضائع جنوب الجزيرة العربية. وقد حاول أنتيجونس فى عام ٣١٢ أن يهزم عاصمتهم البتراء دون نجاح. وبقى ملوكهم مستقلين عن السليوقيين أيضا. إستولى أريتاس الاول ملكهم فى عام ١٦٩ ق.م على مؤاب واحتل أريتاس الثالث فى عام ٩٦ ق.م دمشق ولكنه إنسحب منها قبل وصول تيجرانيس فى عام ٧٠ ق.م. أصبح النبطيون فيما بعد حلفاء وأتباعا لروما أيام ملوكهم عبيدة Obedas الثانى ٦٢-٤٧ ق.م ومالخوس الأول ٤٧-٣٠ق.م وعبيدة الثالث ٣٠-٩ ق.م وأرتياس الرابع ٩ ق.م -٣٩ م ومالخوس الثانى ٤٠-٧١ م وRabilus ٧١-١٠٦ م. وقد حول الامبراطور تراجان بلادهم فى العام الأخير الى ولاية رومانية باسم الولاية العربية.

روما ومصالحها من الشرق.

ثم تزايد التدخل الروماني بسبب لجوء الفرقاء المتصارعين إليها لكي تحسم الخلافات بينهم. صدق هذا على الأمراء المتصارعين على عرش إحدى الدول كما صدق على الدول المتصارعة بهدف توسع أحدها على حساب الأخرى. وهكذا أصبح التدخل الروماني فى شئون دول شرق البحر المتوسط أمرا واقعا متكررا خاصة بعد إنتصاراتها فى حروبها المقدونية وحروبها ضد الدولة السليوقية. وتضخمت هيبة الرومان فى نفوس حكام الشرق، حتى أنها فى أحيان كثيرة كان تكتفى بارسال مندوب أو مجموعة من المبعوثين لفرض رأيها عوضا على تحرك الجيوش وإعلان الحروب (١).

أضاف الى هذا العامل وغذاه ماخلقه الصراع الداخلى فى روما من رغبة الزعماء فى تحقيق إنتصارات تحسب لهم عند حسم الصراع على السلطة فى روما. ومن ثم بدأ التنافس بين الأحزاب فى سبيل ضم هذه المنطقة أو تلك الى أملاك روما. ووصل التنافس بين الزعماء

الرومان من أجل قيادة حملة عسكرية الى حد الصراع السافر واللجوء الى الأساليب والمناورات غير المشروعة(٢).

---

(١) ذهب كاتو ومعه سفينة للاستيلاء على قبرص ، ولم يجد الملك البطلمى هناك من طريقة للتخلص من المأزق الابالانتحار بدون مقاومة ، وذهبت قبرص الى أملاك روما دون حرب فوزى مكاوى ، قبرص تحت حكم البطالمه طنطا ١٩٨٥م

(٢) راجع تفاصيل الصراعات بين القادة الرومان فى القرن الأول ق.م . فسلا يغزو روما فى عام ٨٨ ق.م من أجل تأمين قيادته لحملة على الشرق. وبومبيوس وكراسوس يتحالفان من أجل نفس الهدف ويؤيدهم الرومان. فوزى مكاوى ، تاريخ الرومان ، القاهرة ١٩٩٢م.

عامل آخر دفع إتجاه الغزو والتوسع وهو رغبة أصحاب رؤوس الأموال الرومان فى تحقيق ثروات خرافية من خلال شراء ضرائب الولايات ومن ثم غذوا الصراع ودفعوه بما يحقق مصالحهم.

ويكفى أن نعلم أن سقوط آسيا فى يدى مثيرداتيس السادس(١) تسبب فى وقف الضرائب التى كانت تحصل عليها روما. وفوائد الأموال التى تذهب للمستثمرين الرومان، وقد كان هذا الوضع وراء التعجيل بإرسال حملة سلا (٨٨ - ٨٤) التى إنتهت بعقد صلح مع مثيرداتيس إنسحب على اثرها إلى عاصمته.

وهكذا وجدت روما نفسها خلال قرن واحد صاحبة السيطرة والسلطة فى كل المناطق التى شغلت العالم الهلينستى. إحتلت هذه دون تخطيط أو خطة مسبقة. ومن ثم لم يكن لدى الرومان طريقة جاهزة او أسلوب محدد لكى يفرضوه فى إدارتهم للولايات الشرقية.

دعم هذه الحقيقة إنشغال روما بسلسلة من الحروب المتواصلة طوال الفترة التى كونت فيها إمبراطوريتها. فضلا عن إقتران الصراع الخارجى

---

(١) مثيريداتس السادس (يوباتور ١٢١-٦٣ ق.م) يعرف بالاكبر كان ملكا على بونتوس، إشتبك مع الرومان في ثلاثة حروب. إستولي في الحرب الأولى على أغلب أراضى آسيا الصغرى وجزر بحر إيجة عدا رودس فضلاً عن جزء كبير من بلاد الاغريق. إستمرت الحرب ٨٨ الى ٨٤ ق.م وقد هزمه سلا وأرغمه على التخلي عن فتوحاته. وفي الحرب الثانية (٨٣-٨١ ق.م اهزم الرومان. وفي الحرب الثالثة هزم لوكلوس ثم بومبي خلال الفترة من ٧٤-٦٣ ق.م. وقد إنسحب الي شبه جزيرة القرم حيث تعرض لتمرد إبنه فارناكس، وقد قتل بأمر من إبنه. كان أخطر أعداء روما في الشرق طوال فترة حكمه.

بصراع داخلى بين القادة الرومان. وقد أدى هذا لعدم وجود فرصة لبلورة نظام إدارة مخطط ومدروس يمارسونه فى المناطق التى خضعت لسيطرتهم.

يضاف الى هذا أن مناطق الشرق التى إحتلها الرومان كانت مواطن حضارات قديمة راقية بزت ما عند الرومان وكان لدى أغلب هذه المناطق أنظمة إدارية متكاملة من عصور سابقة.

وهكذا وجد الرومان أنفسهم مدفوعين الى الأخذ بأساليب الادارة فى تلك الولايات ولم يسعوا الى تغيير نظمها الادارية الا بالقدر الذى يوجه هذه الادارة لمصلحتهم (١).

إن العناصر التى حكمت سياسة روما فى الولايات تركزت على تحقيق هدفين ... الأول هو تحقيق أمن الامبراطورية والثانى تحقيق أكبر عائد من الولايات بما يعود على روما بالخير العميم وهكذا نجد حاكم الولاية لايزيد اختصاصة فوق الناحيتين المذكورتين عن الاشراف العام على المسائل المحلية. وعقد مجلس قضائى للفصل فى المسائل ذات الأهمية الخاصة. وماعدا ذلك من شئون الادارة فقد تركه الرومان للوطنيين سواء فيما يخص عاداتهم أو معتقداتهم أو لغاتهم.

---

(١) M. Carry & H. H. Scullard, A History of Rome, London, 1979, P.. 331. FF.

ولتحقيق أمن الامبراطورية وجد الرومان أنفسهم مضطرين الى الأهتمام بحماية حدود الأمبراطورية مع جيرانها من دول أو قبائل. وقد أدى هذا الى قيام الامبراطورية بأقامة نظام دفاعي وتحصينات على الحدود والدخول في الحروب واتفاقات مع جيران الامبراطورية في الشرق. ولكن أمن الولايات لايتحقق فقط بحماية حدودها وانما بالسيطرة أيضا على الولايات نفسها فجعلوا لكل منها حكومة هدفها الأول ضمان أمنها. كما لجأت الامبراطورية في أحيان كثيرة لقوات الجيش لكى تضرب أى محاولة للتمرد بين السكان. ولعل هذا يفسر التعديلات الكثيرة التى طرأت على حدود الولايات الشرقية بضم البعض أو فصله في ولايات مستقلة.

استغلال روما للولايات الشرقية

ضمت الامبراطورية الرومانية مناطق شرق البحر المتوسط وصارت كل بلاده ولايات رومانية. وبمقتضى اتفاق تم فى عام ٢٧ق.م. ثم اقتسام الولايات بين مجلس الشيوخ والامبراطور لإدارتها والملاحظ أن الإمبراطور قد إختص فى هذه الاتفاقية بالولايات المنضمة حديثا الى الامبراطورية وكذا الولايات الواقعة على الحدود فقد كانت الأمور هناك ماتزال بعيدة عن الاستقرار وفى حاجة الى تواجد عسكرى مكثف. بينما كلف مجلس الشيوخ بادارة الولايات التى إستتبت أمورها وانتظم الولاء فيها للرومان. والشرق فى أغلبه يقع ضمن الولايات الأمبراطورية، فيما عدا استثناءات بسيطه كولاية آسيا مثلا. والمعروف أن الولايات التى خضعت لمجلس الشيوخ كان يحكمها قناصل سابقون أو برايتورز سابقون وتلك التى تتبع الامبراطور كان يحكمها ليجاتوس لو بروكوراتور ولكن مصر وحدها كان يحكمها موظف آخر يدعى **Praefectus** وقد حاول المؤرخون القدامى والمحدثون أن يجدوا تفسيرات لهذا التصرف وغيره تجاه مصر فى إهتمام الاباطرة ابتداء من اغسطس بتأمينها حتى "لايصيب أحد إيطاليا بمجاعة عن طريق السيطرة على تلك الولاية ومنافذها البرية والبحرية...."(١).

---

(١) زكى على ، كليوباترة ، القاهرة ، بدون ، ص ١٥٢- ١٥٧

وقد عانت الولايات تحت الحكم الرومانى ظروف القهر السياسى والاستغلال الأقتصادى ومع ذلك لم تتوقف المقاومة المحلية أملا فى غد أفضل كما لم يتوقف إنسان هذه البلاد عن الإبداع والانتاج.

ويميز المؤرخون عادة بين فترتين من حكم روما للولايات الأولى : فترة الجمهورية وقد تميزت بإستغلال روما للولايات التابعة لها بشكل عنيف وبشع. والثانية العهد الامبراطورى، فإن الولايات باستثناء مصر أصبحت لاتخضع لاستغلال منظم وأنانى بمعرفة روما.

كان الاستغلال الأقتصادى للولايات فى العصر الجمهورى يسير فى طريقين: إستغلال رسمى تمارسه الدولة نفسها وإستغلال خاص يقوم به بعض الخواص الرومانيين.

ا ـ الاستغلال الرسمى كان يبدأ مباشرة بعد انهزام الشعوب. أعداد الأسرى العبيد والغنائم والغرامات الحربية فضلا عن إعتبار أراضى المهزومين من أراضى الدولة الرومانية Ager Publicus وكانت هذه الأراضى تخضع للتوزيع على الرومان أو تترك للأهالى مقابل اداء أتاوة يختلف اسمها وشكلها من إقليم لآخر. وكانت هذه الاتاوة تدفع إما عينا أو نقدا.

يضاف الى هذه الاتاوة ضريبة أخرى مباشرة وهى ضريبة الرؤوس Tributum Capitis وتؤدى على الأشخاص أنفسهم كما كان الحال فى

مصر وفي يهودية، وهناك ضرائب غير مباشرة كالمكوس والضرائب على إعتاق الرقيق وضريبة بيع العبد. بالإضافة الى ماسبق كانت بعض الولايات ملزمة بالمساهمة فى تموين روما بالقمح كما كانت روما تلزم كل ولاية بتموين الحامية العسكرية المستقرة فيها، ومن ذلك مثلا مافعله سلا فى ولاية آسيا (٨٥ق.م) عندما فرض تموين جيشه على حساب مدن هذه الولاية.

ولم تكتف روما بكل هذه الأشكال الاستغلالية، وإنما فرضت أشكالا أخرى من التدخل السافر فى الأقتصاد فمنعت بعض الولايات من زراعة بعض أنواع الأشجار حماية لانتاج ايطاليا.

ب ـ إستغلال المواطنين الرومان للولايات. ويمكن أن نحدد نوعين من المستغلين. فهناك الولاة وأعوانهم الذين كانوا يستغلون نفوذهم بتجميع الثروات على حساب الأهالى وكذلك على حساب الدولة الرومانية والأمثله متعددة منها عدد من ولاة آسيا. وكان الولاة بصفة عامة يستغلون نفوذهم لمصادرة أملاك الأهالى ورفع قيمة الضرائب، كما كانوا يستفيدون من غنائم الحروب التى يشنونها فى الولايات(مثل حملات بومبيوس فى الشرق) بالاضافة الى الهدايا التى كانوا يتلقونها من أعيان المدن أو من شركات ملتزمى جباية الضرائب.

والأخيرون كانوا النوع الثانى من المستغلين. فقد كان ملتزمو جباية الضرائب - وغيرهم من المتعاملين فى شئون الولايات الاقتصادية- على إتفاق مع الولاة فى غالب الأحوال على إقتسام الأرباح وتنظيم الاستغلال.

وبالنسبة للشرق نجد أن شيشرون نفسه قد أوضح فى إحدى رسائله الى صديقه أتيكوس (١) كيف كان يوفق بين مصالح الجباة وقدرة الأهالى على تسديد الضرائب. ولما رجع الى روما كان هو نفسه قد جمع قدراً كبيراً من المال. وبالأضافة الى جباة الضرائب كبار التجار الذين تعاملوا فى القروض بفوائد مرتفعة بلغت ٤٨٪. ويكفى دليلا على مدى تأثر روما بما كان يجرى فى الولايات قول شيشرون "صدقونى ان كل قروضنا وكل الأعمال المالية التى تبرم هنا فى الفورم مرهونة بمداخيل ولاية إسيا".

واذا كانت هذه هى حالة إستغلال روما للولايات فى القرن الأول ق.م فإن التغيير الأساسى الذى حدث خلال العصر الامبراطورى كان إستبدال ملتزمى جباية الضرائب تدريجيا بعدد متزايد من الموظفين العاملين لصالح الأمبراطور.

وقد سبقت الأشارة الى تزايد قوة الحكومة المركزية الذى إتسمت به الادارة فى عهد الأباطرة. ومنذ عهد أغسطس أنتزعت الدولة من الشركات جباية الضرائب المباشرة (الضرائب العقارية وضريبة الراس). وأصبح الأهالى يؤدونها مباشرة الى الدولة . إما الضرائب غير المباشرة، فظلت تسند الى الجباة الملتزمين تحت مراقبة موظفين يعينهم الامبراطور لهذا

---

(١) T. Pomponius Atticus وهو رجل بنوك شديد الثراء إتخذ موقف الحياد سياسياً.

الغرض تحت إشراف البروكوراتوريس Procuratores.

وقد أدى تشديد الرقابة على شركات ملتزمى الضرائب الى التقليل من أرباحهم ومن ثم بدأت تتقلص حتى إختفت على عهد تراجان (٩٧ - ١١٧ م) وحل محل هذه الشركات فى جباية المكوس أفراد أغنياء Conductores وإسند ما بقي من ضرائب غير مباشرة الى موظفين حكوميين. وأصبحت كل الضرائب تجبيها الدولة إعتباراً من عصر ماركوس أوريليوس ١٦١ - ١٨٠.

كانت الضرائب تفرض على الولايات بصورة غير عادلة فبينما ظلت إيطاليا معفاة من الضريبة العقارية حتى القرن الرابع الميلادى كانت مصر مثقلة بمختلف الاتاوات . ولم تكن هناك كذلك إية عدالة فى توزيع أعباء الضرائب على الشرائح الاجتماعية المختلفة فبينما كانت الشرائح السفلى من المجتمع تؤدى الضرنب فعلا كانت الأستقراطية فى الأقاليم تتهرب بمختلف الوسائل من أداء الضرائب خاصة بعد ضعف السلطة المركزية إبتداء من القرن الثالث م.

خلاصة القول أن الدولة الرومانية كانت تعتبر الولايات مصدرا رئيسيا من مصادر الدخل وكان أهالى الولايات يتعرضون لكل أنواع الأستغلال من الرومان ومن الأستقراطية المحلية(١).

---

(١) M . Carry & H . H . Scullard , op . Cit 169 F . F .

٢- الشرق فى سياسة الامبراطورية الرومانية

(١) الشرق فى عصر اغسطس:

كانت المشكلة الرئيسية فى سياسة أغسطس الشرقية هى علاقاته بملوك بارثيا وأرمنيا ففى أرمنيا استولى على العرش أرتاكسيس Artaxes وهو العرش الذى كان أنطونيوس قد اهداه لإبن كليوباترة فى عام ٣٣ ق.م. وقام بمذبحة لكل الرومان الموجودين فى البلاد أنتقاما لأبيه. وبعد معركة أكتيوم (١) والاستيلاء على مصر صار أغسطس مسئولا عن الثأر للرومان من أرمينيا، وإقرار الأحوال فى بارثيا، خاصة وأغسطس يقود جيشا قوياً مستعداً، بينما كان الملك البارثى فراتيس Phraates مشغولا فى ذلك الوقت بحرب ضد أحد منافسيه المدعو تيريداتس Tiridates . لم يستغل أغسطس الفرصة بتسيير الجيوش ورأى أن إستعادة الهيبة الرومانية فى الشرق يمكن أن تتم باتباع الأساليب الدبلوماسية الهادئة بشرط أن تكون مضمونة النتائج. ولذلك لم يتخذ أى إجراء ضد أرتاكسيس وكذلك لم يقدم للثائر تيريداتس اكثر من دعم معنوى. وبعد عشر سنوات

---

(١) أكتيوم رأس فى الشمال الغربى لبلاد الأغريق وقد إنتصر اكتافيوس (أغسطس فيما بعد) هناك على الأنطونيوس وكليوباترة عام ٣١ ق.م.

ظهرت فرصة جديدة أمام أغسطس للتدخل فى شئون أرمينيا عندما سعت المعارضة لاحلال تجرانيس محل أخيه أرتاكسيس على العرش الأرمنى . وكان تجراتيس قد أبدى رغبته فى روما فى أن ملكا عميلا للرومان . عندئذ أرسل الأمبراطور ابنه بالتبنى تيبيريوس لكى يتوج تجرانيس فى العاصمة الأرمينية . وبمجرد استعراض للقوة كان تيبيريوس قادراً على حل كل المشاكل المعلقة مع البارثيين (٢٠ق.م) . أغتيل أرتاكسيس وبتهديد بسيط بالغزو إستطاع تيبيريوس أن يجعل الملك البارثى يفرج عن كل الباقين من الأسرى الرومان لديه وكذلك كل الاعلام التى استولى عليها من قبل . وقد إستغل أغسطس هذه الانجازات غير المكلفة لكى يعلن أنه قد هزم أرمينيا وأنه فرض على الملك البارثى أن يجثو على ركبته . وإستطاع بذلك ان يخرس الألسنة الداعية للانتقام من بارثيا.

بعد موت تجرانيس (٦ق.م تقريبا) وقعت أرمينيا من جديد تحت السيطرة البارثية . عندئذ لم يقم الامبراطور بأى محاولة جادة لاستعادة الأرض المفقودة الى أن وصل حفيده جايوس قيصر الى عمر مناسب لتولى قيادة الجيش. فأرسله الى هناك فى عام ١ق.م. وقد كرر جايوس قيصر ما سبق لتيبيريوس أن قام به فدعم أحد الأمراء المدعو Ariobarzanes للوصول للعرش الارمينى، وأوقع الرعب فى قلب الملك البارثى الجديد فراتاكيس Phraataces. حقيقة حاول المقاومة ضد

جايوس، وإستطاع أن يطرح الولاء لروما بعد عودته بقليل. ولكن الامبراطور لم يسمح للاحداث على الحدود الشرقية أن تتجاوز هذا الحد رغم وقوع مشاكل داخلية فى كل من أرمينيا وبارثيا خلال السنوات العشر الاخيرة من حياة الامبراطور.

أن سياسة أغسطس تجاه أرمينيا وبارثيا كانت وسطا بين سياسة قيصرو أنطونيوس الهادفة الى هزيمة أرمينيا وبين تركها صراحة للسيادة البارثية. الاتجاة الأخير الذى كان الحل الأمثل للرومان بالنسبة للمشكلة الشرقية كان يواجه مقاومة حقيقية فى روما، أما الحل الأول فكان مغامرة غير مضمونة العواقب. أما سياسة أغسطس فقد أمنت الحدود الرومانية ضد الغزو وخففت من ذكرى الهزائم الرومانية السابقة بدون خسائر ضخمة سواء فى الرجال أو المال.

بقيت بعض القبائل الجبلية فى جبال طوروس ترفض الخضوع للرومان ولم تستطع حملات Servilius Iscauricus ولابومبى أن تفرض عليهم التبعية لروما. وقد طلبت روما من الملك الجلاتى ديوتاروس وخليفتة أمونتاس أن يمارسا بعض الرقابة على القبائل المتمردة. وبعد موت أمونتاس فى عام ٢٥ق.م ضم أغسطس جلاتيا وتولى مسئولية اقرار السلام فى الهضبة الوسطى.

لم يتخذ فى البداية أى اجراءات أكثر من بناء مستعمرة عسكرية

فى أنطيوخ فى Pisidia. ولكنه أمر فيما بين ١٢ق.م واحد ميلادية أمر حاكم جلاتيا P.Sulpicius Quirinius أن يطارد الهومونادیس Homonadeis اللصوص فى غاباتهم على الحدود تجاه كيليكيا. وبعد عدة حملات شاقة إستطاع كويرنيوس أن يهدئ هذه المنطقة بأعادة توطين السكان فى السهول القريبة وأقيمت سلسلة من المستعمرات الجديدة - كانت لوسترا Lystra هي المستعمرة الرئيسية بينها- لكي تخدم كنقاط متقدمة للقاعدة الرئيسية فى أنطيوخ (١).

(٢)-الشرق فى عصر الأسرة اليوليوكلاودية:

يهودية:

كانت منطقة الاضطراب الرئيسية فى شرق البحر المتوسط أيام الاباطرة المبكرين تقع فى فلسطين، حيث ظل السكان اليهود مصدر قلق وتمرد تحت الحكم الرومانى . وطبقا لاتفاقية أغسطس مع السناتو فإن حكام يهودية كانت لديهم تعليمات بالسماح للسكان بممارسة عبادتهم الخاصة. وقد مارس الكاهن الاكبر يساعده مجلس السنهدرين Sanhedrin فى أورشليم السلطات المعتادة لحكومة مستقلة فى شئونها الداخلية والقضاء والدين دون تدخل؛ وفي مقابل هذه التنازلات كان كبار الكهنة

---

(١) M . Carry & H . H . Scullard , Ibid , P . 333.

وملاك الأراضي الكبار الممثلين في السنهدرين يتعاونون مع الرومان. ولكن عامة اليهود الذين ايقظت ثورة المكابيين عصبيتهم ضد غير اليهود رأوا أن يوم الخلاص من الحكم الأجنبي صار قريبا. وساد الاعتقاد بأن المسيح المنتظر قادم ليحررهم ورأى البعض أن يهيئوا لقدومه. بعد ضم يهودية للرومان في عام ٦ ميلادية بقليل قامت مقاومة مسلحة ضد المسئولين الرومان عن التعداد. وهاجمت عصابات السيكاري أو أصحاب السكاكين الذين كانوا قد هربوا الى الصحراء تحت ضغط القوات الرومانية هاجمت البلاد باستمرار. وفي عام ٤٠م حدث تراجع روماني مفاجئ عن سياسة التسامح الديني الذي إتبعه أغسطس بأمر من كاليجولا الذي أمر اليهود أن يقيموا تمثالا له في معبد أورشليم. وقد أدى هذا الى ثورة عامة في فلسطين. تم تحذير الامبراطور من الثورة التي يمكن أن تحدث وكان أصحاب التحذير بترونيوس P.petronius حاكم سوريا وكذلك جوليوس أجريبا (هيرود أجريبا) حفيد هيرود الكبير والمقرب للبلاط الروماني. فصرف كاليجولا النظر عن طلبه ولكنه فجأة عاد عن وعده وأمر باقامة التمثال كما أمر باعدام بترونيوس. ولكن وفاة الامبراطور بعد ذلك بوقت قصير أنقذت بترونيس من الموت ومنعت اندلاع ثورة في فلسطين. ولكن مجرد محاولة فرض عبادة الامبراطور هناك دعم موقف المتعصبين ضد الرومان. وإنتهت خطط كاليجولا لإقامة أجريبا على عرش جده، بالموت

المفاجئ للملك الجديد ٤٤.

ونظرا لتواضع القيمة العسكرية ليهودية فقد إسند أمرها الى بروكوراتور Procurator، تحت الأشراف العام لقائد سوريا Legatus. لم يوفق الأباطرة فى اختيار البروكوراتوريس فان الاضطراب المالى الذى عانت منه المنطقة وعلى وجه الخصوص خلال فترة أنطونيوس فيلكس Antonius Felix أخى بالاس معتوق كلوديوس (٥٢-٦٠) أعادت الى الأذهان الأيام السوداء" على عهد الجمهورية. ولكن الخطأ الأكبر للحكام الرومان كانت الضراوة التى يواجهون بها التمردات المتكررة. فمثلا Pontius Pilat (٢٦-٣٦) قام بسلسة من الغارات ختمها بمذبحة لبعض السامريين بغير داع على جبل Gerizim : صحيح أنه عزل وأعيد لروما بأمر من قائد سوريا Vitetius ولكن فى أحيان إخرى لم يكن مرتكبو مثل هذه الأحداث يحاسبون، ومن ثم كان علىّ الحكام أن يواجهوا تمزدات سياسية واجتماعية ودينية على جبهة عريضة. وعلى كل فإن هذه المذابح التى قام بها الرومان اسهمت أكثر من أى شئ آخر فى إيصال البلاد للحرب. فى عام ٦٦م حدثت مذبحة من الوثنيين ضد اليهود فى قيصرية، وكان ذلك بموافقة من البروكوراتور Gessius Florus. وقد أدت هذه المذبحة الى قيام ثورة فى أورشليم حيث أصبحت اليد العليا للمتعصبين Zealot. Florus بدى عاجزا، كما أن قائد سوريا Cestius Gallus حضر على

رأس جيش من ٣٠ ألف رجل وبدأ في محاصرة قلعة أورشليم. ولكنه في نوبة عصبية مع إقتراب الشتاء أمر برفع الحصار ثم قام بتقهقر مأساوي من فلسطين. انتشرت الثورة في كل يهودية بعد هذه المهزلة وإمتدت الى الجليل وأجزاء عبر الاردن، وأصبحت مدن فلسطينية عديدة ميادين قتال، وفيها قام اليهود والوثنيون بذبح بعضهم البعض كلما كانت لأحدهم الغلبة في مكان. جمعت الثورة المعتدلين اليهود مع المتعصبين ونظمت القوات الثائرة ودربت.

أسرع نيرون بأرسال جيش تحت إمرة فلافيوس فسبسيان Flavius Vaspasianus وهذا لم يكن ضابطا محبوبا من البلاط ولكنه كان صاحب تاريخ عسكري جيد. كما أنه كان بسبب أصله الغامض يعتبر رجلا مأمون الجانب لكي يترك على رأس جيش كبير.

استطاع فسبسيان بقواته التي زادت عن ٥٠ ألف جندي أن يخضع الجليل في عام ٦٧ وأراضي عبر الاردن في ٦٨. وبذلك حصر الثورة في أراضي يهودية الأصلية. عند ذلك الوقت أوقف فسبسيان عملياته العسكرية بإدعاء أن نيرون، الذي أخذ منه أوامره، قد عزل ولكن اليهود لم يكونوا قادرين على الاستفادة من المهلة المتاحة. حيث لم يصمد الاتحاد بين اليهود طويلا و سرعان ما حدثت نزاعات بين المعتدلين و المتعصبين في أورشليم ، فأصبحت مقاومة المعتدلين فاترة . ان وجهة نظر اليهود في هذه

الحرب وصلتنا من خلال كتابات يوسف اليهودى الذى كان ضابطا صغيرا لعب دورا فى المراحل الأولى للحرب ، ثم إستسلم لفسبسيان فى عام ٦٧ . وقد كوفئ بمنحه الجنسية الرومانية . ومع نهاية حكم نيرون صار للمتعصبين اليد العليا فى أورشليم . ولكن فلسطين ككل كانت قد أستعادها الرومان(١).

ان تعصب كل من اليهود والوثنيين كان السبب الأصلى لأندلاع حرب اليهود وقد وقعت مصادمات بين الطائفتين فى مختلف المدن فى الشرق فى مناسبات متعددة حيث كان المستوطنون اليهود يقعون فى تنافس مع السكان المتأغرقين. وكانت هذه التناقضات تبدأ عادة بمحاولة المتأغرقين إنكار الحقوق التى أقرها الملوك الهلينستيين لليهود واكدها قيصر ثم أغسطس. لقد كان مركز الصراع الأساسى فى الاسكندرية، حيث كان هناك وجود يهودى كثيف كونوا طائفة لها مجلس ورئيس. ومع ذلك كانوا يطالبون بحقوق المواطنة الاسكندرية على قدم المساواة مع الاغريق. والأخيرون كانوا يحقدون على اليهود، نظرا لحرمانهم من وجود مجلس شورى وهكذا نما شعور بين السكندريين مضاد للرومان قاده إيزودور ولامبون. وكان عليهما أن يواجها الموت فى سبيل وطنهما وقد خلدت قصة هذه المواجهات فى أعمال أدبية شعبية ذاعت وانتشرت ويطلق عليها أعمال

---

(١) Josephus,The Jewish War,Penguin BKS,England,1978, ,1, FF .

الشهداء الوثنيين. في عام ٣٨م أستغل الاغريق الفرصة وأعلنوا عدم ولاء اليهود في الاسكندرية عندما رفض هؤلاء أن يعبدوا كاليجولا كما أمر، وقام حاكم مصر أفيليوس فلاكوس Avilius Flaccus ، بتأييد هجمات قام بها الأغريق ضد السكان اليهود. بعد الأحداث استدعى فلاكوس وقتل بينما أرسل كل من اليهود والأغريق في الاسكندرية مندوبين الى كاليجولا. ونظرا لأن اليهود كان يقودهم الفيلسوف فيلو. بينما كان يقود الوفد السكندري إيزودور. صرف كاليجولا الوفد اليهودي بعد أن أوضح أن عليهم أن يقدموا تضحيات من أجله لا أن يضحوا له. وعند إعتلائه للعرش فإن كلاوديوس أصدر منشورين، واحد يؤكد فيه الامتيازات التي أقرها لليهود الاسكندريين، وفي الآخر لليهود في أتحاد العالم. ومع ذلك فقد ثارت مشاكل في الاسكندرية في عام ٤١. وخطابه في الرد على الفريقين يظهر منه أنه لم ينتصر لأحدهما تماما وحذرهما كلاهما بأن عليهم أن يحفظوا السلام في الاسكندرية. "والا فإنني سأكون مضطرا أن أبين له كيف يكون الأمير الحليم عندما يغضب" لقد أمر الأغريق أن يكونوا رحماء باليهود وأمر اليهود أن يتوقفوا "عن صنع الوباء العام في العالم(١)".

وفي عام ٥٢ قدم وفد إغريقي من الاسكندرية تقريراً ضد أجريبا الثاني

---

(١) عبد اللطيف احمد علي ، مصر والأمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، القاهرة.

أمام كلوديوس، ولكنهم فشلوا في الايقاع به وأعدم إيزودور ولامبون بعد أن أهانا الامبراطور. وقد استغل يهود الاسكندرية في عام ٦٦م قيام الثورة في فلسطين لكن يقوموا بعنف ضد الأغريق ولكن حاكم مصر تيبيريوس الاسكندر ضرب المعتدين بقسوة. وبعيداً عن تلك المحاولة الفاشلة في الاسكندرية فإن ثورة اليهود لم تنتشر في أنحاء أخرى من العالم...

أرمينيـــا وبارثيـــا :

قام الرومان في آسيا الصغرى بعدد من الحملات الثأرية ضد القبائل المتمردة في جبال طوروس، ولكن حجم هذه الحملات تقلص حتى أصبحت في حجم الأعمال البوليسية. وتم ضم ساحل لوكيا وبامفيليا في ولاية واحدة في عام ٤٣ تسهيلا للدفاع عن المرتفعات الجنوبية. ولكن العمل الأكثر أهمية كان إخضاع تيبيريوس لمملكة كبادوكيا في عام ١٧م ثم تحويلها الى ولاية رومانية وذلك لكن يقوى الحدود الرومانية على طول الفرات. اما الكوماجيين في شمال سوريا فكانوا يعيشون فترة قلق ولذلك بمجرد موت ملكهم في عام ١٧م ضم تيبيريوس بلادهم. وفي عهد كاليجولا أعادها للملك أنطيوخس الرابع ثم بعد ذلك عزله، ولكن أنطيوخس عاد مرة أخرى الى عرشه على يد كلوديوس ٤١ وظل يحكم حتى عزله فسبسيان عام ٧٢م.

وبالنسبة للعلاقات مع أرمينيا وبارثيا فإن خلفاء أغسطس ساروا

على نهجه فى فرض السيادة الرومانية بأقل قدر ممكن من الجهد العسكرى. ولكن تراخى الرومان وتضاءل حذرهم ومع ذلك فقد ساعدهم التردد الذى ميز حركة الملوك البارثيين. ولذلك فما من مرة فقد فيها الرومان نفوذهم على الفرات الا وكان ذلك ينتهى دائما باستعادتهم له. وعند موت أغسطس كان الحاكم البارثى أرتابانوس Artabanus لم يكن قد دعم مكانتة جيداً. أما أرمينيا فكانت فى حالة من الفوضى. ومع ذلك فإن تيبيريوس لم يتحرك حتى عام ١٨، عندما دعى نبلاء أرمينيا أميراً من واحدة من الأسر المالكة الصغيرة فى آسيا الصغرى لكى يصبح ملكا عليهم. عندئذ عين الإمبراطور ابن أخيه جرمانيكوس Germanicus، الذى كان قد أرسل حديثا فى جولة تفقدية فى الولايات الترفيه، لكى يمنح التاج لمرشح الأرمينيين فى أرتاكساتا Artaxata (١)- وهو احتفال شارك تيبيريوس نفسه فى مثيل له قبل ذلك بأربعين سنة فى ظروف مشابهة تماما. الملك الجديد أرتاكسيس Artaxes ، حكم بدون إنقطاع حتى عام ٢٥م. وعند موته فإن الملك البارثى أرتابانوس، الذى أذعن لتتويج أرتاكسيس، أراد أن يسبق تيبيريوس فحرض أحد أبنائه للاستيلاء على أرمينيا لنفسه. ولكن الداهية الرومانى تخلص من هذا المأزق بذكاء. فقد حرض مغامر إيبيرى يدعى مثيريداتس فهزم القوات البارثيه وطردها

---

(١)عاصمة أرمنيا

خارج أرمينيا وأمن العرش لنفسه. كما حرض مطالب بعرش بارثيا يدعى تيريداتس Tiridates إستطاع أن يطرد أرتابانوس مؤقتا من كل أقاليمه الغربية. حقيقه أن الاخير إستعاد الأقاليم المفقودة بدون مناوءة من جانب الرومان، ولكنه لم يقم بأى محاولة لطرد مثريداتس من أرمينيا.

ضاعت ثمار سياسة تيبيريوس الحاذقة بسبب سوء تصرف الإمبراطورين التاليين. فكاليجولا قدم أرمينيا هدية لأرتابانوس باقدامه على استدعاء مثيريداتس الي روما وحبسه هناك بدون سبب واضح ومن ثم إستولى أرتاباتوس على البلاد دون مقاومة. أما كلوديوس فقد نجح فى البداية فى إعادة مثريداتيس بمعونة قوة عسكرية رومانية صغيرة . تم ذلك عندما كان جوتارزيس Gotarzes خليفة أرتابانوس مشغولا بالصراعات الأسرية فى وطنه . ولكن فى عام ٥٢ قام ابن اخ مثريداتس المدعو رادامستوس Radamistus وهو مغامر أيبيرى هاجم أرمينيا وقتل عمه غدراً، وقد ترك الرومان مثريداتس يقع فى الكمين دون أى عون كما لم تصله أية معونة من الحكام الرومان المجاورين . ان تجاهل روما لما نال الملك العميل لها ساعد الملك البارثى الجديد فولوجيبس Vologeses فى كسب الموقف لصالحه فساعد الأرمينيين فى التخلص من الدخيل رادامستوس كما أرضاهم بأن جعل تيريداتس اخاه محله (٥٢-٥٤).

وعند إعتلاء نيرون للعرش فإن حاكم كبادوكيا الرومانى يوليوس بايليجريوس Iulius Paeligrius الذى كان مسئولاً بصورة رئيسية عن فقد أرمينيا تم استبداله فى عام ٥٥ بضابط يدعى Domitius Corbulo، وكان قد خدم بامتياز على جبهة الرين. كانت تعليمات الحاكم الجديد تقضي بإجراء مفارضات مع فولوجيسس على أساس إعتراف الرومان بتيريداتس بشرط أن يتسلم تاجه من ممثل نيرون. وحذره بأن رفض تيريداتس لهذه الاتفاقية سيؤدي بكوربولو لغزو أرمينيا بجيش كبير. وبعد عام كامل من التدريبات القاسية للتخلص من حالة الاسترخاء التى كانت تسود القوات الرومانية على الجبهات الشرقية، قام القائد الرومانى بعبور جرئ لهضبة Erzerum فى وادى Araxas . ثم قام بحملتين سريعتين إحتل خلالهما وحرق ارتاكساتا ثم أعاد مسيرة Lucullus عبر الأراضى الأرمينية العليا الى Tigranocerta (٥٨-٥٩) ومن هذه القاعدة أخضع بأسلوب منظم كل أرمينيا خلال الصيف التالى، حتى أن تيريداتس -الذى كان فى نفس الوقت قد فقد دعم أخيه بسبب ثورة على الحدود الشرقية لبارثيا- أخلى مملكتة كلية. وفى عام ٦٠ لجأ كوربولو لحل المسألة الأرمينية مؤقتا بتتويج أمير يدعى تجرانيس من الأسرة المالكة السابقة فى كبادوكيا ملكا على أرمينيا.

فى العام التالى أثار الحاكم الجديد لأرمينيا أثار فولوجيسس

بقيامه بغارة على ميزوبوتاميا. عندئذ فإن الملك البارثى الذى كان قد انتهى من مشاكله أخذ بالثار من تجرانيس بأن حبسه فى Tigranocerta . وبالنسبة للموقف الرومانى ردكوربولو الذى كان قد نقل الى ولاية سوريا الأكثر أهمية رد بعزله من عرش أرمينيا. ووافق على إعادة تيريداتس بشرط الاعتراف بالسيادة الرومانية. ورغم قبول تيريداتس لهذه الشروط الا أنها رفضت من جانب نيرون نفسه، حدث صدام مباشر بين الرومان والبارثين. عند بداية الحرب بقى كوربولو ساكنا فى سوريا. بينما سعى حاكم كبادوكيا الجديد L,Caesennius Paetus, الى منافسة غارات سلفه فى أرمينيا.(٦٢) تقدم بايتوس بغير حذر فى جنوب أرمينيا بقوة غير كافية مما جعله يفاجأ بفولوجيسس عند Rhandeia فاضطر للتقهقر وفى غياب المساعدة الفورية من سوريا إضطر للانسحاب. واضطر للتسليم واخلى الرومان أرمينيا. وكان ملكها فى ذلك الوقت تيريداتس (٦٢-٦٣).

وجاء الوقت لحساب بايتوس فى روما، بينما كربولو تلقى ترقية لايستحقها بأن أصبح قائدا عاما على كل قوات جبهة الفرات. وبقوة جيش مدعم من أوربا وصل عدده الى ٥٠ ألف جندى أنهى غزوه لأرمينيا عام ٦٤م. إن التصميم الرومانى أدى الى عرض بالسلام تقدمه فولوجيسس كما أن تيريداتس وافق على أن يتقلد تاج أرمينيا من الامبراطور شخصيا. وفى عام ٦٥-٦٦ أبحر الملك الأرمنى الى روما حيث استقبله نيرون وتوجه

ملكا على أرمينيا. وقد ظلت الصداقة التى أقيمت فى ذلك الوقت بين روما والمملكتين الشرقيتين قائمة لمدة نصف قرن قادم رغم بعض الاضطرابات من آن لآخر.

وكان نيرون فى عام ٦٤ قد سعى الى تأمين حدود أرمينيا بتحويل مملكة بونتس الى ولاية ضمن جلاتيا. وبهذه الحدود صارت الحكومة الرومانية صاحبة سيطرة على البحر الأسود وفى نهاية أيام نيرون كان يأمل فى تحقيق حلم بومبى بالوصول بالحدود الرومانية الى بحر قزوين ولكن هذا المشروع لم يتحقق أبدا فى حياته ثم أهمل بعد وفاته. والملفت للنظر أنه بعد خمسين سنة من المواجهة العسكرية على الجبهة الأرمينية والبارثية بقيت الحدود كما هى تقريبا.

ولكن من عهد نيرون يلاحظ "ان الحامية الرومانية على طول جبهة الفرات كان تزداد عدداً على حساب أقسام الرين والدانوب.."(١)

الشرق فى عصر الأباطرة الصالحين:

أرمينيـــا و بارثيـــا:

ضم تراجان العديد من المناطق التى تقع على الحدود الشرقية للامبراطورية. وكانت إمارة عبر الاردن التى حكمها هيرود أجريبا الثانى

---

(١) M . Cary & H . H . Scullard , OP . Cit P . 370.

لمدة خمسين عاماً تقريبا هى وإمارة حمص Emesa قد ضمتا بالفعل الى سوريا على يد دومتيان(حوالى ٩٢). أما ترجان فقد قام بعمل أكثر أهمية فى عام ١٠٥م عندما إستولى على مملكة العرب النبطيين الذين كان موقعهم حاكما على طرق تجارة القوافل القادمة من الصحراء العربية الى البحر الأحمر والساحل الفلسطينى. وكان هذا الموقع قد جعل للمملكة أهمية تجارية كبيرة. تحولت المملكة النبطية الى ولاية باسم "الولاية العربية" ضمت الولاية الجديدة منطقة النقب وربما سيناء ولكن أقليم دمشق فى نهاية حدودها الشمالية ألحق بولاية سوريا. من هذه المدينة أنشئ طريق عليه تحصينات يمر عبر بصرى Bostra (التى كانت قد صارت مقر قيادة فرقة عسكرية رومانية) ثم البتراء الى أيله على الخليج العقبة.

وقرب نهاية حكم تراجان إجتاز هذا الامبراطور الحدود الرومانية على نهر الفرات وهى الحدود التى أقامها أغسطس ورفض تيرون تجاوزها. وكان هذا تغيرا جذريا فى السياسة الرومانية فى الشرق حدث بسبب استفزاز الملك البارثى خسرو Chosroes للامبراطور. فخلال حكم باكورس Pacorus الأخ الأكبر لخسرو قبل تراجان إلباس التاج الأرمينى الى الإبن الثانى لباركورس المدعو اكسيدارس Axidares، بإعتبار أن الابن الأكبر بارثاماسيرس Parthamasiris سوف يخلف أباه باكورس على عرش بارثيا. ولكن بعد وفاة الملك تخطى النبلاء البارثيين بارثاماسيرس واختاروا

عمه خسرو ليعتلى عرش بارثيا (١١٢) وحتى يأمن جانب ابن أخيه قام خسرو الحاكم البارثى الجديد بتحريض بارثاماسيرس للإستيلاء على أرمينيا لنفسه (١١٣). ولكن رغم إستيلاء بارثاماسيرس على أرمينيا الا أنه فشل في طرد اكسيدارس من المناطق النائية من المملكة. وفي نفس الوقت تعرض خسرو لهجوم مطالب بالعرش فى الأقاليم الشرقية من بارثيا. قبل تراجان التحدى وحرك كل قواته الموجودة فى الشرق عندئذ قدم بارثاماسيرس عرضا بأن يتولى حكم أرمينيا بنفس الشروط التى إعتلى تيريداتس على أساسها العرش أيام نيرون. لم يعط الامبراطور الرومانى رداً فورياً، ولكنه دعى الملك الأرمينى للقائه بالقرب من Erzerum. ورغم تاكيدات الملك بولائه للامبراطورية الرومانية. الا أن تراجان أعلن عزل بارثاماسيرس كما أعلن تحويل أرمينيا الى ولاية رومانية(١١٤).

كان ضم أرمينيا فيما يبدو الهدف الأصلى لتراجان. وكان دافعه تأمين الحدود الشرقية ضد القبائل القوقازية، بما فيها Alans، الذين كانوا يتحركون جنوبا، ولكن ضمه لأرمينيا فرض عليه ضم ميزوبوتاميا أيضا تأمينا لخط الحدود الجديد للامبراطورية فى الشرق وحماية لخطوط التجارة الرومانية عبر هذه المنطقة.

فاستأنف تراجان فى عام ١١٥م توغله داخل الأراضى البارثية. واستولى على Nisibis, Singara، واستولى على شمالى ميزوبوتاميا،

ولكن خسرو قد ترك حكام هذه المناطق بغير مساعدة، فاستسلموا فوراً أو بعد مقاومة ضعيفة وهكذا صارت ميزوبوتاميا ولاية رومانية. تقضى تراجان شتاء عام ١١٥-١١٦م فى اعداد أسطول لعبور الفرات الأوسط ثم تحركت القوات الرومانية فى ميديا التى أصبحت ولاية آشور الرومانية، عندئذ قسم جيشه الى قسمين سارا بحذاء النهرين ولكنهما اتحدا من جديد للقيام بهجوم على العاصمة الشتوية لخسرو كتسيفون Ctesiphon على نهر دجلة في مقابل سليوكيا. وعند إقتراب الرومان هرب الملك البارثى، وصار فى حكم الواقع أن بارثيا صارت إقليما رومانيا. بعد ذلك أخضع الامبراطور كل الأرض على النهرين، وأتم تقدمه بالابحار جنوبا فى دجلة الى الخليج. ولكن قبل أن تصبح مكاسبه مؤمنة. قامت الثورات ضده هنا وهناك فثارت سليوكيا ومدن أخرى. كما قامت ثورة خطيرة في يهودية ويبدو من المؤكد أنها ثورة أعد لها من قبل بالتعاون مع الملك البارثى، شكلت بغير شك عبئ إضافى على مؤخرة القوات الرومانية. وكان ذلك فى عام ١١٧م. وفى محاولة لمواجهة الخطر أرسل تراجان قواده ضد الثائرين. وفى هذه الظروف تم تتويج بارثاماسباتس Parthamaspates، إبن خسرو ملكا على بارثيا، إنكاراً للادعاءات الرومانية بسقوط بارثيا. وبمجرد انسحاب الرومان طرد خسرو ابنه واستعاد العرش. وبعد محاولة يائسة لاخضاع هاترا بالحصار إستعاد تراجان الفرات. ويذكر الفضل للقائد الموريتانى لوسيوس كويتوس

Lusius Quietus، الذى تولى أمر الانسحاب من ميزوبوتاميا قاد تراجان قواته الى أنطيوخ (١١٧)، ولكن المرض والموت لحقاه.

إن ما ضمه تراجان على الأقل إنهى المسألة الأرمينية التى شغلت روما منذ زمن لوكوللس وبومبى كما أنه حرم الملك البارثى من بلدين متطورين ومن ثم حرمه من دخلهما. ولكن الثمن الذى دفعه الإمبراطور مقابل ولاياته الجديدة كان باهظا. فمن أجل تكتيل القوات ضد أرمينيا وبارثيا إضطر الامبراطور الى إضعاف الجبهات الأخرى الى حد أدنى من حد الأمان. بالاضافة الى ذلك فإن الحدود الجديدة فى الشرق لم تتبع أى حد طبيعى يصلح للدفاع عنه وتطلب وجود حامية دائمه أكبر عدداً للدفاع عن اكثر من وادى الفرات.

لقد كان العمل الأول لهادريان هو الانسحاب من كل إنتصارات سلفه، حتى أنه سمح لخسرو بأن يستولى على أقاليمه المفقودة ونقل Parthamaspatesالى Osrhoene. وفى عام ١٢٩ أعاد هادريان الى خسرو إبنته، التى كان تراجان قد أسرها ولكنه لم يرد العرش الأرمينى. إن إتفاقيته التى أتبعت نفس خطوط معاهدة نيرون مع فولوجيسس كان لها نفس الاستمرار. صحيح أنها تعرضت لبعض التجاوزات مثلما حدث فى ١٤٢ ومرة أخرى فى ١٥٥. عندما غزا ملك بارثى جديد يدعى فولوجيسس الثالث Vologeses غزا أرمينيا لكى يقبض على أحد أقاربه،

ولكنه انسحب بقواته بعد تلقيه لخطاب تهديد. وفي ١٦١م عاد فولوجيسس الى الميدان وتصب أميرا يدعي باكورس ملكا على أرمينيا بعد أن حقق انتصارين على حاكمي كبادوكيا وسوريا، اللذين إندفعا لملاقاته بدون قوات كافية. واذا كان الملك البارثي قد رغب عند هذه المرحلة إقامة السلام مع ماركوس أوريليوس على أسس اتفاقية نيرون فربما إستطاع أن يفرض باكورس ملكا على أرمينيا. فقد كان الامبراطور الروماني غير راغب في رفع السلاح في وجهه، ولكنه رفض التسوية. ولذلك أرسل الامبراطور في عام ١٦٣-١٦٤ جيشا رومانيا كبيراً تحت القيادة الشخصية لشريك الامبراطور فيروس Verus. ولكنه في الحقيقة كان بقيادة أفيديوس كاسيوس و Statius Priscus. إجتاحا أرمينيا وميزوبوتاميا بنفس طريقة تراجان. في عام ١٦٣ أستولى برسكوس على Artaxata عاصمة أرمينيا وأحرقها وأتبعه كاسيوس بمعركة ناجحة عند دورا يوربوس على الفرات (ربما ١٦٥) ثم إنضم الجيشان وتقدما في إتجاة دجلة. وبالقوات المتحدة أستولى كاسيوس على كل من المدينتين التوأم سليوكيا وكتسيفون، ودمرهما (١٦٥-١٦٦). واكمل حملته بغارة على ميديا وكانت تمثل الشرق الآبعد بالنسبة للرومان (١٦٦) وتم إبرام السلام. وافق بمقتضاه فولوجيسس على ترك أرمينيا في أيدي أمير آخر يدعي سوهايموس Sohaemus، الذي كان يسكن في روما ووصل الى مرتبة السناتور. وفي نفس الوقت تخلى

عن المملكة الاقطاعية فى Osrhoene فى غرب ميزوبوتاميا التى أصبحت تحت الحمايه الرومانية ويدافع عنها الجنود المسرحين من Carrhae. وبهذا الاتفاق فإن ماركوس أوريليوس كان يتتبع عموما خط الفرات وعدل حدوده بقطع الثنية فى الوسط. وبعد ذلك، ولكن يحمى السلام عين أفيديوس كاسيوس قائدا أعلى على كل الشرق، بما فيها مصر. إن حروب القرن الثانى أثبتت أن البارثيين كان يمكن أن يحققوا بعض انتصارات مبهرة على الرومان، ولكنهم لم يكونوا أنداداً لهم فى الصراع الطويل. إن الانتصارات التى حققها الرومان ضد البارثيين كانت باهظة التكاليف ذلك لأن الجنود عادوا حاملين ميكروب أخطر الأوبئة فى التاريخ الرومانى.

تم ضم إمارة عبر الاردن على يد تراجان وحافظ عليها خلفاؤه. وأيام هاديان وأنطونيوس تم إنشاء طريق محصن جديد يتخطى حدود الليميس الخاصة بتراجان. وهناك على الحدود الشمالية لولاية كبادوكيا الذى تم توسيع مساحتها فان قبائل Alans تلقت خدمات عبر ممرات القوقاز بدون صعوبة كبيرة على أيدى الولاة الرومان.

يهودية :

إن قرار هادريان بالانسحاب من أرمينيا وميزوبوتاميا تأثر بغير شك بالثورات التى انفجرت فى مؤخرة جيش تراجان عام ١١٥. هذه الثورات كانت نتيجة الخطة المدبرة التى عاون فيها يهود الشتات يهود

فلسطين. ومن الواضح أن هذه الثورة فاجئت تراجان ولذلك ليس من الممكن تحديد مدى الحزن الذى سببه اليهود لامبراطورهم. وبالنسبة ليهود الأسكندرية فان الامبراطور كان ميالا لتحريض الأغريق الوثنيين ضدهم. ومن الممكن أن ضم مملكة البنط كان له تأثير سلبى فى تحويل جزء من التجارة العربية من فلسطين الى غزة أو دمشق، ولكن السبب الرئيسى للثورة مرتبط بغير شك بالامال المسيحية التى بقيت حية فى المدارس Rabbinical schools بعد حرب اليهود الأولى. كان الانسحاب الجزئى للحاميات الرومانية من فلسطين من أجل الحرب ضد البارثيين هو الفرصة المواتية للثورة ولايستبعد أن خسرو الذى من المؤكد أنه استخدم المواطنين اليهود فى بابل كعملاء للتحريض على الثورة فى ارض الرافدين، يمكن أن يكون قد وظفهم لكى يربطوا بينه والثورة العامة لليهود فى خلف تراجان. تم إختيار توقيت جيد للثورة لدرجة أن الثوار أصبح لهم اليد العليا فى قبرص وقورنية كما شغلت باقى القوات الرومانية فى فلسطين ومصر، وأينما تحققت للثوار الأغلبية فإنهم قاموا بمذابح ضد الوثنيين. ولكن نهاية الحرب البارثية فى عام ١١٦ جعلت تراجان حرا لكى يواجه الثوار اليهود. وبينما كان Lusius Quietus قد إستعاد ميزوبوتاميا وهدأ فلسطين فإن ماركيوس تربو Q.Marcius Turbo طارد الثورة فى مصر وقورنية وحرض السكان الاغريق على القيام بمذابح ضدهم. ان كل أعمال

التمرد خارج فلسطين قد اخمدت حتى أن اليهود فى الشتات توقفوا عن إحداث شغب ذات تأثير بالنسبة للحكومة الرومانية من ذلك الوقت.

أما عن الحرب فى فلسطين نفسها فإننا لانعرف شيئا عن الفترة الأخيرة من عصر تراجان ولكن أعداداً من اليهود استمروا يحاولون المقاومة أيام هادريان، وكان ذلك نتيجة استفزاز مباشر من جانب الرومان. ففى الفترة المبكرة من حكمه كان هذا الأمبراطور يدعم بقوة حقوق اليهود فى الاسكندرية، ولكن خلال جولته الثانية فى الولايات الشرقية اعتقد بصلاحية العنف لحل المشكلة اليهودية وهى سياسة جربها الملك السليوقى أنطيوخس الرابع قبل ثلاثة قرون وكانت لها نتائج وخيمة. أصدر هادريان فى عام ١٣١ قراراً بتحريم الختان. كما أنشأ مستعمرة رومانية Aelia Capitolina فى أورشليم، وهو عمل شمل إقامة معبد لجوبتر الكابتولينى على موقع الهيكل. ثار اليهود فى فلسطين للتعدى على الهيكل وقاموا تحت قياده Bar Cosibar (Cochbar) بأعمال انتحارية بهدف إفناء الرومان من خلال حرب العصابات (١٣١-١٣٤). ولكن القوات الرومانية المدعمة بفصائل من المناطق الأخرى، استعادت فلسطين بنفس الطريقة التى اتبعها فسبسيان. فقد قام القائد الرومانى يوليوس سيفروس C.Iulius Severus الذى إستدعى من بريطانيا لتولى القيادة، بعزل جيوب المقاومة ومحاصرتها حتى تنتهى مقاومتها. هدئ كل الأقليم فى العام التالى. والحقيقة أن الحرب

اليهودية الثانية كانت فى واقعها صيد للرجال أفنى فيها الرومان عددا كبيرا من سكان فلسطين. وإن كان التقرير الذى يذكر بأنهم دمروا ٥٠ قلعة و٩٨٥ قرية، و٥٨٠ ألف رجلا (بالاضافه لمن ماتوا بالمجاعة أو بالوباء) يعتبر مبالغة من صاحبه (١). إن إعادة تعمير فلسطين بالسكان التى خططها هادريان بدأت بمستعمرة أيلة كابتولينا واستمرت بتوطين سكان وثنيين من البلاد أو الاراضى المجاورة. وقد منع اليهود الباقيين من زيارة أورشليم الا مرة واحدة فى السنة حتى اسم يهودية غير الى سوريا الفلسطينية وعسكرت فيها فرقتان رومانيتان. ولكن على عهد أنطونينوس بيوس بدأت موجة الاضطهاد تخف وتم الاعتراف بالقانون اليهودى والذين ولدوا يهودا كان لايضايقون فى ممارسة ديانتهم، وسمح للهياكل والمدارس بان تحتفظ بتقاليدها الوطنية حية. وأخيرا صار هناك احترام متبادل Madus Vivendi يحفظ لكل فريق حق الموافقة والاختلاف فى أفكارهم. على الرغم من بقاء اليهود بدون دولة أو وطن(٢).

---

(١) ارجو ملاحظة أن عدد سكان مصر كلها كان سبعة ملايين نسمة تقريبا ومن ثم لايمكن تصور أن فئة واحدة (اليهود) من سكان فلسطين يمكن أن يبلغ ضحاياها فى حرب واحدة كل الرقم المذكور

(٢) M . Cφry & H . H . Scullard , op . cit . Basin .

٢- الحياة الإجتماعية والاقتصادية فى الشرق خلال عصر الامبراطورية الرومانية

عندما سقطت الدول الهلينستية فى أيدى الرومان لم يستحدث الرومان نظما خاصة لحكمها فبقيت الولايات ينظر اليها كضياع للشعب الروماني. وكان من العسير على مواطنى هذه الولايات أن يحصلوا على الحقوق الرومانية. وإذا كانت مدن هذه الولايات قد نالت عناية من جانب الرومان فقد كان هذا من منطلق السعى الى ترقيتها الى مستوى أعلى مما كانت فيه لا منحها حقوق المدينة الرومانية.

ونظرة الى الأساليب التى إتبعها أغسطس فى حكم الشرق توضح الحقائق السابقة فنظم الأدارة بقيت على ماهى عليه مع إدخال بعض التعديلات. والولايات بقيت تحت حكم رجال السناتو باشراف من الامبراطور أوبتكليف منه والجديد هنا أن الولايات لم تعد تحت حكم طبقة السناتو وإنما رجال السناتو كافراد. وكان هذا رأس تعديلات حققت عدالة اكثر فإنتهى عصر المرابين الرومان وإستقر نظام الضرائب المباشرة تدريجيا. وكان إستقرار هذا النظام بداية لانهيار جمعيات جباة الضرائب من الرومان الذين إستغلوا الولايات استغلالا بشعا على العهد الجمهورى.

لم تخفض الضرائب بل زيد بعضها ولكن تحسن أسلوب جبايتها

ادى الى تضاؤل القلاقل فى الولايات. وكان وجود المجالس المحلية يعطى السكان أملا فى رفع شكاياتهم فى الولايات الى مسامع الامبراطور فى روما باستثناء المدن المصرية.

مدن الشرق المتأغرقة:

تمتعت المدن فى الولايات الشرقية بحرية تسيير شئونها المحلية وربما وصلت هذه الحرية الى درجة أعلى مما كانت عليه فى العصر الهلينستى. ولقد راعى أغسطس الظروف الأجتماعية فى تلك الولايات فأبقى على أوضاعها دون تغيير. وقد تركت روما مقاليد الحكم فى المدن لمواطنيها الأغنياء ينتخبون سنويا كموظفين سامين بالاضافة الى وجود مجلس (بولى) وقد سعدت هذه المدن بهذا المدى من الحرية الذى أتاحته السلطات الرومانية لها. وبالنسبة لروما فإن كل ما كان يهمها هو أن يسود الهدوء والنظام هذه المدن.

إن الاضافة الحقيقية بالنسبة لسياسة أغسطس تجاه ولايات الشرق كانت تشجيعه لتحضير المناطق الريفية والبرية. فنشأت دويلات ومدن جديدة على أنقاض قرى ومناطق خاضعة للمعابد؛ وصارت السمة المميزة لولايات الشرق فى العصر الرومانى هى سيادة نظام المدن المتمتعة بالحكم الذاتى فى إطار إشراف حكام الولايات؛ هذا بالطبع باستثناء مصر التى

خصتها روما بسياسة استعمارية ظالمة تقوم على الحكم المركزى المباشر والسعى الى نهبها نهباً منظماً. ترتب على إنتهاج سياسة تشجيع إنشاء المدن والدويلات تغيير فى شكل الولايات بعامة بما فيها الولايات الشرقية فى آسيا الصغرى وسوريا- اذ أن هذا الاتجاه فى المنطقتين كان قد بدأ قبل عصر الرومان بفترة طويلة.

وقد حدت الامبراطورية الرومانية من تدخلها فى الشئون الاقتصادية للولايات حيث إكتفت بجباية الضرائب أو الحصول على رسوم من أجل القيام بالأنشطة المختلفة عوضا عن نظام الاحتكار الذى مارسه عدد من ملوك العصر الهلينستى فى ممالكهم وفى مقدمتهم البطالمة فى مصر. كانت أهم الأنشطة الإقتصادية فى المدن الشرقية هى التجارة وأهمية تجارة الولايات الشرقية تعود أصلا إلى أن هذه الولايات كانت تمثل نهاية خطوط التجارة المعروفة بريا وبحريا مع الشرق البعيد. وكانت موانى مصر وسوريا وآسيا الصغرى تسيطر على نهايات خطوط هذه التجارة التى كانت فى الغالب تجارة ترف تحمل العطور والتوابل والأحجار الكريمة والحرير وغيرها، وكانت الولايات تقوم على حماية هذه التجارة أثناء مرورها فى أراضيها من موانى الامبراطورية الرومانية على البحر المتوسط وبحر إيجة الى موانى الخليج الفارسى. وقد برز فى مهمة نقل وحراسة بضائع التجارة عرب تدمر وعرب النبط وقد أدى قيامهم بهذه المهمة الى ثرائهم ثراء هائلا. بل لعل هذا الثراء كان سببا فى تزايد أطماع الامبراطورية الرومانية فى دخولهم

وعجل بنقلهم من مرحلة الدولة العميلة لروما الى مرحلة الضم المباشر. كما انتعشت التجارة البحرية بين مصر والهند بعد نجاح الرومان في الاستفادة من الرياح الموسمية. وقد نمت هذه التجارة نموا مطردا حتى غدت تبادلا منظما أهم سلعه القطن والحرير وكانت السلعتان تصنعان في الاسكندرية ويصدر في مقابلهما الزجاج والأدوات المعدنية وربما التيل.

وتعود أهمية التجارة أيضا الى دور الولايات الشرقية في التجارة الداخلية بين أجزاء الامبراطورية الرومانية؛ فالولايات الشرقية كانت ولايات متحضرة صاحبة صناعات متقدمة وزراعات متميزة ومن ثم مثلت منتجاتها جانبا هاما من حجم التجارة بين أجزاء الامبراطورية الرومانية المختلفة. ويكفي أن نذكر كميات القمح التي كانت تصدر من مصر الى روما والكروم والزيتون والأخشاب والمعادن من آسيا الصغرى وسوريا. وكان حجم التجارة الداخلية كبيرا حيث أنه تركز على بضائع الاستخدام اليومي. وقد أدى هذا الى ازدهار أو إستمرار ازدهار مراكز الصناعة في الولايات الرومانية في الشرق. فالاسكندرية التي كانت مركزا رائدا للصناعة منذ العصر الهلينستي استمرت في اسهامها وأنتجت كثيرا من السلع والبضائع للسوق المصرية وللتصدير. لقد كانت الاسكندرية تنتج للعالم كله الورق من البردي وبعض أصناف الكتان والعطور فضلا عن بعض السلع الزجاجية، خاصة الخرز ومنتجات العاج وأنواعا من الحلي والجواهر وأواني فضية.

كما تدمت سوريا الزجاج المنفوخ وتقدمت بها صناعة الحلي

والكتان حتى صارت تنافس الاسكندرية فيهما. وإزدهرت صناعات الصوف مرة أخرى في آسيا الصغرى وتعدى تصدير السجاد والأبسطه الى تصدير أنواع من المنسوجات المصبوغة ولم يكن ينافسها فى هذا سوى سوريا.

وقد ساعد على الاستمرار والتوسع أن ولايات الشرق (مصر وبلاد اليونان وآسيا الصغرى وسوريا) عرفت نظاما متكاملا من الطرق البرية والنهرية. فإستمر تبادل السلع والبضائع على مدى الأجيال داخل نطاق هذه البلاد بعد أن أصبحت ولايات رومانية.

أدت هذه السياسة الأقتصادية الى إنتعاش ملحوظ فى الشرق . نرى آثار ذلك فيما خلفت هذه المدن الشرقية من آثار ونقوش فى آسيا الصغرى وسوريا فضلا عما حملته أوراق البردى فى مصر من معلومات. تؤكد بوضوح التقدم الاقتصادى الذى حققه الشرق.

ضمت الامبراطورية فى القرن الثانى عدداً هائلا من المدن المستقلة لكل منها حكومة وحياة خاصة وتواجه ظروفها الأقتصادية والاجتماعية. وتخضع هذه المدن كلها لحكومة مركزية تدير الأعمال السيادية من علاقات خارجية وشئون حربية ومالية ويرأس هذه الحكومة المركزية الامبراطورالذى ينيب عنه مندوبين فى الولايات ويقوم الى جانب الامبراطور مجلس السناتو الذى كان قد تقلص دوره حتى صار هامشيا. والسلطة المركزية كانت تحرص على عدم التدخل الى حد كبير فى ممارسة المدن لشئونها

المحلية. وأقتصر دورها هناك على جباية الضرائب وإدارة أملاك الامبراطور والدولة ونوع من القضاء.

إننا نعرف الكثير عن أحوال هذه المدن فى الولايات الشرقية من خلال ما تركته من أطلال فى آسيا الصغرى وسوريا ومصر. نعرف الكثير عن نشاطها الاقتصادى وموارد ثروتها وعقائدها الدينية وملاعبها ونشاطها الفكرى. وتجدر الاشارة الى أن الولايات الشرقية ضمت مدنا نافست روما فى ثرائها كالأسكندرية فى مصر وأنطاكية فى سوريا وإفسوس فى آسيا الصغرى. وهناك مئات من المدن الكبيرة الجميلة أقل منها حجما وثراء كانت تملأ الولايات الشرقية. وتأتى فى مقدمة هذه المدن بلدان التجارة والصناعة وأغلبها كانت مراكز لتجارة واسعة مثل بالميرا والبتراء وبصرى وهى مرافئ التجارة عبر الصحراء وكانت أجمل مدن الأمبراطورية وأغناها. ويلى هذه المدن مراكز أقاليم زراعيه وكانت مدنا كبيرة ذات مبانى حسنة وأغلبها شيد على أنهار وكانت ملتقى طرقا تجارية.

ورغم الأختلاف فى المساحة وعدد السكان والثروة والأهمية فإن مدن الامبراطورية اشتركت فى حرصها على توفير اكبر قدر ممكن من الحياة الرغدة لسكانها. كما أن أغلب مدن الشرق الهلينستى كانت تتمتع بنظم للتخلص من مياة المجارى وتصل المياة الى منازلها حتى الطبقات العليا كما تخترقها طرق مرصوفة وبها ميادين عامة وجوانب شوارعها مسقوفة لتحمى السيارة من الشمس والمطر. وبها أسواق جيدة وحمامات عامة فضلا

عن المباني العامة مثل الجمنازيا وبالايسترا (حلبات المصارعة). فضلا عن المباني العامة مثل مبنى Curia ودواوين الموظفين وأبهاء الاجتماعات الحكومية والمحاكم وسجون وغير ذلك. بالاضافة الى مباني أقيمت من أجل الترفيه والرياضة والتعليم والمسارح والملاهي والملاعب والمدرجات ودور الكتب والأديون. وكانت المنازل في الاغلب الأعم فسيحة الأرجاء رحبة ومجهزة بوسائل الترفية ومزودة بالحمامات الخاصة والسلالم الحجرية. وقد قام ببناء الأغلب الأعم من هذه المنشآت أفراد الطبقات العليا من السكان. أما نفقات المدينة فكانت تتم من حصيلة الضرائب المتنوعة التي يخضع لها السكان. ورغم أن بعض المدن كان دخلها عظيما فإن نفقاتها كانت كبيرة جدا. ورغم أن هذه المدن اعتمدت في وظائفها الكبرى المدنية والدينية على مبدأ التطوع أو التكليف الإلزامي. الا أنها كانت تدفع مرتبات منتظمه لصغار العاملين، فضلا عن عبئ صيانة المباني العامة.

وكان ضمان التأكد من توفير المواد التموينية باستمرار وذلك بتأمين احتياجات المدينة من المواد الغذائية بند يكلف ميزانية المدينة الكثير حتى أن أخصب الولايات كانت تصادف من وقت لآخر نقص في الأنتاج وكان عدم الاسراع بتوفير المواد النادرة يعرض أمن المدينة للخطر.

كانت العناية بالتعليم الاغريقي والتدريب الرياضي إحدى المهام التي حرصت عليها مدن الشرق المتهيلنة. ونحن نعلم أن المتسبين الى معاهد الجمنازيا كانوا طبقة خاصة من المجتمع وكان إنتسابهم اليها يمنحهم بعض

الأمتيازات ومن ثم كان الوفاء بمتطلبات هذا التعليم باباً من أبواب الانفاق في المدن في الشرق تحت حكم الرومان.

وهناك المعابد وما يرصد لصيانتها من أموال فضلا عن تكاليف تقديم الاضحيات للألهة والأبطال والقيام بالولائم والاحتفالات على شرف مختلف الآلهة. ولذلك كان لبعض المدن ادارة مالية خاصة لشئون العبادة.

وقد تكلف المسئولون عن التموين أو التعليم أو المعابد الكثير من نفقات وظائفهم وهذا لم يعف المدينة في أحوال كثيرة من تحمل نفقات بعض المناسبات.

وكان ثراة المدن يتنافسون على شغل هذه المناصب خلال القرن الأول الميلادي بل كانوا يدفعون مبالغ من المال نظير تكليفهم بهذا الشرف وقد استمر الحال هكذا خلال النصف الاول من القرن الثاني. وكان المواطنون لايكتفون بمساهماتهم في الوظائف الطوعية. وإنما كانوا يقدمون بسخاء يد العون لتنفيذ كل ماتطلبه مدنهم. وينسب الى هؤلاء المواطنين إقامة أغلب المباني العامة في مدن الشرق.

ولدينا أسماء المئات من اهالي بلاد اليونان وأسيا الصغرى قدموا مثل هذه المساهمات. وقد حفظت لنا الآثار اسم احد مواطني لوكيا في آسيا الصغرى ويدعى أوبراموآس Opramoas انفق الملايين لسد إحتياجات مدينة رادياپولس Rhadiapolis بل واحتياجات مدن لوكية

أخرى. وقد ظهر على شاكلته كثيرون فى جميع مدن الشرق.

وهكذا نجد أن التجارة فى الامبراطورية الرومانية خلال القرنين الأول والثانى كانت المصدر الأساسى للثراء. وقد إتجه التجار الى إستثمار الفائض من أموالهم فى الصناعة والأراضى وإقراض المال. ومن ثم فليس غريبا أن نجد أغنى مدن الامبراطورية هى المدن التجارية سواء وقعت على البحر أو على الطرق البرية التجارية. وكانت الصناعة من الموارد الأخرى للثروة. وقد إحتفظ الشرق بتقدمه الصناعى بالنسبة لباقى الامبراطورية وكانت آسيا الصغرى وفينيقيا تتميزان بانتاج الملابس الملونة الراقية والبسط وكانت أسيا الصغرى المركز الرئيسى لصنع الملابس الصوفية، كما كانت سوريا ومصر مركزين لصناعة للملابس التيلية، وكان أفضل أنواع البضائع الجلدية من انتاج الشرق الأدنى.

فإشتهرت سوريا وبابل وآسيا الصغرى ومصر بتلك المنتجات وكانت مصر تحتكر صناعة الورق من البردى كما عرف الرق الذى إشتهرت به أسيا الصغرى وسوريا.

وكان لايزال للزجاج السورى والمصرى قيمة عالية فى جميع أنحاء العالم الرومانى وكانت الجواهر البديعة ذات أصل شرقى.

اعتمدت كل المصانع الكبيرة على عمالة من العبيد وإن لم تكن مقصورة عليهم وحدهم. وفى مصر كان العمال من الأحرار الوطنيين وقلما قابلنا عمالا من العبيد فى مصر. كان العمال فى كل ولايات الشرق خلال

الامبراطورية يواجهون ظروفا صعبة. فكانوا فى مصر يهربون الى المعابد التى كان لها حق حماية اللاجئين اليها. أما فى آسيا الصغرى فنصادف ظاهرة فريدة وهى قيام العمال باضراب عن العمل رغبة من تحسين ظروفه أو اعتراضا على واقع يرفضونه. ومن أمثلة هذه الاضرابات ما حدث فى بيثينيا وذكره ديو. وماذكره نفس المؤلف عن مشاكل قام بها عمال مصانع الكتان فى طرسوس.

لقد كانت مظاهر الرخاء فى المدن فى الشرق خلال عصر الامبراطورية يعطى ايحاء بالثراء الشديد. ولكن يجب أن نعلم أن هذا الثراء كان مقصورا على شريحة رقيقة من السكان خرجت من بين طبقة خلفاء المتأغرقين الذين كانوا يمثلون عصب هذه المدن ويملكون الأعمال الوسطى من تجارة وإدارة. وكان العلم والثقافة قصراً على قسمى هذه الطبقة. أما ماعدا ذلك من سكان فكانوا يعيشون فى فقر شديد ساعد عليه الاعتماد على العبيد فى الصناعة فأدى هذا الى إنخفاض أجور الاحرار من الفقراء الى حد الكفاف. والطبقة العليا من سكان المدن فى الشرق إستمرت تتحدث الاغريقية وتتعلم بها وتستخدمها فى تعاملاتها.

الولايات الشرقية بعيدا عن المدن:

وإذا تركنا المدن فى الشرق فإننا نواجه الكتلة الضخمة من السكان الذين يعيشون فى القرى. وهؤلاء لم يتأثروا الا بقدر ضئيل بحياة المدن

المنتشرة فى أراضيهم ولم يندمجوا فى حياتها. فظل لكل من الريف والمدن عالمه المستقل الى حد كبير.

فى آسيا الصغرى ألحقت الاراضى القريبة من المدن بها واعتبر ما بها من قرى وسكان قرويين جيرانا يعملون فى الأرض لصالح المدينة دون أن يكون لهم حقوق المواطنة فيها. بالإضافة الى ماكان يملكه سكان المدن -خاصة القريبة من البحر-من مزارع صغيرة أو كبيرة يقوم على العمل فيها المالك بنفسه أو بعبيده.

أما المساحات التى كانت غير تابعة للمدن ككل أو لسكانها كأفراد فقد كانت ملكا للامبراطور وأسرته أو لأفراد من العائلات السيناتورية الغنية أو للمعابد التى أقامها السكان الأصليون لآلهتهم هنا وهناك، كانت الحياة بدائية فى الأراضى التى تتبع التصنيف الأخير. فالفلاحون زرعوا الأرض كمستأجرين أرقاء للأباطرة أو مستأجرين أحرار لأعضاء مجلس الشيوخ أو كعبيد مقدسين للمعابد. ولقد اتسعت بعض هذه القرى وزادت أهميتها الاقتصادية بل وحقق بعض الفلاحين درجة من الغنى. ومع ذلك فقد بقيت القرى مجموعات من الأكواخ يعيش فيها الفلاحون ودور للحكومة وبيوت للعمال حتى نهاية عصر الامبراطورية الرومانية.

أما الرعاة الذين عاشوا على الجبال والهضاب فى أرمينيا وكبادوكيا فقد كانت حياتهم طليقة ينهبون ويسلبون ما يستطيعون ويؤدون الجزية لكل من لديه السلطة والقوة القادرة على إخضاعهم.

وليس بامكاننا أن نحدد على وجه اليقين الأراضى التى كانت ملحقة بالمدن وتلك التي لم تخضع لها ولكن المؤكد أن أودية الأنهار مثل هرموس وماندر كانت أراضي للمدن وكذلك الأراضى القريبة من البحر. وماعدا ذلك قلت فيه المدن مثل بعض أجزاء كيليكيا وكبادوكيا وأرمينيا وكوماجين.

أما عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في سوريا فمن الصعب النظر فيها باعتبارها موضوعا واحداً. فالأراضي الأراميه الواقعة على تخوم أسيا الصغرى لها طبيعة تختلف عن طبيعة السواحل الفينيقية والفلسطينية والأراضى المجاورة للصحراء بما فيها من واحات واسعة خصوصا واحات دمشق وتدمر. وهناك أيضا أراضي عبر الأردن المعروفة بالمدن العشر (ديكابولس) أما بلاد العرب النبطيين Arabia Petraea فكانت وحدة منفردة بذاتها.

والأراضى السورية من كل النوعيات أرض معمورة مثل الوجود الروماني فيها فترة قصيرة من حياة امتدت ألاف السنين قبل وبعد الرومان. والرومان لم يقوموا ولم يكن فى وسعهم أن يقوموا بتغييرات جذرية تؤثر في حياة هذه المناطق وسكانها. ومن هذا صار ضروريا أن نشير الى ماكان سائدا فى المناطق السورية قبل العصر الروماني حتى يمكننا التعرف على هذه الحياة خلال ذلك العصر.

في الشمال قامت أربع مدن كبيرة أنشئت جميعها في العصر السليوقي وهي أنطيوخ (أنطاكية) وسليوقية وأباميا واللاذقية تعرف بالمدن السورية الأربعة (تترابولس).

كانت أنطاكية عاصمة لملوك سوريا خلال العصر الهلينستي وبقيت عاصمة للبلاد خلال العصر الروماني وهي من أكبر مدن الامبراطورية، وأراضيها الزراعية واسعة نعرف منها عشرة آلاف إقطاعية كانت ملكا لمجلس المدينة يؤجرها للمواطنين.

ولكن القرن الرابع الميلادي شهد تركز ملكية أغلب أراضي المدن في أيدي عدد قليل من الأثرياء. وقد أقام هؤلاء الثراة دوراً ريفية رائعة ذات مساحات متسعة وتدل أطلالها على متانة بنائها وتضم إصطبلات وحظائر للماشية وحجرات للعبيد في الطابق الأرضي وتضم مخادع للملاك الأثرياء في الطابق العلوي. وفي ذلك القرن كان ثراة المدينة عشر السكان بينما العشر الثاني يتألف من الرعاع والبقية كانت على مايبدو من الملاك الصغار والتجار. أما المزارع فكان يعمل فيها صغار المستأجرين وأما مزارع الكروم فكان يعمل بها عمال زراعيون. ويبدو من كتابات القديس يوحنا فم الذهب أن هؤلاء الفلاحين كانوا أحراراً يعيشون في فقر مدقع ولكنهم لم يكونوا أقنانا للأراضي. وكان الفلاحون الساخطون على إستعداد دائم للتمرد. ويبدو أن هؤلاء الفلاحين كانوا يعيشون في قرى متناثرة في الأراضي الزراعية التابعة للمدينة والمؤكد أنهم من السكان الأصليين الذين

أقاموا هناك على مدى العصور ولم يحصلوا على حقوق المواطنة فى المدينة. وقد استغل الرومان القرى كمصادر لامداد الفرق المساندة فى الجيش الرومانى بالجنود.

ويمكننا أن نقول بإطمئنان أن المدن الأخرى فى شمال سوريا وأراضيها الزراعية عاشت نفس الظروف. والى جانب المدن وقراها قامت قرى حول معابد الآلهة وكانت هذه المعابد تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتى مثل معبد بيتوكاكي Bautocace الذى إمتلك قرية كبيرة وكان ملحقا بمدينة أباميا. كان المعبد يملك ويحصل على الدخل ويتمتع بإعفاء كامل من الأعباء. والمسئولون عن المعبد كانوا يشرفون على احتياجاته ويمثلونه فى أية علاقات مع المدينة. وهناك معابد أخرى تمتعت بمزايا مشابهة كمعبد جوبتر فى دوليخى Dolichenus وهى قرية فى شمال سوريا. وكمعبد بعلبك وهناك أيضا مناطق ملكتها معابد تمتعت باستقلال أكبر.

وقد كون الإيتوريون (١) فى أقليمى أبيلا وخالكيس دويلتين خاضعتين للرومان فى لبنان. بقيت الأولى حتى عهد كلوديوس ودامت

---

(١) هم غرب من قبل التاريخ إحتلوا لبنان وهرمون و Massyas حيث قامت عاصمتهم خالكيس وهليوبولس مركزهم الدينى. إمتد نفوذهم فى القرن الأول ق.م الى دمشق. وإعترف بومبى بملكهم وكان يدعى بطليوس ولكن إبنه Lysunias قتل على يد أنطونيوس عام ٢٥ ق.م وضمت مملكته الى أملاك كليوباترة خضعت هذه البلاد لهيرود وخلفائه حتى أواخر القرن الأول الميلاد. وكان الإيتوريون بدائيين يعيشون فى قرى ويشتهرون كرماة سهام وقد جند منهم عدد من الفصائل فى الجيش الرومانى.

الثانية حتى عهد تراجان. والمدن فى هذين الأقليمين لم تكن اكثر من عواصم قروية لمناطق زراعية تحيا حياتها القديمة. أما المدن التجارية الكبرى كدمشق وحمص وتدمر فلم تصبح قط مدنا يونانية بالمعنى المتعارف عليه كما كانت أنطاكية مثلا، ولكنها ظلت كما كانت موطنا لملوك كهان قامت حكوماتهم كما كانت الحال منذ القدم على عمق الشعور الدينى لدى الفلاحين فى الشرق نحو ممثلى الإله على أرضه وهم الكهان.

حققت تدمر إمتداداً لسلطانها شمل إقليما كبيرا تزاحمت فيه القرى كما شمل بعض القبائل البدوية. وقد ورد ذكر هذه القرى التى لم تكن سوى ضياع يملكها كبار التجار فى تدمر فى (مكوس) تدمر التى ذاع صيتها. ولقد جاء من هذه القرى والقبائل الرماة الممتازون وراكبو الابل السريعة من بين أجناد تدمر وجنود الجيش الرومانى وقد نمت بعض الأماكن كدورا يوروبس الواقعة على حدود منطقة تدمر والتى تحكمت فى الطرق الحربية والتجارية المؤدية الى بارثيا فإصبحت مدنا ناجحة تحمى كل منها قلعة حربية. وهذه الصورة من المحتمل أنها تنطبق على دمشق، فكانت أراضيها تتاخم صيدا. أما حمص -كما هو معروف- فقد ظل يحكمها ملوك كهان من الطبقة الأرستقراطية الأصلية فى المدينة طوال حكم الرومان. وقد إندمج هؤلاء النبلاء -كما حدث فى تدمر ودمشق- فترة قصيرة فى سلك الأرستقراطية الامبراطورية وأظهروا نشاطاً ملحوظا فى حمل أعباء الادارة فى الامبراطورية، وذلك قبل أن يرتقى إثنان

ذوي أصول سورية عرش الامبراطورية.

أما المدن الفينيقية فأخبارها قليلة خلال العصر الامبراطورى فيما عدا مانعرفه عنها فى ميادين التجارة والصناعة.

أما فلسطين فيجب التمييزبين باقى البلاد وتلك المناطق المتهيلنة على الساحل كغزة وانثيدون وعسقلان ويافا وبتوليمايس وعكا. وكذلك المدن التى أقامها هيرود في الداخل وعلى الساحل، ولاسيما قيصرية على الساحل وطبرية وسباستي (السامرة) ونيابولس الرومانية (نابلس) التى شيدت في عصر متأخر. ويبدو أن المدن الفلسطينية المتهيلنة لم تكن بينها وبين مدن سوريا وفينيقية إختلاف كبير. كما كان لكل مدينة مناطق زراعية ملحقة بها يقيم فيها السكان الأصليون الذين كانوا يعتمدون الى حد كبير على عمل أيديهم كمورد رزق لهم.

ولكن الجزء الأكبر من يهودية والجليل والسامرة بقى كما كان قرى يسكنها الفلاحون. إن ماسمى مدنا فى يهودية ولا نستثنى من ذلك أورشليم كانت مراكز دينية وادارية فحسب قامت بدورها كعواصم لمناطق ريفية وتشبه مثيلاتها فى مصر. والرجل كان يعتبر غنيا فى يهودية إذا ملك عقارا أو قطعانا كثيرة من الضان والماعز أو عمل فى جباية الضرائب. والرجل العادى هو الفلاح الذى يكدح فى الحقل ويقال الصانع فى قرية صغيرة للنجار والحداد والاسكاف وغيرهم.

وفى قرى يهودية والسامرة والجليل عاشت طبقة من السكان الأصليين من كبار الملاك (مثلما كان الحال على عهد الميكابيين) وكان قادة الحياة الدينية والحكام أيضا رأسماليون وتجار يحفظون أموالهم فى معبد أورشليم. وأكثر من هؤلاء ثروة وغنى موظفو الملوك والحكام الرباعيين ثم الملوك أنفسهم وأسرهم والحكام الرباعيون أنفسهم وأسرهم. وأخيرا تأتى ضياع الامبراطور الرومانى والأسرة الامبراطورية وعدد من المستعمرات الحربية الرومانية أقامها فسبسيان بعد الحرب اليهودية. هذه الصورة للحياة فى فلسطين بقيت دون تغيير يذكر فيما عدا إزدياد عدد الملاك من غير اليهود.

وكما ذكرنا كان للمناطق الخصبة فيما وراء نهر الاردن وفى حوران الحديثة والأراضى المجاورة الصحراوية التى تسكنها قبائل من العرب صورتها الخاصة. فالمنطقة الخصبة قامت فيها مدن يونانية منذ أيام الأسكندر وخلفاؤه. وكل مدينة صارت عاصمة لاقليم زراعى. وكان سكانها ملاك الأراضى. أكثر هذه المدن قام على انقاض قرى قديمة كان يقطنها السكان الأصليون وقد خضعت للملوك من سكانها الأصليين متأغرقين فى فترات إضمحلال الدولة السليوقية. بذلت الامبراطورية الرومانية جهودا متوالية لاستعمار المنطقة برجال يشتغلون بالزراعة وإخضاع السكان الأصليين

وأغلبهم من العرب. وقد إزدهرت حياة هذه المنطقة بعد أن ساد السلام الروماني وضمت مملكة النبطيين وحلت الطرق الرومانية الجديدة محل طرق القوافل القديمة وحرستها حامية رومانية. وهكذا أصبحت المدن القديمة مراكز تجارية رائجة ولازالت أطلال بصرى وجرش وفيلادلفيا تشهد بازدهارها.

وإستقر الناس وزرعوا وإستبدل العرب بخيامهم بيوتا حجرية وبمراعيهم حقولا تنبت الحب الوفير. وأما القبائل فقد بقى إغلبها مرتحلا وإن أقلعوا عن الاغارة والنهب. وضمت قرى عديدة خليطا من السكان من سوريين وعرب عملوا فى التجارة مع البدو وغرسوا الزيتون والكروم وزرعوا الحبوب وصنعوا الأقمشة الصوفية.

وقد قاد هذا التطور الجنود العرب المسرحين من الخدمة فى الجيش الروماني. والذين شهدوا أنطاراً نائية ثم عادوا الى أوطانهم يحملون خبرات جديدة وقد جاء معهم كثيرون من الأجانب الى أستيطان القرى العربية.

وهكذا يمكن أن نقول أن عصر الامبراطورية الرومانية شهدت فيه البلاد السورية حياة متنوعة النشاط نظرا لتنوع الظروف البيئية. ولكن بقيت سوريا تحت حكم الرومان كما كانت قبل دخولهم، فلم يتقدم بناء المدن تقدما يسترعى الأنتباه. ولم تتأثر البلاد بالثقافة اليونانية بعيدا عن المدن

المتأغرقة وإستقر بعض سكان الريف فى المدن ولكن أغلبهم عاشوا كما عاش أجدادهم مخلصين لآلهتهم ولمعابدهم محافظين على تقاليدهم فى الحياة(١).

---

(١) رستوفتزف ، م، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى. ترجمة زكى على و محمد سليم سالم ، القاهرة ١٩٥٧
السيد احمد الناصرى ، الامبراطورية الرومانية ، القاهرة .
ول ديورانت ، قصة الحضارة ج١١ قيصر والمسيح القاهرة ١٩٧٢

٤- الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مصر خلال عصر الامبراطورية الرومانية

زاد التدخل الرومانى فى أمور مصر الداخلية منذ أوئل القرن الثانى ق.م حتى أصبح ضم مصر الى أملاك الشعب الرومانى مسألة وقت. لقد إنتظرت روما الوقت المناسب لضم مصر ولعلها لم تجد ضرورة للتعجيل بذلك فقد كان أمراء البطالمة رهن إشارتها يرجون رضاها وإعترافها بهم. ومما يؤكد ذلك أن فكرة ضم مصر قد نوقشت فى روما قبل الضم الفعلى باكثر من ثلاثين سنة عندما إقترح كراسوس ضم مصر فى عام ٦٥ق.م وتكرر هذا الطلب فى عام ٦٤ ق.م.

كان ضم مصر الى الامبراطورية حدثا جللا فى حياة مصر المديدة فقد فقدت إستقلالها كدولة وإنتقلت عاصمتها الى روما وأصبحت مجرد جزء فى إمبراطورية تتلقى أوامرها من تلك العاصمة البعيدة بينما لاتملك لنفسها قراراً. ويظهر عمق إختلاف الظروف فى مصر مع سقوطها فى أيدى الرومان من أن المستعمر الرومانى حرص على الحصول على ضريبة سنوية تدنعها مصر بعضها نقدى والبعض الآخر عينى. كانت هذه الضريبة باهظة تخرج من مصر بلاعودة بينما كانت الأموال التى تجمع على أيام البطالمة تبقى فى مصر مهما كان الخلاف على أسلوب إنفاقها أو صورة هذا الإنفاق.

سكان مصر

قدر عدد سكان مصر عند بداية الاحتلال الرومانى بسبعة ملايين ونصف. ومن المؤكد أن هذا العدد كان يضم الأغلبية السكانية المصرية المحكومة بجيش الاحتلال الرومانى. فضلا عن وجود أغراب كثيرين فى مصر مثل الاغريق والمقدونيين وعناصر من اليهود والفرس والليبيين وغيرهم فضلا عن الرومان الحاكمين. وكان سكان مصر خلال العصر الرومانى ينقسمون من الناحية الرسمية الى فئتين :-

الرومان:

وكانوا يضمون الموظفين الرومان وجنود الحامية. الرومانية فضلا عن رجال الأعمال الذين إرتبطت مصالحهم بمصر، وإن كان أهم المصادر الثلاثة التى يدفع الى مصر بمواطنين من الرومان هو الحامية العسكرية . هؤلاء الشبان الذين جاءوا فى الغالب من الولايات المختلفة فضلا عن أبناء بعض الاسكندريين كانوا يقضون فى مصر ربع قرن من الخدمة العسكرية ثم يسرحون ويمنحون الجنسية الرومانية. أغلب هؤلاء الجنود كانوا يرتبطون بمصر بعد تسريحهم من الخدمة ويقيمون فيها.

وقد إتصل هؤلاء الجنود بالمجتمع وتزوجوا منه ضد رغبة القانون. وكونوا فى النهاية جالية رومانية فى مصر إنضم اليهم أعداد من مواطنى الاسكندرية الذين اكتسبوا المواطنة الرومانية. وكان المواطنون الرومان فى

مصر يتمتعون بأوضاع متميزة عن بقية السكان. وكان يختار منهم كبار الموظفين وكانوا معفون من الخدمات الالزامية والمحلية فضلا عن عدم خضوعهم لضريبة الرأس واعفاؤهم من بعض الضرائب الأخرى ونعلم من البرديات أن المواطنين الرومان (بصرف النظر عن أصولهم الأولى) كانوا منتشرين في مصر. وقد إستمرت هذه الوضعية المتميزة الى أن منح الامبراطور كراكلا حق المواطنة فى أوائل القرن الثالث الميلادى لكل سكان الأمبراطورية.

المصريون :

وهو تعبير أطلق إصطلاحا على كل سكان مصر ماعدا الرومان فضم المصريين والإغريق واليهود والسوريين والفينيقيين والليبيين وبقايا الفرس وأصحاب أى جنسيات أخرى عاشوا وسط المصريين(١). ولقد كان أساس التمييز بين الجنسيات هو الخضوع لضريبة الرأس وهكذا لم يميز سوي الرومان الذين لم يخضعوا لها. ومع ذلك فإن هذه الضريبة أعفى منها الاسكندريون وفرق بين عدم الخضوع والأعفاء. ورغم أن كل ساكنى مصر فيما عدا الرومان إعتبروا مصريين الا أننا يمكن أن نرى هرما إجتماعيا يضم طبقات مختلفة ممن يطلق عليهم هذا الاسم. وكان أعلى الهرم الاسكندريون وكانوا إغريقا أو متأغرقين يتمتعون بالعديد من المزايا. فقد

---

(١) يذكر هذا بالاصطلاح الذى أطلقه الجبرتى على أمراء المماليك أثناء الحملة الفرنسية فقد إعتبرهم مصريين. بينما كانوا أغرباء فى نظر أهل البلاد.

كانوا معفون من أداء ضريبة الرأس وكانوا أصحاب حق فى الإلتحاق بالجيش الرومانى وكان لهم الحق فى طلب الجنسية الرومانية. كما كان الاسكندريون خارج الاسكندرية لايخضعون لسلطة المحافظ فى محافظته وإنما يتبعون رئيسه الذى يشرف على عدد من المحافظات ويدعى Epistratigos.

لم يكن كل الاغريق والمتأغرقين إسكندريين بل كان منهم من يعيشون بصفة دائمة فى عواصم المحافظات بل وحتى فى القرى. وقد نظر اليهم باعتبارهم أدنى منزله من مواطنيهم الذين عاشوا فى الاسكندرية فخضعوا لضريبة الرأس وإن كانت ذات قيمة مخفضة. وقد إجتمعوا فى جمعيات ثقافية وكذلك فى الجمنازيا المنتشرة فى عواصم المحافظات حفاظا على أصولهم الثقافية وكانوا يمثلون أرستقراطيه ريفية يتم اختيار موظفي الادارة المحلية من بينهم.

وهناك أيضا جالية يهودية تعتبر أقدم الجاليات الأجنبية فى مصر. لقد كانوا اكثر هذه الجاليات عدداً على العصر البطلمى وإستمرت وضعيتهم على هذا المستوى فى العصر الرومانى بل وطالت صراعاتهم مع الاسكندريين وسعوا للحصول على الجنسية الاسكندرية دون فائدة. وكانوا يسكنون الحى الرابع من أحياء الاسكندرية الخمسة. وإعتبروا جالية عنصرية معترف بحقها فى ادارة شئونها وكان لها رئيس ومجلس شيوخ.

كل من سبق يمثلون مجتمعين مجرد أقلية سكانية في بحر من المواطنيين المصريين أحفاد الفراعنة. هؤلاء المصريون استمروا في حياتهم دون تغيير يذكر فيما عدا زيادة عبئ الضرائب عليهم حيث كانت حكومة الاحتلال الروماني اكثر كفاءة من الحكومات الضعيفة في أواخر عهد البطالمة. فقد إستمرت الحياة في القرى كما كانت من قبل والنيل يعطي فيضانه السنوي المخصب الذي يأتي في بعض السنوات عالياً وفي بعضها الآخر شديد الأنخفاض ولكنه في الاغلب كان يأتي مناسباً تماماً لاعطاء محصول جيد.

الحكومة الرومانية في مصر:

لم تتغير نظرة المصريين الى حاكمهم الأعلى البعيد ومدى تدخله في حياتهم. فقد نظروا اليه في العصر الروماني كما نظروا للملوك البطالمة من قبل بل والملوك الفرس أيضا باعتبارهم أسرا مالكة جديدة من الفراعنة الغرباء. ومن ثم إستمر بناء المعابد وزخرفتها على الطراز المصري خلال الثلاثة قرون التي حكمها الرومان. ومثل الأباطرة على الجدران بالجلسة التقليدية للفراعنة، تحيط بهم رموز الملكية المصرية كالتاج الفرعوني والخرطوش الذي يحمل داخله اسم الحاكم بالهيروغليفية، ونصوص هيروغليفية إضافية تكرر ألقاب الفرعون باعتباره إبنا لرع والمحبوب من بتاح وإيزيس الخ..

واعلنا لانجاوز الحقيقة إذا ذكرنا أن تنظيمات الادارة وتطبيقاتها سواء المحلية منها أو المركزية هي التي طبعت مصر بطابع الولاية الرومانية. فمنذ عهد أغسطس، ونظرا لأن مهمة مصر الأولى في الامبراطورية الرومانية كانت إمداد مدينة روما بثلث إحتياجاتها السنوية من القمح، ولضمان استقرار الأمور هناك دون أية إضطرابات، عوملت مصر كما لوكانت ضيعة خاصة بالامبراطور. فوضعت مصر تحت حكم رجل يدعى القائد Praefectus على عكس الولايات الآخرى التي كان يحكمها رومان وصلوا الى مرتبة القنصل. وكان القائد بذلك أقل درجة من حكام الأقاليم الأخرى. وحرص أغسطس على أن يعينه كممثل شخصي لجلالته وحرص كذلك على أن يكون شاغل هذه الوظيفة من طبقة الفرسان، وهي الطبقة التي كان ينتمي اليها بأصله كما أنها الطبقة التي كانت منذ البداية العمود الفقري الذي دعم حكمه. وتنفيذا لسياسته منع أيضا أي روماني من طبقة الشيوخ بل وحتى الفرسان - إذا كانوا موظفين رسميين - من دخول مصر بدون إذن الامبراطور. وقد فعل أغسطس كل ما يستطيع للتقليل من أهمية وظيفة البرايفكتوس في نظر الطامعين، وكان هدفه الاساسي الا تصبح مصر مرة أخرى مقرا لمنافس يطالب بالحكم كما كان الحال بالنسبة لانطونيوس. أما بالنسبة للمصريين فقد كان الحاكم نائبا عن فرعونهم الذي يعيش بعيداً في روما.

أبقى أغسطس على التقسيم القديم لمصر الى نيف وثلاثين إقليما إداريا- Nomes كان يحكم كل منها إستراتيجوس. ورغم هذا الاطار الذى لم يتغير فقد تغيرت سلطة الموظفين فى الأقليم. فالمعروف أن الاستراتيجوى كانوا أيام البطالمة أصحاب سلطة عسكرية وسلطة مدنية أيضا. ولكن أغسطس جعلهم موظفين مدنيين فقط. أما القوات العسكرية فقد تم نشرها بأسلوب إستراتيجى فى كل الولاية ليس على الطريقة البطلمية بخلق جنود فلاحين يعيشون مع أهليهم فى أرض أقطعها لهم الملك، ولكن على النظام الرومانى الذين يقوم على الحياة فى معسكرات محصنة أو حاميات. عسكرت إحدى الفرق فى الاسكندرية والثانية فى بابليون -شمال ممفيس على الشاطئ الآخرللنيل. وعسكرت حاميات صغيرة من الجنود فى مناطق حاكمة مختلفة، مثل مناطق الحدود والمحاجر والمناجم، وملتقيات الطرق الهامة ومخازن الغلال.

لقد كانت الحكومة المدنية التى حكمت مصر -منذ أقامها أغسطس وطورها خلفاؤه- رومانية بوضوح، ولكن موظفيها فيما عدا شاغلوا الوظائف العليا كانوا من بين السكان المحليين. وكانت لغة العمل فى الحكومة اللغة الاغريقية وليست اللغة اللاتينية. وفى الاسكندرية ضمت بطانة الحاكم عددا من الموظفين والضباط مزدوجى اللغة، كانوا يقومون بترجمة كل المراسيم الامبراطورية من اللاتينية الى اليونانية لنشرها فى البلاد.

وبالنسبة للادارة المحلية أبقى الرومان على بعض المسميات البطلمية لبعض الوظائف وإن كان قد نال إختصاصات هذه الوظائف من التغيير على أيدى الرومان مانال إختصاصات الاستراتيجوس وبالنسبة لباقى الوظائف فقد إستحدثت تسميات جديدة ووظائف جديدة كلما دعت الضرورة الى ذلك، كما حكمت قواعد جديدة أوجها هامة فى الاقتصاد والمجتمع والدين.

لعل ماسبق يكفى كإطار للتاريخ السياسى لمصر تحت حكم الرومان وفيما يلى نوجه إهتمامنا الى حياة السكان فى مصر فى مدنهم وقراهم.

عواصم المحافظات:

كان لكل محافظة عاصمة تتركز فيها الادارة وكانت هذه العواصم تختلف فيما بينها من حيث المساحة وعدد السكان ومع ذلك. فالمؤكد أن هذه العواصم ضمت جمنازيوم وحمامات عامة ومسرح وبنك وعدة عشرات من المعابد فضلا عن خزانات للمياة يرفع اليها الماء بالطنبور على عدة مراحل ويقوم على تشغيلها ورديات من العمال، فضلا عن حوانيت متعددة وآلاف المنازل.

أغلب سكان عواصم المحافظات من الثراة يدعون أصلا إغريقيا سواء كان ذلك حقيقيا أم لا الأنه كان مصدر فخر ومباهاة بينهم بل أنهم شكلوا

حياتهم على نمط المدن الاغريقية الأربعة فى مصر. ولذلك خططوا مدنهم على شكل رقعة الشطرنج وأنشأوا مبان عامة فخيمة ونصبوا الالعاب الاغريقية واقاموا الاعياد للمعبودات الأغريقية. وبنهاية القرن الثانى الميلادى كانت أغلب عواصم المحافظات تعانى صعوبات فى تدبير كل المصروفات المطلوبة للانفاق على الأنشطة المختلفة. وكان سكان عواصم المحافظات يعبرون عن حبهم للانتماء الاغريقى وإزدرائهم لكل ماهو قروى ومصرى. ومع ذلك فما زال الغموض يحيط بالحد الفاصل بين مواطنى عاصمة المحافظة والمقيمين فى عاصمة المحافظه ولايحملون مواطنتها. والمعروف أن الطفل عند ما كان يبلغ سن الرابعة عشر يجب عليه أن يحدد حالته مع طلب لتسجيله فى طبقة والديه الاجتماعية.

كان سكان عواصم المحافظات قادرين على إستخدام ثرواتهم ليس فقط فى تحقيق إحتياجاتهم وراحتهم وإنما أيضا بطرق تربط بين الاسراف الواضح والمظهر الاجتماعى. فخلال الامبراطورية الرومانية كانت الصورة المحبوبة للعطاء والبذل فى سبيل المجتمع تتم باهداء المبانى أو المرافق العامة أو زخرفه مثل هذه المبانى..الخ.

وإن كان المعروف أن عواصم المحافظات فى مصر لم تمارس قبل القرن الثالث أى صورة من صور الحكم الذاتى ومع ذلك فقد كان لمواطنى عاصمة المحافظة حق إختيار موظفين للقيام بمهام عامة محدودة، وكان مسموحا لهم أن يكرموا باطلاق لفظ (الموظفون السامون) عليهم. وسعد

مواطنو عواصم المحافظات بتضخيم الذات رغم أن المرشح لمنصب كان عليه أن يدفع رسوما عند حصوله على اللقب، كما كان يتحمل تكاليف المنصب كليا او جزئيا من جيبه الخاص. والوظائف «السامية» فى عاصمة المحافظة كان عددها ست، خمسة منها عرفت بنفس الاسم منذ عصر البطالمة وهى الجمنازيارخ (حاكم الجمنازيوم) والمشرف على النظام Kosmetes والمدير Exegetes والأجورا نوموس (منظم الاسواق) والكاهن الرئيس Archiereus أما الوظيفة السادسة والتى عرفت لأول مرة فى عصر الرومان فهى Eutheniarch مفتش التموين وكان مسئولا عن التأكد من سير أمور التموين للمدينة بيسر وعدم حدوث أزمات فيه.

فى البداية كان مواطنو عواصم المحافظات من الأثرياء يتصارعون للفوز بأحد هذه الوظائف الشرفية. ولكن منذ النصف الأخير من القرن الثانى الميلادى. تزايد عبء نفقات هذه الوظائف حيث بدت على إقتصاد مصر (وأيضا الامبراطورية ككل)علامات لاتخطؤها العين باتجاهه نحو التدهور، وبدأ رخاء كثير من عواصم المحافظات ينخفض. وصار تكليف الناس بهذه الوظائف يتم فى بعض الاحيان بالالزام.

وفى عام ٢٠٠ ميلادية عرف الهيكل الادارى فى عواصم المحافظات تطوراً رئيسيا عندما منح سيفروس كل عاصمة منها بولى Boule أو مجلس مدينة. وكانت هذه خطوة فى طريق الحصول على مرتبة البلدية

الرومانية وهي الخطوة التي تمت في القرن الرابع.

تشير الوثائق الى أن منازل المدينة كانت تضم طابقين وأحيانا ثلاثة طوابق، وتتحدث أيضا عن منازل تضم أجنحة لاستقبال الرجال وأخرى للنساء، فضلا عن وجود مداخل ببواكي للاستمتاع بشمس الشتاء وبالراحة في ليالي الصيف وأبراج وسقائف ومختلف الاشياء التي صممت للراحة والانسجام. وكانت بعض المنازل تستخدم الحجرات المطلة على الشوارع كحوانيت -وهو تنظيم ساد المدن في إيطاليا والولايات خلال العصر الروماني. إستخدم الطمي في بناء هذه المنازل وقد ساعد على ذلك قلة المطر. وقد إختلف سمك الحوائط الخارجية عن الحوائط الداخلية وغطيت الحوائط بملاط زخرف سطحه بمناظر أسطورية بألوان زاهية.

ومنازل المدينة كانت تحصل على الماء من آبار حفرت في ساحاتها تحملها أنابيب الى الحمامات ودورات المياة. وكانت حجرات النوم تقام عادة في الطابق السفلي أما الأقبية فقد إستخدمت بصورة رئيسية للتخزين.

وقد إستخدم أهالي المدن ملابس ملونة لامعة، فالكسوة فوق أجسامهم ذات ألوان خضراء وحمراء مع تفضيل للون الأزرق بكل درجاته وملابسهم الداخلية كانت تصنع من الكتان. أما الملابس الخارجية فكانت من الكتان والصوف. وهناك أدلة وثائقية على زراعة القطن في مصر من القرن الثاني الميلادي. أما المنسوجات الحريرية وهي ذات أصول صينية وهندية وكانت تستورد من فارس فكانت تستخدم لتزيين الملابس كالياقات

والحواف فى ملابس الترف.

يلاحظ أن متوسط عدد أطفال العائلات فى المدن التى ذكرت فى إحصاءات السكان كانت تتراوح بين طفلين وثلاثة وإن كان عدد المواليد بلاشك أعلى من ذلك بكثير ولكن ارتفاع معدلات الوفيات بين الأطفال فضلا عن عادة الأغريق بترك الأطفال غير المرغوب فيهم يموتون بالاضافة الى استقلال شباب الأسرة عن عائلاتهم كل هذا يظهر العدد أقل من حقيقته.

كان الشباب يتزوجون فى سن من حوالى الثامنة عشر الى العشرين والزوجات كن عادة أصغر منهم بعدة سنوات وعقود الزواج تبين الرغبة المخلصة للزوجين للحياة سويا بأخلاص وأن يراعى كل منهما حقوق الآخر، فالزوج يمد زوجته بكل ضرورات الحياة طبقا لإمكاناته والواجبات المتبادلة للزوجين كانت تكتب بتفصيل شديد. ويبدو أن الطلاق كان شائعا وعلى الأخص بين الأزواج الشباب. وعندما ينتهى الأمر بالطلاق فإن الزوج كان عليه أن يعيد كل شئ شملته الدوطة والهدايا المصاحبة والا فعليه أن يدفع قيمتها نقدا.

والاسرة فى عاصمة المحافظة كانت تتكون من الوالدين والأطفال وربما بعض الأقارب والعبيد. وأغلب العبيد كانوا للخدمة المنزلية. حيث كان الفلاحون الأحرار مصدرا جاهزا لقوى العمل الموسمى فى الزراعة والصناعة وبأسعار أقل. ومع ذلك فقد كانت هناك إستثناءات.

وأخيرا فنظرة الى النصوص الأدبية الباقية تبين أن أعمال كل

أدباء الاغريق المشهورين بل والكتاب الأقل شهرة ظلت تنسخ فى مصر طوال فترة الحكم الرومانى بل ولعدة قرون تالية. وعثر على نصوص لهوميروس وديموسثينيس ويوربيديس وهيزيود كما عثر على وثائق ذات محتوى أدبى أو علمى. وقد عثر فى مصر أيضا على أقدم مخطوطة معروفة لأسفار العهد الجديد والكتابات المسيحية الأخرى. ورغم الاحساس بأن هذه الكتب كانت تقتنى لكى تقرأ ولكى تعاد قراءتها فإن هناك مايدل على قيام نشاط تمثيلى حيث عثر على مسرحية ليوربيديس من القرن الثالث الميلادى عليها ملاحظات للممثلين. وقد أنجبت هذه العواصم عدداً من الكتاب مختلفى الشهرة والمكانة مثل أثينايوس جامع المتنوعات من مواليد نوقراطيس. وأفلوطين من ليكوبولس (أسيوط) ومن المؤكد أن هؤلاء رحلوا الى الاسكندرية وروما لاتمام دراساتهم، بينما بقيت مواطن ميلادهم أرضا بوراً من الناحية الثقافية.

وكان عدد الأميين فى المدن أقل منه فى الريف فمن بين ستمائة أمى سجلوا فى عدة مئات من البرديات نجد ثلاثة من هذه المدن. بل أن هؤلاء يعودون الى القرن الثالث الميلادى ويبدو أن عائلات حضرية كثيرة تأثرت بالازمة الاقتصادية للقرن الثالث كفت عن التعليم الذى كان واجهة إجتماعية هامة فيما سبق. بل أن عائلات حضرية اكثر واكثر توقفت عن الترفع المطلق عن سكان المدن من المصريين، وبدأت الزيجات المشتركة تأخذ مكانها.

وبالنسبة للبنات فإن قرار التعليم أو عدمه يبدو وأنه كان قرارا شخصيا يتعلق بالقرويين اكثر منه موقفا إجتماعيا. إن المرأة التى كانت تقدر على الكتابه كانت تحس فخرا بذلك وكانت تسعى للتنوية بهذه الحقيقة.

ويبدو أن التعليم كان يبدأ فى سن العاشرة وكان تعلم الكتابة يتم فى المدن والقرية دون حاجة الى مدرسة حيث كان يقوم بعض العبيد والنساء بهذا العمل. ولكن التعليم فى المرحلة أعلى كان يتطلب فترة من الدراسة فى الاسكندرية.

قـــرى الفـــلاحيـــن:

عاش الفلاحون معا فى قرى ونجوع. وكان عليهم أن ينتقلوا منها الى مناطق حقولهم على أقدامهم أو فوق ظهور الحمير وبعض هذه الحقول كانت تقع على مسافات بعيدة. وكانت القرية فى هيكلها العام كعاصمة المحافظة ولكنها أصغر حجما. فالقرية تبدو فى عينى الرائى من بعيد كومة من الحوائط الساذجة مبنية من اللبن غارقة فى الطبيعة. ولكن عندما يقترب المسافر منها فإنه سيكتشف أن هذه الحوائط لمنازل تقع فى مجموعات تفصلها شوارع ضيقة وأزقة.

وبالنسبة لغالبية الناس فقد كانت القرية هى موطنهم من المهد الى اللحد. ولكن الفلاحين الذين يثرون كانوا أحيانا يبحثون عن حياة أفضل

واكثر تحضرا بأن ينقلوا أسرهم لكي تعيش في عاصمة المحافظة، حيث يمكنهم أن يعيشوا حياة متحضرة كتلك التي يعيشها أهل المحافظة وأن يطوروا حياتهم بما يناسب ثقافة أهل البندر. وعلى الرغم من أنهم كانوا مستبعدين بصورة دائمة من الأنضمام الى الطبقة المتميزة هناك بسبب أصولهم. لم يكن كل قروى يصيبه الثراء مشوق للإقامة في عاصمة المحافظة، بل كثيرون وربما الأغلبية كانوا يفضلون للبقاء حيث كانوا عمد المجتمع المحلى. يعيشون في منازل تقترب من منازل المدينة في المساحة والزخرفة، وأعداد العبيد. وكان الراغبون منهم قادرون على الوصول الى مستويات راقية من التعليم والثقافة. وهذا يفسر وجود نسخ من مؤلفات هوميروس وهزيود ويوربيديس وأفلاطون وغيرهم في أطلال القرى. بل وعندما أرادوا كانوا يحضرون راقصات من عاصمة المحافظة.

ولكن مهما كان عدد هؤلاء الأغنياء فلابد أنه كان قليلا بالنسبة للتعداد العام لسكان القرى. حيث كانت الأغلبية تعيش على الكفاف. ولقد كان الرجال والنساء والأطفال والحيوانات المستأنسة مكدسين في أحياء ضيقة ومزدحمة.

وبدراسة مابقى لدينا من وثائق إحصائية يمكن أن نقدر عدد سكان القرية بما بين أربعة آلاف وستة آلاف نسمة. ومما لاشك فيه أن هذا كان تعداد القرى الكبيرة. فقدكانت هناك قرى صغيرة جدا يقل عدد الرجال فيها عن مائة رجل.

وبالنسبة لطعام القروى فقد تكون بصورة رئيسية من النشويات التى يتم الحصول عليها من الحقل بالاضافة الى بعض النبتات البرية كاللوتس وأنواع من الثوم البرى وجذور البردى أما اللحوم فكانت ميسرة فقط لمن يربيها ولمن يملك ثمنها. فضلا عن الأسماك. وهناك شك فى أن أغلبية الفلاحين كانوا يحصلون على إحتياجاتهم من السعرات الحرارية.

وبالنسبة للملابس فقد كان لدى من يستطيع منهم طقم واحد جيد على الاقل للمناسبات والاحتفالات أما ملابس العمل فكانت قمصان أو عباءات بسيطة. وعلى عكس أهل المدينة كان سكان الريف حفاة فى الغالب.

والأسرة المتوسطة فى الريف المصرى كانت تملك بعض مساحات الأرض الزراعية وربما لجأت نفس الأسرة الى إستئجار قطعة أخرى بمايكفى أفراد الاسرة.

وفيما عدا عدد قليل ممن تمتعوابالثراء فان الحياة فى القرية المصرية ارتبطت إرتباطا وثيقا بالأقتصاد الطبيعى(نظام المقايضة) وبالنسبة للضرائب والالتزامات الأخرى كان من الضرورى دفعها نقداً. مثل هذه الأسرة كانت تعيش فى مستوى وسط بين الحياة السهلة والفقر المدقع.

إن الأفراد الذين كان لديهم فائض من الأرض لكى يؤجروها كانوا عدداً قليلاً ونسبة مايملكون محدود جداً بالنسبة للاراضى الزراعية.

وقد إستمرت المعابد تملك بعض الاراضى رغم ما صادره أغسطس

من املاكها. أما معظم الأراضى فقد كانت ملك للدولة أو شخص الامبراطور. حتى ما كان مملوكا لرجال البلاط وأغنياء الاسكندريين ذهب مع نهاية القرن الأول الى الامبراطور.

وكانت الأراضى العامة تدار تحت إشراف الرسميين فى المحافظات والمحليات يعرضونها للايجار دوريا لمن يدفع اكثر. وعادة كان المستأجرون يعرفون بالفلاحين الحكوميين. وكانوا يزرعونها عادة بأنفسهم ولكن كان يمكن لهم أن يؤجروها من الباطن إن أرادوا. وكان المستأجرون يقدمون ضامنين لهم من أصدقائهم لافتقارهم الى الضمانات المالية أو العينية.

كان مالك الأرض إذا كان فردا يضطر عند الضرورة بسبب عدم خصوبة أرضه أو بعد مكانها الى تخفيض الايجار أو كان عليه أن يترك أرضه بغير زراعة فى ذلك العام.

ولكن أراضى الدولة والامبراطور فكانت محصنة ضد هذا المصير حيث كان يفرض على أراضى الخواص من الجيران أن يقوموا بزراعتها. بل حدث فى حالات المساحات الكبيرة أن فرضت الأراضى على القرية أوالقرى المجاورة، وكان ذلك يتم عن طريق السخرة.

ونتيجة لطبيعة العمل الزراعى تبدو القرية للزائر الغريب ساكنة. ولكن هذا الوهم سرعان مايبدده إكتشاف الزائر لوجود نشاط من كل نوع حرفيون يعملون وأطفال يلعبون وزوجات تنجزن أعمال المنازل أو تثرثرن . وبعض المشاحنات تثور فجأة بسبب أضرار حقيقية اومفتعلة.

وليس هناك مايمنع وجود لص يحاول إستغلال الموقف بسرقة سريعة.

ولدينا عدد من الوثائق البردية تذكر حدوث جرائم سرقات وعنف وانكار بعض الحقوق. ومع ذلك فالمؤكد أن الأصل فى العلاقات الانسانية فى القرية كان الانسجام والتعاون. ولدينا خطاب من القرن الأول نرى فيه رجل يتوسل لأبيه من أجل العناية بزوجة صديق له عندما يقترب موعد وضعها لوليدها نظرا لغياب زوجها. وخطاب آخر من القرن الثانى يحمل عواطف دافئة تجاه معارف فى مناسبة زفاف إبنهم.

وأخيرا نلقى نظرة على المستوى الثقافى فى القرية والمؤكد أن الأمية كانت منتشرة بشدة. ولكن يجب أن نلاحظ أن الأمية هنا ربما كانت تعنى أمية باللغة الاغريقية ومع ذلك فإن ممارسة الكتابة بالخط الديموطيقى بدأت فى الأختفاء فى القرن الثانى الميلادى.

ومع ذلك فقد عثر على مايدل على وجود البعض ممن يمكنهم قراءة وتقدير الأدب الاغريقى. ويؤكد ذلك العثور على أجزاء من المؤلفات الاغريقية بين أطلال بعض القرى. وكما رأينا من قبل فإن العدد القليل من القرويين الأثرياء كانوا يميلون الى تقليد حياة أبناء عواصم المحافظات وهذا الميل يشمل السعى لتعليم أبنائهم تعليما إغريقيا. ولكن الجو السائد فى القرية المصرية على العصر الرومانى ظل أميا. ومن هنا ظهرت وظيفة الكتبة المحترفين الذين كانوا يكتبون للناس معاملاتهم وخطاباتهم وتعطى

كتاباتهم إنطباعا بأن الأغلبية العظمى منهم يستطيعون أداء وظيفة الكاتب فقط دون أن يكونوا مثقفين.

الـــزراعـــــة:

الواقع أن مصر هبة النيل ولولاه لكانت أرض مصر صحراء مثل الأراضي التي تقع شرقها وتلك التي تقع غربها. والفيضان السنوى المنتظم كان يغطي الوادي حتى يشبه البحيرة لاتقطعها سوى المدن والقرى المقامة على أراض مرتفعة. وكان الرخاء في مصر يرتبط بارتفاع النهر الى ستة عشر ذراعا ولكن إرتفاع النهر اكثر أو إنخفاضه بشدة كان يحمل المخاطر. ولدينا دليل من عام ٩٩ ميلادية عن حدوث مجاعة فى مصر جعلت تراجان يعيد بعض السفن المحملة بالقمح الى مصر. ولأهمية النيل عرفت مصر مقاييسا لقياس إرتفاع الماء.

والزراعة فى مصر فى ذلك الوقت إتبعت فى الوادى نظام رى الحياض حيث كان الماء يغطى الوادى ثم ينسحب بعد إنتهاء الفيضان الى داخل حدود النهر. فيقوم الفلاحون ببذر البذور. أما فى الارض الأكثر إرتفاعا فكان يستخدم طنبور أرخميدس ويؤكد ديودورس إستخدامه فى الدلتا. ولكن آلة الرفع القديمة كانت اكثر إنتشاراً وهى الشادوف ومع ذلك فإن مهارة الانسان لم تستطع أن تنتج محصولا معتاداً فى عام ينخفض فيه ماء النيل عن الحد الأدنى المطلوب.

والسنة الزراعية فى مصر تبدأ من شهر توت (٢٩ أغسطس) وتضم ثلاثة مواسم: الفيضان ثم البذر ثم الحصاد. وأهم المحاصيل المصرية القمح والشعير والأول يستخدم لانتاج الخبز والثانى فى صناعة الجعة، فضلا عن زراعات نقدية كالكروم والخضروات والزيتون والبردى. والفلاح رجل يقوم بكل أعمال الزراعة ومع ذلك فهناك متخصصون فى تقليم انكروم، وإن كان لايجب أن نتصور تفرغهم لمثل هذه الوظيفة.

اهتم الفلاحون بترثيق إتفاقاتهم مثل عقود الايجار التى كانت لها صيغ محددة لضمان الحقوق والالتزامات بل وبعض الشروط الجزائية لمن يخالف نصوصها.

ورغم عمل الفلاح وإنتاجه لكافة المحاصيل فقد كان يتعرض للظلم فلا يبقى له من محاصيله بعد أداء الايجار للأفراد أو الدولة والديون المتراكمة علية أثناء العام الزراعى وإيجارات الأدوات والحيوانات والافراد الذين يستعين بهم وأجور نقل محصوله الى مخازن الحكومة ثم الى الميناء النهرى أقول لايبقى له بعد كل ذلك مايكفيه لطعامه ولدفع إلتزاماته تجاه الحكومة من ضرائب رأس وغيرها.

ولايجب أن نذكر الزراعة دون أن نشير الى حيوانات الحقل والدواجن التى إعتنى بتربيتها الفلاح المصرى ومنها الأبقار والأغنام والماعز والخنازير وحيوانات الحمل كالجمل والحمار التى كان يستخدم جلودها فضلا عن وفرة من الطيور كالاوز والحمام والدجاج الخ....

انتاج البضائع والخدمـــات:

كانت مصر مشهورة بصناعتين من صناعاتها وهما الكتان وورق البردي وفى القرن الثالث ونتيجة للطلب الخارجي وسعت مصر انتاجها من الزجاج وأصبحت -بجانب سوريا- مصدراً كبيراً لتلك السلعة. تركزت هاتان الصناعتان فى الدلتا ولذلك فنحن نعرف قليلا من المعلومات عنهما بسبب قلة الآثار نسبيا بسبب الرطوبة. ومن ناحية أخرى فإن صناعة النسيج موثقة جداً وبالرغم من نمو عدد من المصانع الكبيرة فإنها بقيت صناعة منزلية، تمارس في كافة أنحاء البلاد. وكان النساجون للأنواع الفخمة من الكتان والذين يقومون بتدريب الصبية كانوا أرستقراطيو الحرفة، التى كانت وراثية، ومع ذلك فالاولاد والبنات من عائلات أخرى -أحراراً وعبيداً- كانوا يبدأون التدريب ويتدربون عليها فيما بين العاشرة والثالثة عشر. وكان التدريب يمتد لعامين.

ولدينا عقود تسجل تدريب صبية عند بنائين ونحاسين وصناع الحصر والمسامير والزمارين وقص صوف الغنم وغزل الصوف. بالاضافة الى وثيقة تتحدث عن ستة من العبيد يتعلمون الإختزال والنسخ والسكرتارية وكاتب خطابات وطباخ وحلاق وعامل اصلاح.

والصناع الذين غالبا مايظهرون فى أوراق البردى فى العصر الرومانى هم البناءون وقاطعو الاحجار وصانعو الطوب والنجارون وعمال

الفخار وعمال المعادن والخبازون والجزارون والحلاقون وصانعو الاحذية والصباغون والقائمون على رتق الملابس وعمل تطريز الملابس بعد النسخ، ثم يأتي بعد ذلك التجار وأصحاب المخازن -وكان معظمهم يتعامل فى منتج واحد كبيع الزيت أوالخضروات اوالصوف اوالفاكهة وهكذا. ومع ذلك كانت هناك سوق لكل البضائع يباع فيه فى نفس اليوم سمك مدخن وحبال ومخدات ونشا وحديد مشغول وأرجل مقاعد وصبغة الأرجوان وسلال السمك وفتيل الاضاءة.

كانت هذه هي المهن والحرف التى خدمت الاحتياجات الاكثر أهمية فى الحياة اليومية ومسك الختام الحانوتى والقائم على التحنيط وحافر القبر.

وكانت هناك مهن كثيرة إنتظم أصحابها فى نقابات وتخبرنا الوثائق عن وجود نقابات لسائقى الحمير والقماشين والصباغين والنساجين وعمال الفخار وعمال الزجاج ونقاشو الكتابة الهيروغليفية وقادة المراكب النيلية والبحارة وصناع الاحذية وتجار الملح وآخرين لم تسجل مهنهم. وإنشئت فى القرن الرابع الميلادى نقابات لصناع الخبز ولحامى البرونز وتجار البيرة وتجار الزيت وهناك أخيرا مهنة المرضعة. المرضعة تأخذ الرضيع الى مكان إقامتها، مع وعد باطعامه وكسوته وإمداده بكل شئ ضرورى للحفاظ على حياته. وإن مات أثناء فترة العقد فهى مرغمة أن تأخذ طفلا آخر لكى ترضعه، بدون أجر إضافي. وبالاضافة الى شروط العقد الأصلى أحيانا يجرى تحديد أمور أخرى (فلكى لايفسد لبنها لايجب ان تكون لها علاقه بأى

رجل ولا ان تصبح حاملا ولا أن ترضع طفلا أخر) وكان أجرها أجر عامل غير ماهر. يدفع لها جزء مقدما والباقى على أقساط شهرية.

وكان هناك جمعيه لفنانى المسرح تمتع أعضاؤها بالحصانة الشخصية وأسبقية الجلوس فى المسارح وغيرها والاعفاء من الخدمة العسكرية والاعفاء من الالتزامات وعدم خضوع مكاسبهم للضرائب والحق فى ألا يجبر على إيواء أجانب أو أن يعتقل تحت أى دعاوى أو يكون عرضة لتوقيع عقوبة الاعدام عليه.

وبالنسبة للرياضيين كانوا يتمتعون بالشهرة والجوائز المالية وشهادات مواطنة فخرية ودخول كبيرة طول الحياة بالاضافة الى الاعفاء من الضرائب والخدمات العامة الالزامية.

وقبل أن نختتم هذا الفصل نلقى نظرة سريعة على أصحاب المهن العلمية والاطباء الذين يظهرون فى الوثائق. ورغم عدم ذكر القابلة فى آلاف البرديات الا مرة واحدة فإن هذه المرة كافية لتذكيرنا بأن الفلاحين المصريين كانوا يلجأون اليها فى إحتياجاتهم الصحية. أما الأدوية فأغلبها نباتى. وهناك إشارة عدة مرات للطبيب البيطرى. والمعروف أنه لم تكن هناك دراسة منتظمة لتخريج طبيب بيطرى ولكن كان هناك التجريب تحت إشراف صاحب خبرة. وقد عثر على اكثر من خمسين قطعة من أعمال طبية.

ومانعرفه عن المحامين أقل مما نعرف عن الأطباء.

تعداد السكان والضرائب والخدمات الإلزامية :

تخلى أغسطس عن نظام التسجيل السنوى للسكان الذى كان متبعا بمصر أيام البطالمة وأقر بدلا عنه نظاما لتعداد السكان كل ١٤ سنة. وطول الفترة الزمنية يمثل الرقم المطابق للعمر الذى يتوقف عنده إعتبار الذكور المصريين قصرا ويسجلون لدفع ضريبة الرأس. وكان تعداد الأشخاص يتم تعديله طبقا للتغيرات التى تحدث من عام لآخر بمعرفة كاتب المدينة أو القرية.

أما نظام الضرائب فإننا نواجه مجموعة هائلة من الضرائب والضرائب الاضافية التى تفرض على الفرد والأرض والمهن والخدمات والمبيعات والتمويلات وحركة البضائع والناس والملكية العقارية والشخصية.

ومع ذلك فإن وطأة الحكم الرومانى إستشعرها الناس ليس بسبب زيادة عدد الضرائب وانما بسبب زيادة كفاءة التحصيل حتى يقال أن تيبيريوس الخليفة المباشر لأغسطس وبخ حاكم مصر لأنه أرسل الى روما إيرادات ضرائب تزيد عن الحصة المحددة فكتب يقول له "أريد أن يجز صوف شياهى لا أن تسلخ جلودها أحياء".

وكان الرومان قساة في جمع الضرائب كما يتضح من الوثيقة التالية التى كتبها شاهد عيان "عين مؤخرا فى منطقتنا جابى ضرائب، عندما يتأخر بعض الرجال فى دفع الضرائب بسبب الفقر ويهربون خوفا من

العتاب كان ينزل العقاب بزوجاتهم واطفالهم وأبائهم وأقاربهم ضربا ووطئا بالاقدام ... وكافة أنواع الامتهان ... ولكن جابى الضرائب لم يكن ليتركهم قبل أن ينهك أجسادهم بالعصر والعذاب أو أن يقتلهم بطرق جديدة للموت. وعندما لايوجد أقارب كان يمتد العذاب الى الجيران وأحياناً كان يسجن قرى باكملها. وسرعان ماتصبح القرى مهجورة وتخلو من سكانها ....."

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان على الناس أن يقدموا إمدادات إضافية من الطعام والمعدات والنقل لدعم حروب الامبراطورية الخارجية فضلا عن إعاشة وإستقبال الزوار المهمين وحاشياتهم وكانت الأخيره تشمل جولة الحاكم وحاشيته سنويا.

وفي مصر طور الرومان نظاما للخدمات لم يكن له نظير فى شموله في أنحاء العالم القديم، فكان يصل الى أبعد القرى ويفرض الخدمة على كل مستويات السكان.

وكما كان الحال بالنسبة للضرائب هناك من تمتع بالاعفاء من الخدمات مثل المواطنون الرومان وإغريق الحضر والرياضيون وأصحاب الجوائز وأعضاء المهن العلمية والأباء لخمسة أبناء والاشخاص الذين يعملون بمهن تعتبر ضرورية. وكان يتم إعفاء بقية أفراد الأسرة إن كان لديهم من هو مكلف بخدمة حتى ينتهى منها. وكانت النساء والمحاربون القدامى وبعض الكهنة والمسنون والمرضى معفون من الخدمات التى تتطلب جهدا

بدنيا.

وأكتمل نظام الخدمات الالزامية على عهد تراجان عندما حول كثيرا من الضرائب الى خدمات إلزامية. نعرف حتى الأن حوالى مائة خدمة إلزامية كان يكلف بها الأشخاص مثل موظفى ورجال الشرطة فى القرية أو المدينة وجباة الضرائب وناقلى الحبوب ومفتشى الفيضان والحقول ومراقبى الاعمال العامة وتحصيل الضرائب والقيام بامداد الموظفين الزائرين بحاجاتهم ورجال البنوك بتسليم الأموال العامة، والأوصياء على القصر وأعضاء مجلس العاصمة والموظفين السامين بها. كانت مدة التكليف الالزامى تتراوح مابين عام وثلاثة أعوام يعفى بعدها الشخص من تكاليف أخرى لفترة سنوات ولكن تحت ضغط الظروف كانت الفترات البينية تختصر.

وكان المكلف بخدمة إلزامية توضع أمواله وأملاكه تحت الحجز لصالح الدولة، وكان يؤدى قسما بالاخلاص. بالاضافة الى عدد من الضمانات الأخرى منها ضمانة الأشخاص الذين رشحوه. وإذا جاوز خطأ القائم على التعيين حسن النية كان من الممكن إلزامه بدفع قيمة الأضرار.

والواضح أن الخدمات الالزامية كانت شيئا يسعى الناس الى تجنبه حتى لجأ الناس الى رشوة القائمين على الاختيار لتجاوزهم ومن كان يفشل فى تجنب ذلك كان يتنازل لمن يقبل القيام بالخدمة بدلا عنه عن جزء من ماله بل وفى فترات الانهيار الاقتصادى فى القرن الثالث عن كل ماله.

وعندما كان يزداد العبئ على المصرى كان يهرب من قريته ويلجأ الى الصحراء. وقد إستمر الرجال يهربون خلال كل قرون الحكم الرومانى وإستمرت الحكومة تحصد مازرعته يديها قلة فى الأيدى العاملة وتدهور فى الايرادات، وحالة تعبئة عسكرية نشيطة ضد عصابات السرقة المتعددة التى كونها الهاربون من مكان الى آخر.

المعبودات والعبادات:

عاش فى مصر على العصر الرومانى أجناس شتئ وكل جنس جاء الى مصر بثقافته ومعبوداته. إنتشر هؤلاء فى أصقاع مصر من أقصاها الى أقصاها وكان عليهم أن يتقربوا لمعبوداتهم بالصلوات والاحتفالات والقرابين من وقت آخر. لم يكن هذا متاحاً حيث المعابد المنتشرة كانت مصرية ومخصصه لمعبودات مصرية ولذلك كان على الاجناس الوافدة أن تتكيف مع الواقع الجديد وأن تستفيد بتجربة الاغريق الذين واجهوا نفس المشكلة قبل ثلاثة قرون. وفى النهاية بحثوا عن المعبودات المصرية التى تماثل صفات معبوداتهم وقدموا لها القرابين باسماءهاالمصرية أو باسماء شبيهاتها الاغريقية. وفعلت الأجناس المتعددة ما فعله الاغريق من قبل. فصاروا يقدمون القرابين للآلهة المصرية المقابلة لآلهتهم بأسمائها المصرية أو بأسمائها فى تراثهم الخاص. وكان التنوع كبيرا فهناك الرومان وهناك أجناس من منطقة الهلال الخصيب ومن آسيا الصغرى فضلا عن الاغريق والمصريين.

ونجد ديودور الصقلى يذكر فى هذا الموضوع إن نفس الالهة التى يسميها البعض إيزيس ويطلق عليها اخرون ديمتير والبعض يسميها مانحة القانون وسيلين (القمر) وهيرا، والبعض يدعونها بكل هذه الالقاب مجتمعة وأطلق البعض على أوزوريس ديونيسيوس والبعض أطلق عليه اسم بلوتو أو آمون وعدد يسمونه زيوس وكثيرون يسمونه بان.

ثم أضيف الى هذه المعبودات عبادة الأباطرة. وكانت تقام لها إحتفالات فى المعابد بالاضافه الى الاعياد الدينية المصرية. وسواء كانت العقيدة المصرية تقام فى البيوت أم فى خارجها، جماعة أو فرادى، فإنها كانت مشبعة بالعناصر السرية والسحرية.

وفى العصر الرومانى كانت القاعدة هى إتباع سياسة التسامح الدينى ولذلك إستمر سكان مصر يعبد كل منهم آلهته، وإن تعرض اليهود لبعض المتاعب بسبب رفض عقيدتهم تقديس الأباطرة او آلهة الرومان ولكن الجديد فى ميدان العقيدة فى مصر حدث مع دخول المسيحية فقد حارب أباء الكنيسة منذ أيامها المبكرة عبادة الحيوان وسعى المسيحيون بعد الاعتراف بالمسيحية دينا رسميا الى محاولة القضاء على الوثنية وساعدهم أن الامبراطور ثيودوسيوس (٢٧٩-٢٩٥) فرض المسيحية كدين وحيد فى الامبراطورية. ونفذت الحكومة والرهبان هذه القرارات بحزم وحسم فأغلقوا المعابد بل وصل الأمر الى هدم المعابد كان ذلك فى الأسكندرية والدلتا. ولكن سلطة الحكومة كانت قاصرة فى الوجه القبلى عن تحقيق ذلك بدقة

ومع هذا تجد على جدران المعابد حتى اليوم بقايا محاولات إزالة صور المعبودات القديمة(١).

---

(١) نقالي لويس ، ترجمة فوزى مكاوى ، مصر الرومانية ، القاهرة ١٩٩٢م.
فوزى مكاوى وآخرون ، مصر تحت حكم الرومان ، القاهرة ١٩٨٧م.
إدريس بل ، الهلينية فى مصر من الاسكندر الى الفتح العربى ، ترجمة زكى على دار المعارف القاهرة.

خاتمة

تعتبر نهايه القرن الثالث نهاية للعصر الرومانى حيث إنقسمت الامبراطورية بعد تنظيمات دقليديانوس السياسة الى نصفين شرقى وغربى. وبدأ النصف الشرقى الذى إتخذ عاصمتة فى القسطنطينية يحيى تقاليد الحضارة الأغريقية ودخل الشرق فى عصر إصطلح على تسميتة بالعصر البيزنطى. وهو موضوع يتعدى المدى الزمنى لاهتمام هذا الكتاب.

مكتبة البحث ..

الشرق خلال العصر الهلينستي

أولا: مراجع باللغة العربية:

* إدريس بل ، الهلينية فى مصر من الاسكندر الى الفتح العربى ترجمة زكى علي، دار المعارف بالقاهرة.
* زكى علي ، كليوباترة ، القاهرة بدون تاريخ.
* فوزى مكاوى ، تاريخ الإغريق، دار البيضاء ١٩٨٠م.
* فوزى مكاوى ، قبرص تحت حكم البطالمة ، طنطا ١٩٨٥م

ثانياً: مراجع بلغات أجنبية:

E. Badian,"Alexander the Great", *The Classical World* 65 (1971), 37-56 and 77-83..

B. Bar-Kochva, *The Seleucid Army* (Cambridge,1976).

E. J. Bickerman, *Chronology of the Ancient World* (London,2nd ed., 1980)..

(*) راجع أيضا ماذكر من مراجع أخرى فى الهوامش.

D. J. Crawford, *Kerkeosiris:an Egyptian village in the Ptolemaic period* (Cambridge, 1971).

W. S. Ferguson, *Hellenistic Athens* (London,1911).

P. M. Fraser, *Ptolemaic Alexandria* , 3vols. (Oxford,1972).

P. Green, *Alexander the Great* (London, 1970).

G. T. Griffith, *The Mercenaries of the Hellenistic World* (Cambridge, 1935).

N. G. L. Hammond and G. T. Griffith,*A History of Macedonia* ,vol.2 (Oxford,1979).

E. V. Hansen, *The Attalids of pergamum* (Ithaca,N.y,2nd ed.,1971).

A. H. M. Jones, *The Greek City from Alexander to Justinian* (Oxford, 1940).

Id. and others, *The Cities of the Eastern Roman Provinces* (Oxford, 2nd ed.,1971).

R. Lane Fox, *Alexander the Great* (London,1973).

J. A. O. Larsen, *Greek Federal States* (Oxford,1968).

H. I. Marrou, *Histoire de l education dans l antiquite* (6th ed., 1965).

O. Morkholm, *Antiochus IV of Syria* (Copenhagen,1966).

H. A. Ormerod, *piracy in the Ancient World* (Liverpool,1924).

C. Preaux, *Le monde hellenistique. La Grèce et l'Orient* (323-146 av .J.c.), 2 vols.(Paris,1978).

M. Rostovtzeff, *The Social and Economic History of the Hellenistic World, 3vols* (Oxford,1941).

W. W. Tarn, *Alexander the Great, 2vols.* (Cambridge,1948).

W. W. Tarn and G.T.Griffith, *Hellenistic Civilization* (London,3rd ed., 1952).

W. W. Tarn, *Antigonus Gonatas* (Oxford,1913).

F. W. Walbank, *Aratos of Sicyon* (Cambridge,1933).

Id. *Philip V of Macedon* (Cambridge,1940).

id. *The Hellenistic World* (London,1981).

الشرق خلال العصر الرومانى

أولا : مراجع باللغة العربية:

• إدريس بل، الهلينية فى مصر من الاسكندر الى الفتح العربى، ترجمة زكى على، دار المعارف بالقاهرة.

• السيد احمد الناصرى، الأمبراطورية الرومانية، القاهرة

• رستوفتزف،م، تاريخ الأمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى، ترجمة زكى على ومحمد سليم سالم، القاهرة.

• زكى على ، كليوباترة ، القاهرة، بدون تاريخ.

* عبد اللطيف احمد علي، مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، القاهرة.
* فوزي مكاوي ، تاريخ الرومان ، القاهرة ١٩٩٢م.
* فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان ، القاهرة ١٩٨٧م.
* نفتالي لويس، ترجمة فوزي مكاوي، مصر الرومانية، القاهرة ١٩٩٣م
* ول ديورانت، قصة الحضارة حـ ١١ قيصر والمسيح، القاهرة ١٩٧٢م.

ثانياً: مراجع بلغات أجنبية:

The Cambridge Ancient History, edited by S.A.Cook,F.E.Adcock and M.P.Charlesworth: vii, *The Hellenistic Monarchies and the Rise of Rome*(1928) :viii, *Rome and the Mediterranean*,218-133B.C.(1930) ; ix, *The Roman Republic*,133-44 B.C.(1932) ; x, *The Augustan Empire* , 44 B.C.-A.D. 70 (1934) ; xi, *The Imperial Peace*, A. D. 70-192. (1936) ; xii, *The Imperial Crisis and Recovery*, A.D.193-324 (1939).

M. Grant, *The World of Rome* (1960).

A. H. M. Jones, *The Later Roman Empire*, 284-602(3vols, 1964).

A. H. M. Jones, *A History of Rome through the Fifth Century* :i,The Republic (1968) ; ii, The Empire (1970).

N. Lewis and M. Reinhold , *Roman Civilisation* : i , The Republic (1951) ;ii, The Empire(1955).

A. H. McDonald, *Republican Rome* (1966).

Methuen's *History of the Greek and Roman World*, edited by M. Cary: iv, *A History of the Roman World*, 753-146 B.C by H.H. Scullard(3rd ed.1961) ; v, 146-30B.C.by F.B.Marsh(3rd ed.revised by H.H.Scullard,1963) ;vi,30 B.C.-A.D.138 by E.T.Salmon(5th ed. 1966) ; vii , A. D .138 - 337 by H. M. D. Parker(2nd ed.revised by B.H.Warmington,1958).

F. Millar, *The Roman Empire and its Neighbours* (1967).

Th. Mommsen, *The History of Rome* (Engl. trans. 1911) ,i.e.of the Repulic ; old , but a classic.

M. Rostovtzeff,*A History of the ancient World*,ii,Rome(1927, revised by E. Bickerman,1961).

M. Rostovtzeff , *The Social and Economic History of the Roman Empire* (2vol, 2nd ed. 1957, by P.Fraser).

J. Vogt, *The Decline of Rome* (1967).

المحتويات

الكتاب الاول

الشرق خلال العصر الهلينستى

١ ــ ٢١٩

الكتاب الثانى

الشرق خلال العصر الرومانى

٢٢٠ ــ ٣٠٢

